

دليل الهائم
في
صناعة الناثروالناظم

جمعه الفقير اليه تعالى شاكر البتلوني



نظر فيه وضبطه وصححه
العلامة اللغوي الشيخ ابراهيم البازجي



حق طبعه محفوظ

طبع ثانية في بيروت في المطبعة الادبية سنة ١٨٩٠

برخصة مجلس معارف ولاية سورية الجليلة

بِسْمِ اللَّهِ خَيْرِ الْأَسْمَاءِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي زَيَّنَ أَجْيَادَ الْبَلَاغَةِ بِعُقُودِ الْفَصَاحَةِ
وَالْبَيَانِ وَجَعَلَ اللَّفْظَ دَلِيلًا عَلَى الْمَعْنَى وَالْمَعْنَى دَلِيلًا
عَلَى الْمَجْنَانِ * وَبَعْدُ فَإِنِّي لَمَّا رَأَيْتُ صِنَاعَةَ الْإِنشَاءِ قَدْ
أَخَذْتُ فِي هَذَا الْعَصْرِ جَمَالَ زُخْرُفِهَا وَمَاسَتْ خُرْدُ
الْفَصَاحَةِ تَجَرُّ عَلَى مَتُونِ الْمَهَارِقِ فَضَلَ مُطَرِّفِهَا فَغَاصَتْ
أَقْلَامُ الْأَدَبَاءِ عَلَى جَوَاهِرِ اللَّفْظِ تَلْقِطُهَا مِنْ خِلَالِ
جَدَاوِلِ الْأَسْفَارِ وَأَسْنَتُ فَرَاحِ الْأَلْبَاءِ فِي سَنَنِ
التَّحْدِي عَلَى آثَارِ الْمُتَقَدِّمِينَ فِي هَذَا الْمِضْهَارِ رَأَيْتُ أَنَّ
الْمُحِفَّ الْمُنَادِيَيْنِ وَمَنْ نَظَّمَتْهُمْ حَلَقَاتُ الْمَدَارِسِ فِي هَذَا
الْعَصْرِ بِسِفْرِ يُسْفِرُ عَنْ جُلِّ آدَابِ الْإِنشَاءِ وَمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ
الْمُبْتَدِئُ فِي مُعَانَاةِ النَّظْمِ وَالنَّثْرِ فَجَمَعْتُ لِذَلِكَ هَذَا
الْكِتَابَ مَا خُوِّدَ عَنْ مُصَنَّفَاتِ جِلَّةِ الْعُلَمَاءِ الْمَشْهُورِينَ فِي
الْفَنَيْنِ جَمِيعًا وَرَبَّنَّهُ أَبُو آبَا وَفُصُولًا تَقَلَّتْ فِيهَا نُصُوصُهُمْ

وَرَصَّعْتُهَا فِي أَثْنَائِهِ تَرْصِيعًا ثُمَّ أَرَدْتُهَا بِطَائِفَةٍ مِنْ
أَقْوَالِهِمْ فِي ضُرُوبِ الرِّسَالِ وَغَيْرِهَا مِنْ أَغْرَاضِ
الْمُتَرَسِّلِينَ وَالْكِتَابِ لِتَكُونَ مِثَالًا يَجْنِذِبُهُ السَّالِكُ عَلَى
طَرِيقَتِهِمْ بَعْدَ مُطَالَعَةِ مَا سَبَقَ مِنَ الْأَبْوَابِ وَخَشَنَتُهُ
أَخِيرًا بِفَقْرِ مُتَفَرِّقَةٍ نَقَلْتُهَا مِنْ كُتُبِهِمْ فِي مَعَانِ شَتَّى مِنْ
الْوَصْفِ يُهَيِّئُ أَنْ يَسْتَعِينَ بِهَا الْكَاتِبُ حَيْثُ اضْطَرَّ إِلَيْهَا
أَوْ يَسْتَظْهِرَ بِهَا عَلَى الذِّكْرِ فِيهِنَّ دِي إِلَى تَرَكَيبِ أُخْرَى
مِمَّا يَجْرِي فِي أَسْلُوبِهِ عَلَيْهَا وَلَمَّا تَسَنَّى لِي جَمْعُهُ وَاتَّسَقَ
وَأَنْتَظَمَ شَمِلُ فَرَائِدِهِ عَلَى هَذَا النَّسْقِ وَضَعْتُهُ بَيْنَ يَدَيِ
حَضْرَةِ الْعَالِمِ الْعَلَامَةِ وَالْأُسْتَاذِ اللُّغَوِيِّ الْفَهَامَةِ الشَّيْخِ
إِبْرَاهِيمَ الْيَازْجِيِّ فَسَخَّ اللَّهُ فِي مَدَّتِهِ وَسَأَلْتُهُ أَنْ يَنْظُرَ فِيهِ
قَبْلَ تَمْثِيلِهِ تَسْديدًا لِمَنْهَجِهِ وَتَدَارُكًا لِمَا سَقَطَ عَنِّي فِي
بَعْضِ فُصُولِهِ فَجَاءَ بِحَمْدِ اللَّهِ كِتَابًا وَافِي الْفَوَائِدِ صَافِي
الْمَوَارِدِ يَنْشَعُ عَلَى قَلَّةِ رَشْحِهِ غُلَّةُ الصَّادِي وَيَنْفَعُ بِإِذْنِ اللَّهِ
الْبَادِي وَالسَّادِي وَقَدْ سَمَّيْتُهُ دَلِيلَ الْهَائِمِ فِي صِنَاعَةِ
النَّائِرِ وَالنَّاطِمِ وَأَنَا أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُفِيدَ بِهِ الطُّلَّابَ
وَيَجْعَلَهُ مُقَدِّمَةً لِحَاجَتِهِمُ الثَّوَابِ بِمَنِّهِ وَحُسْنِ تَوْفِيقِهِ

فهرس الكتاب

الباب الاول

صفحة

- ١ الفصل الاول في شرف العلم
٥ الفصل الثاني فيما ينبغي لطالب العلم
١١ الفصل الثالث في اوائل العلم ومداخله
١٢ الفصل الرابع فيما يجب على المعلم وفي وجه الصواب في تعليم الخ
١٥ الفصل الخامس في استعمال العلم
١٦ الفصل السادس فيما يجب ان يكون عليه العلماء من الاخلاق الخ

الباب الثاني

- ١٩ الفصل الاول في اركان الكتابة
٢١ الفصل الثاني في ادوات الكتابة
الفصل الثالث في الصناعة اللفظية وهي قسمان
٢٤ القسم الاول في اللفظة المعردة
٢٢ القسم الثاني في الكلام
٤٠ الفصل الرابع في انقسام الكلام الى فني النظم والنثر
٤٤ الفصل الخامس في السجع
٤٨ الفصل السادس في كيفية عمل الشعر ووجه تعليمه
الفصل السابع في الفصاحة والبلاغة وفيه قسمان
٥٤ القسم الاول في الفصاحة
٥٨ القسم الثاني في البلاغة
٦١ الفصل الثامن في المبادئ والافتتاحات
٦٨ الفصل التاسع في التلخيص والاختصار
٧٥ الفصل العاشر في الختام

القسم الأول

في أدب الكاتب وصناعته
وفيه بآمان

الباب الأول

في آداب العلم والتعليم
وفيه ستة فصول

الفصل الأول

في شرف العلم

إِعلم أن العلم أشرف ما رغب فيه الراغب. وأفضل ما طلب وجد فيه الطالب. وأنفع ما كسبه وأفتناه الكاسب. لأن شرفه يثمر على صاحبه. وفضله ينمي على طالبيه. قال عبد الملك بن مروان لبنيه يا بني تعلموا العلم فإن كنتم سادة فقمتم. وإن كنتم وسطا سدتم. وإن كنتم سوقة

عِشْتُمْ . وَقَالَ بَعْضُ الْبُلْغَاءِ تَعْلَمُ الْعِلْمَ فَإِنَّهُ يَقُومُكَ
وَيُسَدِّدُكَ صَغِيرًا . وَيَقْدِمُكَ وَيُسَوِّدُكَ كَبِيرًا . وَيُصْلِحُ زَيْنَكَ
وَفَاسِدَكَ . وَيُرْغِمُ عَدُوَّكَ وَحَاسِدَكَ . وَيَقُومُ عِوَجَكَ وَمِيلَكَ .
وَيُصَحِّحُ هَيْبَتَكَ وَأَمْلَكَ . وَقَالَ مُصْعَبُ بْنُ الزُّبَيْرِ تَعْلَمُ
الْعِلْمَ فَإِنْ يَكُنْ لَكَ مَالٌ كَانَ لَكَ جَمَالًا . وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَكَ
مَالٌ كَانَ لَكَ مَلًّا . وَقَالَ بَيْهَيُّ بْنُ خَالِدٍ لِابْنِهِ عَلَيْكَ
بِكُلِّ نَوْعٍ مِنَ الْعِلْمِ فَخُذْ مِنْهُ فَإِنَّ الْهَرَاءَ عَدُوٌّ مَا جَاهِلٌ وَأَنَّهُ
أَكْرَهُ أَنْ تَكُونَ عَدُوًّا شَيْءٍ مِنَ الْعِلْمِ . وَأَنْشَدَ

تَفَنَّنْ وَخُذْ مِنْ كُلِّ عِلْمٍ فَإِنَّهَا
يَفُوقُ أَمْرُؤُ فِي كُلِّ فَنٍّ لَهُ عِلْمٌ
فَأَنْتَ عَدُوٌّ لِلَّذِي أَنْتَ جَاهِلٌ

بِهِ وَلِلْعِلْمِ أَنْتَ تُثَنِّنُهُ سَلِمٌ
وَقَالَ بَعْضُ الْأَدَبَاءِ كُلُّ عَزٍّ لَا يُوطِدُهُ عِلْمٌ مَذَلَّةٌ وَكُلُّ
عِلْمٍ لَا يُؤَيِّدُهُ عَقْلٌ مُضِلَّةٌ . وَقَالَ بَعْضُ عُلَمَاءِ السَّلَفِ إِذَا
أَرَادَ اللَّهُ بِالنَّاسِ خَيْرًا جَعَلَ الْعِلْمَ فِي مُلُوكِهِمُ وَالْمُلْكَ فِي
عُلَمَائِهِمْ . وَقَالَ بَعْضُ الْبُلْغَاءِ الْعِلْمُ عُصْمَةُ الْمُلُوكِ لِأَنَّهُ
يَمْنَعُهُمُ مِنَ الظُّلْمِ . وَيُرُدُّهُمْ إِلَى الْحِلْمِ . وَيَصُدُّهُمْ عَنِ

الْأَذِيَّةَ وَيَعْطِفُهُمْ عَلَى الرَّعِيَّةِ. فَمِنْ حَقِّهِمْ أَنْ يَعْرِفُوا حَقَّهُ
 وَيَسْتَنْبِطُوا أَهْلَهُ. وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ الْعِلْمُ خَيْرٌ مِنَ
 الْمَالِ. الْعِلْمُ بَحْرُكَ وَأَنْتَ تَحْرُسُ الْمَالَ. الْعِلْمُ حَاكِمُ
 وَالْمَالُ مُحْكَمٌ عَلَيْهِ. مَاتَ خُزَانُ الْأَمْوَالِ وَبَقِيَ خُزَانُ
 الْعِلْمِ. أَعْيَانُهُمْ مَفْقُودَةٌ. وَأَشْخَاصُهُمْ فِي الْقُلُوبِ مَوْجُودَةٌ.
 وَرُبَّمَا أَمْتَنَعَ الْإِنْسَانُ مِنْ طَلَبِ الْعِلْمِ لِكِبَرِ سِنِّهِ وَاسْتِحْيَائِهِ
 مِنْ تَقْصِيرِهِ فِي صِغَرِهِ أَنْ يَتَعَلَّمَ فِي كِبَرِهِ. فَرَضِيَ بِالْجَهْلِ أَنْ
 يَكُونَ مَوْسُومًا بِهِ وَآثَرُهُ عَلَى الْعِلْمِ أَنْ يَصِيرَ مُبْتَدَأًا بِهِ. وَهَذَا
 مِنْ خِدَاعِ الْجَهْلِ وَغُرُورِ الْكَسَلِ لِأَنَّ الْعِلْمَ إِذَا كَانَ فَضِيلَةً
 فَرَغْبَةُ ذَوِي الْأَسْنَانِ فِيهِ أَوَّلَى وَالْإِبْتِدَاءُ بِالْفَضِيلَةِ فَضِيلَةٌ
 وَلَآنَ يَكُونُ شَيْخًا مُتَعَلِّمًا أَوَّلَى مِنْ أَنْ يَكُونَ شَيْخًا جَاهِلًا
 وَرُبَّمَا أَمْتَنَعَ أَيْضًا مِنْ طَلَبِ الْعِلْمِ لِتَعَذُّرِ الْمَادَّةِ وَشَغْلِهِ
 أَكْثَسًا بِهَا عَنِ التِّمَاسِ الْعِلْمِ وَهَذَا وَإِنْ كَانَ أَعْذَرَ مِنْ غَيْرِهِ
 مَعَ أَنَّهُ فَلَمَّا يَكُونُ ذَلِكَ إِلَّا عِنْدَ ذِي شَرِّهِ وَعَيْبٍ وَشَهْوَةٍ
 مُسْتَعْبِدَةٍ فَيَنْبَغِي أَنْ يَصْرِفَ إِلَى الْعِلْمِ حَظًّا مِنْ زَمَانِهِ فَلَيْسَ
 كُلُّ الزَّمَانِ زَمَانُ أَكْتِسَابٍ وَلَا بُدٌّ لِلْمُكْتَسِبِ مِنْ أَوْقَاتِ
 اسْتِرَاحَةٍ وَأَيَّامِ عُطْلَةٍ وَمَنْ صَرَفَ كُلَّ نَفْسِهِ إِلَى الْكَسْبِ حَتَّى

أَمْ يَتْرُكُ لَهَا فَرَاغًا إِلَى غَيْرِهِ فَهُوَ مِنْ عَبِيدِ الدُّنْيَا وَاسِرَاءِ الْحِرْصِ
 وَرُبَّمَا مَنَعَهُ مِنْ طَلَبِ الْعِلْمِ مَا يَظُنُّهُ مِنْ صُعُوبَتِهِ وَبُعْدِ
 غَايَتِهِ وَبَخْشَى مِنْ فِلَّةِ ذِهْنِهِ وَبُعْدِ فِطْنَتِهِ وَهَذَا الظَّنُّ اعْتِدَارُ
 ذَوِي النِّقْصِ وَخِيفَةُ أَهْلِ الْعُجْزِ لِأَنَّ الْإِخْبَارَ قَبْلَ الْإِخْبَارِ
 جَهْلٌ وَالْخُشْيَةُ قَبْلَ الْإِتِّبَالِ عَجْزٌ. وَقَدْ قَالَ الشَّاعِرُ
 لَا تَكُونَنَّ لِلْأُمُورِ هَيُوبًا فَإِلَى خِيْبَةٍ يَصِيرُ الْهَيُوبُ

وَقِيلَ فِي مَثُورِ الْحِكْمِ كَمْ مِنْ ذَلِيلٍ أَعَزَّهُ عِلْمُهُ. وَمِنْ
 عَزِيزٍ أَذَلَّهُ جَهْلُهُ. وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ لِبَنِيهِ يَا بَنِي تَعَلَّمُوا
 الْعِلْمَ فَإِنْ لَمْ تَتَالَوْا بِهِ مِنَ الدُّنْيَا حَظًّا فَلَنْ يُدَمَّ الزَّمَانُ لَكُمْ
 أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يُدَمَّ الزَّمَانُ بِكُمْ

وَيَنْبَغِي لِمَنْ زَهَدَ فِي الْعِلْمِ أَنْ يَكُونَ فِيهِ رَاجِيًا. وَلِمَنْ رَغِبَ
 فِيهِ أَنْ يَكُونَ لَهُ طَالِبًا. وَلِمَنْ طَلَبَهُ أَنْ يَكُونَ مِنْهُ مُسْتَكْرِيًا.
 وَلِمَنْ اسْتَكْتَرَهُ أَنْ يَكُونَ بِهِ عَامِلًا. وَأَنْ لَا يَطْلُبَ لِتَرْكِهِ
 احْتِجَاجًا وَلَا لِلتَّقْصِيرِ فِيهِ عُذْرًا. وَلَا يُسَوِّفَ نَفْسَهُ بِالْهَوَاعِيدِ
 الْكَاذِبَةِ وَيُهَيِّئَهَا بِاتِّقَاعِ الْأَشْغَالِ الْمُتَّصِلَةِ فَإِنَّ لِكُلِّ
 وَقْتٍ شُغْلًا. وَلِكُلِّ زَمَانٍ عُذْرًا. وَقَالَ الشَّاعِرُ
 نَرُوحُ وَنَعْدُو لِحَاجَاتِنَا وَحَاجَةٌ مِنْ عَاشٍ لَا تَنْقُضِي

تَهَوُّتُ مَعَ الْمَرْءِ حَاجَاتُهُ وَتَبْقَى لَهُ حَاجَةٌ مَا بَقِيَ
وَأَنْ يَقْصِدَ طَلَبَ الْعِلْمِ وَإِنَّمَا يَتَّبِعُ سِيرَ اللَّهِ فَاصِدًا وَجْهَ اللَّهِ
تَعَالَى بِنِيَّةٍ خَالِصَةٍ وَعَزِيْمَةٍ صَادِقَةٍ . وَهُوَ وَلِيُّ التَّوْفِيقِ

الفصل الثاني

فِيهَا يَنْبَغِي لِطَالِبِ الْعِلْمِ

يَنْبَغِي لِطَالِبِ الْعِلْمِ أَنْ لَا يَنِيَّ فِي طَلَبِهِ . وَيَتَهَيَّزَ الْفُرْصَةَ
بِهِ . فَرُبَّمَا شَحَّ الزَّمَانُ بِهَا سَحَحَ . وَضَنَّ بِهَا مَنَحَ . وَيَتَدَبَّرُ مِنْ
الْعِلْمِ بَأْوَالِهِ . وَيَأْتِيهِ مِنْ مَدْخَلِهِ . وَلَا يَتَشَاغَلُ بِطَلَبِ مَا لَا
يَضُرُّهُ جَهْلُهُ . فَيَمْنَعُهُ ذَلِكَ مِنْ إِدْرَاكِ مَا لَا يَسَعُهُ جَهْلُهُ .
فَإِنَّ لِكُلِّ عِلْمٍ فُضُولًا مُذْهِلَةً . وَشُدُورًا مُشْغِلَةً . إِنْ صَرَفَ إِلَيْهَا
نَفْسَهُ قَطَعَتْهُ عَنْهَا هَوَاهُمْ مِنْهَا . وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ الْعِلْمُ أَكْثَرُ
مِنْ أَنْ يُحْصَى فَخُذُوا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ أَحْسَنَهُ . وَقَالَ بَعْضُ
الْمُحْكَمَاءِ بِيَتْرَكَ مَا لَا يَنْفَعُكَ . تُدْرِكُ مَا يُغْنِيكَ . وَلَا يَنْبَغِي أَنْ
يَدْعُوهُ ذَلِكَ إِلَى تَرْكِ مَا اسْتَضَعَبَ عَلَيْهِ إِشْعَارُ النَّفْسِ أَنْ
ذَلِكَ مِنْ فُضُولٍ عَلَيْهِ وَإِعْذَارًا لَهَا فِي تَرْكِ الْإِسْتِغَالِ بِهِ
فَإِنَّ ذَلِكَ مَطِيَّةُ النَّوْكَى وَعِذْرُ الْمُتَصَرِّينَ . وَمَنْ أَخَذَ مِنْ

الْعِلْمُ مَا تَسَهَّلَ وَتَرَكَ مِنْهُ مَا تَعَذَّرَ كَانَ كَالْفَنَاصِ إِذَا أَمْتَنَعَ
 عَلَيْهِ الصِّدُّ تَرَكَهُ فَلَا يَرْجِعُ إِلَّا خَائِبًا إِذْ لَيْسَ يَرَى الصِّدَّ
 إِلَّا مُشْتَبَعًا كَذَلِكَ الْعِلْمُ كُلُّهُ صَعْبٌ عَلَى مَنْ جَهَلَهُ سَهْلٌ عَلَى
 مَنْ عَلِمَهُ . لِأَنَّ مَعَانِيَهُ الَّتِي يَتَوَصَّلُ إِلَيْهَا مُسْتَوْدَعَةٌ فِي كَلَامٍ
 مُتَرَجِمٍ عَنْهَا وَكُلُّ كَلَامٍ مُسْتَعْمَلٍ فَهُوَ يَجْمَعُ لَفْظًا مُسَمَّوعًا وَمَعْنَى
 مَفْهُومًا فَإِنَّ لَلْفِظِ كَلَامًا يَعْمَلُ بِالسَّمْعِ وَالْمَعْنَى تَحْتَ اللَّفْظِ يَفْهَمُ
 بِالْقَلْبِ . وَقَدْ قَالَ بَعْضُ الْمُحْكِمَاءِ . الْعُلُومُ مَطَالِعُهَا مِنْ ثَلَاثَةِ
 أَوْجِهٍ . قَلْبٍ مُفَكِّرٍ . وَلِسَانٍ مُعْبِرٍ . وَبَيَانٍ مُصَوِّرٍ . فَمَنْ عَقَلَ
 الْكَلَامَ بِسَمْعِهِ فَفَهِمَ مَعَانِيَهُ بِقَلْبِهِ وَمَنْ فَهِمَ الْمَعَانِيَ سَقَطَ عَنْهُ
 كَلْفُهُ اسْتَخْرَاجُهَا وَبَقِيَ عَلَيْهِ مُعَانَاةُ حِفْظِهَا وَاسْتِثْرَارُهَا لِأَنَّ
 الْمَعَانِيَ شَوَارِدُ تَضِلُّ بِالْإِغْفَالِ . وَالْعُلُومُ وَخَشِيَّةُ تَنْفِرُ
 بِالْإِرْسَالِ . فَإِذَا حَفِظَهَا بَعْدَ الْفَهْمِ أُنِستَ وَإِذَا ذَكَرَهَا بَعْدَ
 الْإِنْسِرَاسِ . وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ مَنْ أَكْثَرَ الْمَذَاكِرَ
 بِالْعِلْمِ لَمْ يَنْسَ مَا عَلِمَ وَاسْتَفَادَ مَا لَمْ يَعْلَمْ . وَقَالَ الشَّاعِرُ
 إِذَا لَمْ يُذَاكِرْ ذُو الْعُلُومِ يَعْلِمِهِ وَلَمْ يَسْتَفِدْ عَلَيْهَا نَسِيَ مَا تَعَلَّمَهَا
 فَكَمْ جَامِعٌ لِلْكَتَبِ فِي كُلِّ مَذْهَبٍ يَزِيدُ مَعَ الْإِيَّامِ فِي جَمْعِهِ عَمَى
 وَإِنْ لَمْ يَفْهَمْ مَعَانِيَ مَا سَمِعَ كَشَفَ عَنِ السَّبَبِ الْمَانِعِ مِنْهَا

لِيَعْلَمَ الْعِلَّةَ فِي تَعَذُّرِ فَهْمِهَا فَإِنَّ بِمَعْرِفَةِ أَسْبَابِ الْأَشْيَاءِ
وَعِلَلِهَا يُوصَلُ إِلَى ثَلَاثِ مَا شَذَّ وَصَلَّاحٍ مَا فَسَدَ وَلَيْسَ بِخَلْوٍ
السَّبَبُ الْمَانِعُ مِنْ ذَلِكَ مِنْ ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ إِمَّا أَنْ يَكُونَ لِعِلَّةٍ
فِي الْكَلَامِ الْمُرْجَمِ عَنْهَا وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ لِعِلَّةٍ فِي الْمَعْنَى
الْمُسْتَوْدَعِ فِيهِ وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ لِعِلَّةٍ فِي السَّامِعِ الْمُسْتَخْرِجِ
فَإِنْ كَانَ السَّبَبُ الْمَانِعُ مِنْ فَهْمِهَا لِعِلَّةٍ فِي الْكَلَامِ الْمُرْجَمِ
عَنْهَا لَمْ يَخْلُ ذَلِكَ مِنْ ثَلَاثَةِ أَحْوَالٍ

أَحَدُهَا أَنْ يَكُونَ لِنَقْصِيرِ اللَّفْظِ عَنِ الْمَعْنَى فَيَصِيرُ
نَقْصِيرُ اللَّفْظِ عَنْ ذَلِكَ الْمَعْنَى سَبَبًا مَانِعًا مِنْ فَهْمِ ذَلِكَ الْمَعْنَى
وَهَذَا يَكُونُ مِنْ أَحَدِ وَجْهَيْنِ إِمَّا مِنْ حَصْرِ الْمُتَكَلِّمِ وَعَيْهِ
وَإِمَّا مِنْ بِلَادَتِهِ وَقِلَّةِ فَهْمِهِ

الْأَحْوَالُ الثَّانِي أَنْ يَكُونَ لِزِيَادَةِ اللَّفْظِ عَلَى الْمَعْنَى
فَتَصِيرُ الزِّيَادَةُ عِلَّةً مَانِعَةً مِنْ فَهْمِ الْمَقْصُودِ مِنْهُ وَهَذَا قَدْ
يَكُونُ مِنْ أَحَدِ وَجْهَيْنِ إِمَّا مِنْ هَذَرِ الْمُتَكَلِّمِ وَإِكْثَارِهِ وَإِمَّا
لِسُوءِ ظَنِّهِ بِهِمْ سَامِعِهِ

وَالْأَحْوَالُ الثَّلَاثُ أَنْ يَكُونَ لِمُوَاضَعَةٍ يَقْصِدُهَا الْمُتَكَلِّمُ
بِكَلَامِهِ فَإِذَا لَمْ يَعْرِفْهَا السَّامِعُ لَمْ يَفْهَمْ مَعَانِيَهُ

وَأَمَّا تَقْصِيرُ اللَّفْظِ وَزِيَادَتُهُ فَمِنْ الْأَسْبَابِ الْخَاصَّةِ دُونَ
الْعَامَّةِ لِأَنَّكَ لَسْتَ تَجِدُ ذَلِكَ عَامًا فِي كُلِّ الْكَلَامِ وَإِنَّمَا
تَجِدُهُ فِي بَعْضِهِ . فَإِنْ عَدَلْتَ عَنِ الْكَلَامِ الْمُتَقَصِّرِ إِلَى الْكَلَامِ
الْمُسْتَوْفِي وَعَنِ الزَّائِدِ إِلَى الْكَافِي أَرَحْتَ نَفْسَكَ مِنْ تَكْلُفِ
مَا يَكْذُ خَاطِرُكَ . وَإِنْ أَقَمْتَ عَلَى اسْتِخْرَاجِهِ إِمَّا لِضَرُورَةٍ
دَعَوْتَ إِلَيْهِ عِنْدَ إِعْوَازِ غَيْرِهِ أَوْ لِحَبِيَّةٍ دَاخَلْتَكَ عِنْدَ تَعَذُّرِ
فَهْمِهِ فَانْظُرْ فِي سَبَبِ الزِّيَادَةِ وَالْتَقْصِيرِ . فَإِنْ كَانَ التَّقْصِيرُ
لِخَصَرٍ وَالزِّيَادَةُ لِهَذَرٍ سَهِّلْ عَلَيْكَ اسْتِخْرَاجَ الْمَعْنَى مِنْهُ لِأَنَّ
مَا لَهُ مِنَ الْكَلَامِ مُحْصُولٌ لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمُخْتَلِّ مِنْهُ أَكْثَرَ
مِنَ الصَّحِيحِ . وَفِي الْأَكْثَرِ عَلَى الْأَقَلِّ دَلِيلٌ . وَإِنْ كَانَتْ
زِيَادَةُ اللَّفْظِ عَلَى الْمَعْنَى لِسُوءِ ظَنِّ الْمُتَكَلِّمِ بِفَهْمِ السَّامِعِ كَانَ
اسْتِخْرَاجُهُ أَسْهَلَ . وَإِنْ كَانَ تَقْصِيرُ اللَّفْظِ عَنِ الْمَعْنَى لِسُوءِ
فَهْمِ الْمُتَكَلِّمِ فَهُوَ أَصْعَبُ الْأُمُورِ حَالًا وَأَبْعَدُهَا اسْتِخْرَاجًا . لِأَنَّ
مَا لَمْ يَفْهَمْهُ مُكَلِّمُكَ فَأَنْتَ مِنْ فَهْمِهِ أَبْعَدُ . إِلَّا أَنْ تَكُونَ بِفَرْطِ
ذَكَائِكَ وَجُودَةِ خَاطِرِكَ تَنْبِيهًُ بِإِشَارَتِهِ عَلَى اسْتِنْبَاطِ مَا عَجَزَ
عَنْهُ وَاسْتِخْرَاجِ مَا قَصَرَ فِيهِ فَتَكُونُ فَضِيلَةُ الْأَسْتِيفَاءِ لَكَ وَحَقُّ
الْتِقَدُّمِ لَهُ . فَهَذَا تَعْلِيلُ مَا فِي الْكَلَامِ مِنَ الْأَسْبَابِ الْمُبَانِعَةِ

مِنْ فَهْمٍ مَعَانِيهِ

وَأَمَّا الْمَانِعُ مِنْ حِفْظِهِ بَعْدَ تَصَوُّرِهِ وَفَهْمِهِ فَهُوَ النِّسْيَانُ
الْمَحَادِثُ عَنْ غَفْلَةِ التَّقْصِيرِ وَإِهْمَالِ التَّوَانِي فَيَذْبَغِي لِمَنْ بُلِيَ
بِهِ أَنْ يَسْتَدْرِكَ تَقْصِيرَهُ بِكَثْرَةِ الدَّرْسِ وَيُوقِظُ غَفْلَتَهُ بِإِدَامَةِ
النَّظَرِ فَقَدْ قِيلَ لَا يُدْرِكُ الْعِلْمُ مَنْ لَا يُطِيلُ دَرْسَهُ وَيَكْدُ
نَفْسَهُ وَكَثْرَةُ الدَّرْسِ كَدٌّ لَا يَصِيرُ عَلَيْهِ إِلَّا مَنْ يَرَى الْعِلْمَ
مَغْنَمًا وَالتَّجَاهُلَ مَغْرَمًا فَيَحْتَسِلُ تَعَبَ الدَّرْسِ لِيُدْرِكَ رَاحَةَ
الْعِلْمِ وَيَنْفِي عَنْهُ مَعَرَّةَ الْجَهْلِ فَإِنَّ نَيْلَ الْعَظِيمِ بِأَمْرِ عَظِيمٍ
وَعَلَى قَدَرِ الرُّغْبَةِ تَكُونُ الْمَطَالِبُ وَبِحَسَبِ الرَّاحَةِ يَكُونُ
التَّعَبُ وَقَدْ قِيلَ طَلَبُ الرَّاحَةِ قِلَّةُ الْأَسْتِرَاحَةِ وَرُبَّمَا
اسْتَنْقَلَ الْمُتَعَلِّمُ الدَّرْسَ وَالْحِفْظَ وَاتَّكَلَ بَعْدَ فَهْمِ الْمَعَانِي
عَلَى الرُّجُوعِ إِلَى الْكُتُبِ وَالْمُطَالَعَةِ فِيهَا عِنْدَ الْحَاجَةِ فَلَا
يَكُونُ إِلَّا كَمَنْ أَطْلَقَ مَا صَادَهُ ثِقَةً بِالْقُدْرَةِ عَلَيْهِ بَعْدَ الْإِمْتِنَاعِ
مِنْهُ فَلَا تُعْقِبُهُ الثِّقَةُ إِلَّا خَجَلًا وَالتَّفْرِيطُ إِلَّا نَدَمًا وَهَذِهِ حَالٌ
قَدْ يَدْعُو إِلَيْهَا أَحَدُ ثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ: مِمَّا الضَّجْرُ مِنْ مُعَانَاةِ
الْحِفْظِ وَمُرَاعَاةِ وَطُولِ الْأَمَلِ فِي التَّوْفُرِ عَلَيْهِ عِنْدَ نَشَاطِهِ
وَفَسَادِ الرَّأْيِ فِي عَزِيمَتِهِ وَلَيْسَ يَعْلَمُ أَنَّ الضَّجْرَ خَائِبٌ

وَأَنَّ الطَّوِيلَ الْأَمْلَ مَغْرُورٌ وَأَنَّ الْفَاسِدَ الرَّأْيَ مُصَابٌ
وَالْعَرَبُ تَقُولُ فِي أَمْثَالِهَا حَرْفٌ فِي قَلْبِكَ خَيْرٌ مِنَ الْفِ فِي
كُتُبِكَ . وَقَالَ الشَّافِعِيُّ

عَلَيَّ مَعِيَ حَيْثُمَا يَمُوتُ يَنْفَعُنِي

قَلْبِي وَعَالَمُهُ لَا بَطْنُ صَدُوقِي

إِنْ كُنْتُ فِي الْبَيْتِ كَانَ الْعِلْمُ فِيهِ مَعِيَ

أَوْ كُنْتُ فِي السُّوقِ كَانَ الْعِلْمُ فِي السُّوقِ

وَرُبَّمَا أَعْنَى الْمُتَعَلِّمُ بِالْحِفْظِ مِنْ غَيْرِ تَصَوُّرٍ وَلَا فَهْمٍ

حَتَّى يَصِيرَ حَافِظًا لِلْأَفَافِ الْمَعَانِي قِيمًا بِبِلَاوَتِهَا وَهُوَ لَا

يَتَصَوَّرُهَا وَلَا يَفْهَمُ مَا تَضَمَّنَهَا . يَرْوِي بِغَيْرِ رَوِيٍّ وَيُخْبِرُ عَنْ غَيْرِ

خَبَرَةٍ . وَرُبَّمَا اعْتَمَدَ عَلَى حِفْظِهِ وَتَصَوُّرِهِ وَأَغْفَلَ تَقْيِيدَ الْعِلْمِ

فِي كُتُبِهِ ثِقَةً بِمَا اسْتَقَرَّ فِي ذِهْنِهِ . وَهَذَا خَطَأٌ مِنْهُ لِأَنَّ الشَّكْلَ

مُعْتَرِضٌ وَالنِّسْبَانِ طَارِقٌ . وَقَالَ بَعْضُ الْبُلْغَاءِ إِنَّ هَذِهِ

الْأَكَابِرَ نَوَافِرُ تَنْدُ عَنْ عَقْلِ الْأَذْهَانِ فَأَجْعَلُوا الْكُتُبَ عَنْهَا

حُمَاةً . وَالْأَقْلَامَ لَهَا رُعَاةً

وَأَمَّا الشُّرُوطُ الَّتِي يَتَوَفَّرُ بِهَا عِلْمُ الطَّالِبِ وَيَنْتَهِي مَعَهَا

كَمَالُ الرَّائِبِ . مَعَ مَا يُلَاحَظُ بِهِ مِنَ التَّوْفِيقِ وَيَهْدِي بِهِ مِنَ

الْمَعُونَةُ فَتِسْعَةُ شُرُوطٍ

أَحَدُهَا الْعَقْلُ الَّذِي يُدْرِكُ بِهِ حَقَائِقَ الْأُمُورِ * وَالثَّانِي
الْفِطْنَةُ الَّتِي يَتَصَوَّرُ بِهَا غَوَامِضَ الْعُلُومِ * وَالثَّلَاثُ الذِّكَا
الَّذِي يَسْتَقِرُّ بِهِ حِفْظُ مَا تَصَوَّرَهُ وَفَهْمُ مَا عَلِمَهُ * وَالرَّابِعُ
الشَّهْوَةُ الَّتِي يَدُومُ بِهَا الطَّلَبُ وَلَا يُسْرَعُ إِلَيْهِ الْمَلَكُ *
وَالْخَامِسُ الْإِكْتِفَاءُ بِمَادَّةٍ تُغْنِيهِ عَنْ كُلِّ الطَّلَبِ *
وَالسَّادِسُ الْفَرَاغُ الَّذِي يَكُونُ مَعَهُ التَّوَفُّرُ وَبِحَصْلِ بِهِ
الِاسْتِكْثَارُ * وَالسَّابِعُ عَدَمُ التَّقَوُّاعِ الْمَذْهَلَةِ مِنْ هُمُومٍ
وَأَمْرَاضٍ * وَالثَّامِنُ طُولُ الْعُمُرِ وَاتِّسَاعُ الْمُدَّةِ لِيَنْتَهِيَ
بِالِاسْتِكْثَارِ إِلَى مَرَاتِبِ الْكَمَالِ * وَالتَّاسِعُ الظَّفَرُ بِعَالِمٍ
سَمَحٍ يَعْلَمُهُ مُتَانٌ فِي تَعْلِيمِهِ . فَإِذَا اسْتَكْمَلَ هَذِهِ الشُّرُوطَ
التَّسْعَةَ فَهُوَ أَسْعَدُ طَالِبٍ وَأَنْجَحُ مُتَعَلِّمٍ . فَاحْفَظُوا بِاللهِ التَّوْفِيقُ

الفصل الثالث

فِي أَوَائِلِ الْعِلْمِ وَمَدَاخِلِهِ

وَأَعْلَمُ أَنَّ لِلْعُلُومِ أَوَائِلَ تُؤَدِّي إِلَى أَوَاخِرِهَا وَمَدَاخِلَ
تُنْضِي إِلَى خَتَائِمِهَا . فَلْيَبْتَدِئْ طَالِبُ الْعِلْمِ بِأَوَائِلِهَا لِيَنْتَهِيَ إِلَى

وَأُخْرَاهَا وَبِمَدَاخِلِهَا لِيُقْضَىٰ إِلَىٰ حَقَائِقِهَا. وَلَا يَطْلُبُ إِلَّا خَيْرَ قَبْلِ
 الْأَوَّلِ. وَلَا الْحَقِيقَةَ قَبْلَ الْمَدْخَلِ. فَلَا يُدْرِكُ الْآخِرَ وَلَا يَعْرِفُ
 الْحَقِيقَةَ لِأَنَّ الْبِنَاءَ عَلَىٰ غَيْرِ اسٍ لَا يُبْنَىٰ. وَالثَّمَرُ مِنْ غَيْرِ غَرْسٍ
 لَا يُجْنَىٰ
 (من كتاب ادب الدنيا والدين)

الفصل الرابع

فِيمَا يَحِبُّ عَلَى الْمُعَلِّمِ وَفِي وَجْهِ الصَّوَابِ فِي تَعْلِيمِ الْعُلُومِ وَطَرِيقِ إِفَادَتِهِ
 إِعْلَامٌ أَنَّ تَلْقِينَ الْعُلُومِ لِلْمُتَعَلِّمِينَ إِنَّمَا يَكُونُ مُفِيدًا إِذَا
 كَانَ عَلَى التَّدْرِيجِ شَيْئًا فَشَيْئًا وَقَلِيلًا قَلِيلًا يُلْقَىٰ عَلَيْهِ أَوَّلًا
 مَسَائِلَ مِنْ كُلِّ بَابٍ مِنَ الْفَنِّ هِيَ أَصُولُ ذَلِكَ الْبَابِ وَيُقَرَّبُ
 لَهُ فِي شَرْحِهَا عَلَى سَبِيلِ الْأَجْمَالِ وَيُرَاعَىٰ فِي ذَلِكَ قُوَّةُ عَقْلِهِ
 وَاسْتِعْدَادُهُ لِقَبُولِ مَا يَرُدُّ عَلَيْهِ حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى آخِرِ الْفَنِّ وَعِنْدَ
 ذَلِكَ بِحُصْلٍ لَهُ مَلَكَةٌ فِي ذَلِكَ الْعِلْمِ إِلَّا أَنَّهَا جُزْئِيَّةٌ وَضَعِيفَةٌ
 وَغَايِبَتُهَا أَنَّهَا هَيَّائَةٌ لَهُمْ الْفَنِّ وَتَحْصِيلُ مَسَائِلِهِ ثُمَّ يَرْجِعُ بِهِ
 إِلَى الْفَنِّ ثَانِيَةً فَيَرْفَعُهُ فِي التَّلْقِينَ عَنْ تِلْكَ الرُّتْبَةِ إِلَى أَعْلَىٰ
 مِنْهَا وَيَسْتَوْفِي الشَّرْحَ وَالْبَيَانَ وَيَخْرُجُ عَنِ الْأَجْمَالِ وَيَذْكُرُ
 لَهُ مَا هُنَالِكَ مِنَ الْخِلَافِ وَوَجْهِهِ إِلَى أَنْ يَنْتَهِيَ إِلَى آخِرِ

الْفَنِّ فَتَجُودُ مَلَكَتُهُ ثُمَّ يَرْجِعُ بِهِ وَقَدْ شَدَا فَلَا يَتْرُكُ عَوِيصًا وَلَا
 بِهِمَا وَلَا مُغْلَقًا إِلَّا وَضَحَهُ وَفَتَحَ لَهُ مُقْفَلَهُ فَيَخْلُصُ مِنَ الْفَنِّ وَقَدْ
 اسْتَوَى عَلَى مَلَكَتِهِ هَذَا وَجْهَ التَّعْلِيمِ الْهَيْدِ وَهُوَ كَمَا رَأَيْتَ
 إِنَّهَا بِحَصْلِ فِي ثَلَاثِ تَكَرُّرَاتٍ وَقَدْ بِحَصْلِ لِلْبَعْضِ فِي أَقْلٍ
 مِنْ ذَلِكَ بِحَسَبِ مَا يُخْلَقُ لَهُ وَيَتَيَسَّرُ عَلَيْهِ وَقَدْ شَاهَدْنَا كَثِيرًا
 مِنَ الْمُعَلِّمِينَ لِهَذَا الْعَهْدِ الَّذِي أَدْرَكْنَا بِجَهْلُونَ طُرُقَ التَّعْلِيمِ
 وَإِفَادَتِهِ وَيُحْضِرُونَ التَّعْلِيمَ فِي أَوَّلِ تَعْلِيمِهِ الْمَسَائِلَ الْمُقْفَلَةَ
 مِنَ الْعِلْمِ وَيُطَايِبُونَهُ بِإِحْضَارِ ذَهْنِهِ فِي حَالِهَا وَبِحَسْبُونِ ذَلِكَ
 مَرَانَةً عَلَى التَّعْلِيمِ وَصَوَابًا فِيهِ وَيَكْلِفُونَهُ وَعَيَّ ذَلِكَ وَتَحْصِيلَهُ
 وَيَخْطُطُونَ عَلَيْهِ بِمَا يُلْقُونَ لَهُ مِنْ غَايَاتِ الْفُنُونِ فِي مَبَادِيهَا
 وَقَبْلَ أَنْ يَسْتَعِدَّ لِفَهْمِهَا فَإِنَّ قَبُولَ الْعِلْمِ وَالْإِسْتِعْدَادَاتِ لِفَهْمِهِ
 تَنْشَأُ تَدْرِيجًا وَيَكُونُ التَّعْلِيمُ أَوَّلَ الْأَمْرِ عَاجِزًا عَنِ الْفَهْمِ
 بِالْجُمْلَةِ إِلَّا فِي الْأَقْلِ وَعَلَى سَبِيلِ التَّقْرِيبِ وَالْإِجْمَالِ
 وَبِالْأَمْثَالِ الْحَسَنَةِ ثُمَّ لَا يَزَالُ الْإِسْتِعْدَادُ فِيهِ يَتَدَرَّجُ قَلِيلًا
 قَلِيلًا بِمِثَالَةِ مَسَائِلِ ذَلِكَ الْفَنِّ وَتَكَرُّرِهَا عَلَيْهِ وَالْإِتِّقَالِ
 فِيهَا مِنَ التَّقْرِيبِ إِلَى الْإِسْتِيعَابِ الَّذِي فَوْقَهُ حَتَّى تَتِمَّ الْمَلَكََةُ
 فِي الْإِسْتِعْدَادِ ثُمَّ فِي التَّحْصِيلِ وَبِحَيْطِهِ هُوَ بِمَسَائِلِ الْفَنِّ وَإِذَا

الْقِيَتِ عَلَيْهِ الْغَايَاتُ فِي الْبِدَآءَاتِ وَهُوَ حَيْثُ عَاجَزَ عَنِ
 الْفَهْمِ وَالْوَعْيِ وَبَعِيدَ عَنِ الْأَسْتِعْدَادِ لَهُ كُلُّ ذِيهِ عَنْهَا وَحَسِبَ
 ذَلِكَ مِنْ صُعُوبَةِ الْعِلْمِ فِي نَفْسِهِ فَتَكَاسَلَ عَنْهُ وَانْحَرَفَ عَنْ
 قَبُولِهِ وَتَمَادَى فِي هَجْرَانِهِ وَإِنَّمَا أَتَى ذَلِكَ مِنْ سُوءِ التَّعْلِيمِ
 وَلَا يَنْبَغِي لِلْمُعَلِّمِ أَنْ يَزِيدَ مُتَعَلِّمَهُ عَلَى فَهْمِ كِتَابِهِ الَّذِي أَكَبَّ
 عَلَى التَّعَلُّمِ مِنْهُ بِسَبَبِ طَاقَتِهِ وَعَلَى نِسْبَةِ قَبُولِهِ لِلتَّعْلِيمِ مُبْتَدِئًا
 كَانَ أَوْ مُتَمْتِعًا وَلَا يَخْلُطُ مَسَائِلَ الْكُتَابِ بِغَيْرِهَا حَتَّى يَبْعِثَ
 مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ وَبِحُصِّلِ اغْرَاضِهِ وَيَسْتَوِلِيَ مِنْهُ عَلَى مَلَكَهَ
 بِهَا يَنْفِذُ فِي غَيْرِهِ لِأَنَّ الْمُتَعَلِّمَ إِذَا حَصَلَ مَلَكَهَ مَا فِي عِلْمِ
 مِنَ الْعُلُومِ اسْتَعَدَّ بِهَا لِقَبُولِ مَا بَقِيَ وَحَصَلَ لَهُ نَشَاطٌ فِي طَلَبِ
 الْمَزِيدِ وَالنُّهُوضِ إِلَى مَا فَوْقَ حَتَّى يَسْتَوِلِيَ عَلَى غَايَاتِ الْعِلْمِ
 وَإِذَا خِلَطَ عَلَيْهِ الْأُمُورُ عَجَزَ عَنِ الْفَهْمِ وَأَدْرَكَهُ التَّكَلُّالُ
 وَأَنْطَمَسَ فِكْرُهُ وَيَسَّرَ مِنَ التَّحْصِيلِ وَهَجَرَ الْعِلْمَ وَالتَّعْلِيمَ
 وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَكَذَلِكَ يَنْبَغِي لَكَ أَنْ لَا تُطَوِّلَ عَلَى
 الْمُتَعَلِّمِ فِي الْفَنِّ الْوَاحِدِ بِتَفْرِيقِ الْعَجَائِلِ وَتَقْطِيعِ مَا بَيْنَهَا
 لِأَنَّهُ ذَرِيعَةٌ إِلَى النِّسْبَانِ وَأَنْقِطَاعِ مَسَائِلِ الْفَنِّ بَعْضُهَا مِنْ
 بَعْضٍ فَيَعْسُرُ حُصُولُ الْمَلَكَهَ بِتَفْرِيقِهَا وَإِذَا كَانَتْ أَوَائِلُ

الْعِلْمُ وَأَوَّخِرُهُ حَاضِرَةٌ عِنْدَ الْفِكْرِ مُجَانِبَةٌ لِلنِّسْبَانِ كَانَتْ
 الْمَلَكَةُ أَيْسَرَ حُصُولًا وَأَحْكَمَ أَرْتِبَاطًا وَأَقْرَبَ صَبْغَةً لِأَنَّ
 الْمَلَكَاتِ إِنَّمَا تَحْصُلُ بِتَبَاعِ الْفِعْلِ وَتَكَرَّارِهِ وَإِذَا تُنَوِّسِي
 الْفِعْلَ تُنَوِّسِي الْمَلَكَةَ النَّاشِئَةَ عَنْهُ وَاللَّهُ عَلَّامٌ مَا لَمْ تَكُونُوا
 تَعْلَمُونَ وَمِنْ الْمَذَاهِبِ الْحَبِيدَةِ وَالطَّرِيقِ الْوَاجِبَةِ فِي التَّعْلِيمِ
 أَنَّ لَا يَخْلُطُ عَلَى الْمُتَعَلِّمِ عِلْمَانِ مَعًا فَإِنَّهُ حِينَئِذٍ قَلَّ أَنْ يَظْفَرَ
 بِوَاحِدٍ مِنْهُمَا لِمَا فِيهِ مِنْ تَقْسِيمِ أَلْبَالٍ وَأَنْصِرَافِهِ عَنْ كُلِّ وَاحِدٍ
 مِنْهُمَا إِلَى تَفْهَمِ الْآخَرِ فَيَسْتَغْلِقَانِ مَعًا وَيَسْتَصْعِبَانِ وَيَعُودُ مِنْهُمَا
 بِالْأُخْيَةِ . وَإِذَا تَفَرَّغَ الْفِكْرُ لِلتَّعْلِيمِ مَا هُوَ بِسَبِيلِهِ مُقْتَصِرًا عَلَيْهِ
 فَرُبَّمَا كَانَ ذَلِكَ أَجْدَرَ لِحَصِيلِهِ وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الْمُوَفِّقُ
 لِلصَّوَابِ

(عن ابن خلدون)

الفصل الخامس

في استعمال العلم

قَالَ بَعْضُ الْبُلَغَاءِ ثَمَرَةُ الْعِلْمِ أَنْ يُعْمَلَ بِهِ . وَثَمَرَةُ
 الْعَمَلِ أَنْ يُوجَرَ عَلَيْهِ . وَقِيلَ مِنْ تِمَامِ الْعِلْمِ اسْتِعْمَالُهُ . وَمِنْ
 تِمَامِ الْعَمَلِ اسْتِفْلَالُهُ . فَهِنْ اسْتَعْمَلَ عَلَيْهِ لَمْ يَخْلُ مِنْ رَشَادٍ .

وَمَنْ أَسْتَقَلَّ عَمَلُهُ لَمْ يَقْصِرْ عَنْ مُرَادٍ. وَقَالَ أَبُو تَهَامٍ الطَّائِي
وَلَمْ يُحْمَدُوا مِنْ عَالِمٍ غَيْرِ عَامِلٍ خَلَقَا وَلَا مِنْ عَامِلٍ غَيْرِ عَالِمٍ
رَأَوْا طُرُقَاتِ الْعَجْزِ عَوْجًا فَطَبِيعَةً وَأَفْطَحُ غَجْزٍ عِنْدَهُمْ عَجْزٌ حَازِمٌ
وَقِيلَ فِي مَشْهُورِ الْحِكْمِ لَمْ يَنْتَفِعْ بِعِلْمِهِ مَنْ تَرَكَ الْعَمَلَ بِهِ
وَقِيلَ فِي مَشْهُورِ الْحِكْمِ أَيْضًا النَّارُ لَا يَنْقُصُهَا مَا أُخِذَ مِنْهَا وَلَكِنْ
يُجْهِدُهَا أَنْ لَا تَجِدَ حَطْبًا كَذَلِكَ الْعِلْمُ لَا يُفْنِيهِ إِلَّا قَتْبٌ وَسُ وَلَكِنْ
فَقَدْ أَتَحَامِلِينَ لَهُ سَبَبُ عَدَمِهِ. فَإِيَّاكَ وَالْجُلَّ بِمَا تَعْلَمُ

الفصل السادس

فِيمَا يَجِبُ أَنْ يَكُونَ عَلَيْهِ الْعُلَمَاءُ مِنَ الْأَخْلَاقِ الْمُجْدِبَةِ بِهِمْ
أَمَّا مَا يَجِبُ أَنْ يَكُونَ عَلَيْهِ الْعُلَمَاءُ مِنَ الْأَخْلَاقِ الَّتِي
بِهِمْ أَلِيقُ وَلَهُمْ أَلْزَمُ فَالْتَوَاضِعُ وَمُجَانِبَةُ الْعُجْبِ. لِأَنَّ التَّوَاضِعَ
عَطُوفٌ وَالْعُجْبُ مُنْفَرٌّ وَهُوَ بِكُلِّ أَحَدٍ فَيُجِبُ بِالْعُلَمَاءِ أَفْعَى لِأَنَّ
النَّاسَ بِهِمْ يَقْتَدُونَ. وَكَثِيرًا مَا يَدْخُلُهُمُ الْإِعْجَابُ لِتَوْحِيدِهِمْ
بِفَضِيلَةِ الْعِلْمِ وَلَوْ أَنَّهُمْ نَظَرُوا حَقَّ النَّظَرِ وَعَمِلُوا بِمُوجِبِ
الْعِلْمِ لَكَانَ التَّوَاضِعُ بِهِمْ أَوَّلَى وَمُجَانِبَةُ الْعُجْبِ بِهِمْ أُخْرَى
لِأَنَّ الْعُجْبَ تَقْصُّ يَنَا فِي الْفَضْلِ وَيَأْكُلُ الْخِشَانَتِ كَمَا تَأْكُلُ

النَّارُ أَلْخَطَبَ فَلَا يَفِي مَا أَدْرَكُوهُ مِنْ فَضِيلَةِ الْعِلْمِ بِهَا لِحَقِّهِمْ
 مِنْ نَقْصِ الْعَجَبِ * وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ
 وَتَعَلَّمُوا الْعِلْمَ السَّكِينَةَ وَالْحِلْمَ وَتَوَاضَعُوا لِمَنْ تَعْلَمُونَ وَلِيَتَوَاضِعَ
 لَكُمْ مَنْ تَعْلَمُونَهُ وَلَا تَكُونُوا مِنْ جَبَابِرَةِ الْعُلَمَاءِ فَلَا يَقُومُ عَلَيْكُمْ
 بِجَهْلِكُمْ * وَقَالَ الشَّعْبِيُّ الْعِلْمُ ثَلَاثَةُ أَشْبَارٍ فَمَنْ نَالَ مِنْهُ شَبْرًا
 شَبَّحَ بِأَنفِهِ وَظَنَّ أَنَّهُ نَالَهُ وَمَنْ نَالَ الشَّيْرَ الثَّانِي صَغُرَتْ
 إِلَيْهِ نَفْسُهُ وَعَلِمَ أَنَّهُ لَمْ يَنَلْهُ وَأَمَّا الشَّيْرُ الثَّلَاثُ فَهِيَ بَاتٍ لَا
 يَنَالُهُ أَحَدٌ أَبَدًا

وَمِنْ أَوْضَحِ ذَلِكَ بَيَانًا اسْتِعَاذَةُ الْمُجَاحِظِ فِي كِتَابِ الْبَيَانِ
 حَيْثُ يَقُولُ اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْقَوْلِ كَمَا نَعُوذُ بِكَ
 مِنْ فِتْنَةِ الْعَمَلِ وَنَعُوذُ بِكَ مِنَ التَّكَلُّفِ لِمَا لَا نُحْسِنُ كَمَا
 نَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجَبِ بِهَا نُحْسِنُ وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ السَّلَاطَةِ
 وَالْهَذَرِ كَمَا نَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ الْعِيِّ وَالْخَصْرِ * وَقَالَ بَعْضُ
 الْحُكَمَاءِ مِنَ الْعِلْمِ أَنْ لَا تَتَكَلَّمَ فِيهَا لَا تَعْلَمْ بِكَلَامٍ مَنْ يَعْلَمْ
 فَحَسْبُكَ جَهْلًا مِنْ عَقْلِكَ أَنْ تَنْطِقَ بِهَا لَا تَقْهَمُ * وَلَقَدْ أَحْسَنَ
 زُرَّارَةُ بْنُ زَيْدٍ حَيْثُ يَقُولُ

إِذَا مَا أَتَيْتُ عَلَى تَنَاهَيْتُ عِنْدَهُ أَطَالَ فَأَمَلَى أَوْ تَنَاهَى فَأَقْصَرَ

وَيُخْبِرُنِي عَنْ غَائِبِ الْمَرَّةِ فِعْلُهُ

كَفَى الْفِعْلُ عَمَّا غَيْبَ الْمَرَّةِ مُخْبِرًا

وَقَالَ بَعْضُ الْبُلْغَاءِ مِنْ فَضْلِ عَلَيْكَ اسْتِغْلَالُكَ لِعِلْمِكَ
وَمِنْ كَمَالِ عَقْلِكَ اسْتَظْهَارُكَ عَلَى عَقْلِكَ . وَلَا يَنْبَغِي لِلْعَالِمِ
أَنْ يَجْهَلَ مِنْ نَفْسِهِ مَبْلَغَ عِلْمِهَا وَلَا يَتَجَاوَزُ بِهَا قَدْرَ حَقِّهَا وَلَا أَنْ
يَكُونَ بِهَا مُتَصِرًا فَيُذْعِنَ بِالْإِثْقَادِ أَوَّلَى مِنْ أَنْ يَكُونَ بِهَا
مُجَاوِزًا فَيَكْفُفَ عَنِ الْإِزْدِيَادِ لِأَنَّ مَنْ جَهَلَ حَالَ نَفْسِهِ كَانَ
لِغَيْرِهَا أَجْهَلَ * وَقَدْ قَسَمَ الْخَلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ أَحْوَالَ النَّاسِ
فِيهَا عَلَيْهِمْ أَوْ جَهْلُهُمْ أَرْبَعَةَ أَقْسَامٍ مُتَابِلَةٍ لَا يَخْلُو الْإِنْسَانُ
مِنْهَا . فَقَالَ الرِّجَالُ أَرْبَعَةٌ رَجُلٌ يَدْرِي وَيَدْرِي أَنَّهُ يَدْرِي
فَذَلِكَ عَالِمٌ فَاسْأَلُوهُ . وَرَجُلٌ يَدْرِي وَلَا يَدْرِي أَنَّهُ يَدْرِي
فَذَلِكَ نَاسٍ فَذَكِّرُوهُ . وَرَجُلٌ لَا يَدْرِي وَيَدْرِي أَنَّهُ لَا يَدْرِي
فَذَلِكَ مُسْتَرْشِدٌ فَارْشِدُوهُ . وَرَجُلٌ لَا يَدْرِي وَلَا يَدْرِي أَنَّهُ
لَا يَدْرِي فَذَلِكَ جَاهِلٌ فَارْفُضُوهُ * وَأَنْشَدَ أَبُو الْقَاسِمِ الْأَمْدِيُّ

إِذَا كُنْتَ لَا تَدْرِي وَلَمْ تَكُ بِالَّذِي

يُسَائِلُ مَنْ يَدْرِي فَكَيْفَ إِذَنْ تَدْرِي

(من كتاب ادب الدنيا والدين)

الباب الثاني

وفيه عشرة فصول

الفصل الأول

في أركان الكتابة

إِعلم أنَّ أَرْكَانَ الْكِتَابَةِ الَّتِي لَا بُدَّ مِنْ مُرَاعَاتِهَا فِي كُلِّ كِتَابٍ بِلَاغِيٍّ ذِي شَأْنٍ ثَلَاثَةٌ
 الْأَوَّلُ أَنْ يَكُونَ مَطْلَعُ الْكِتَابِ عَلَيْهِ حِدَّةٌ وَرَشَاقَةٌ
 فَإِنَّ الْكَاتِبَ مَنْ أَجَادَ الْمَطْلَعِ وَالْمَقْطَعِ. أَوْ يَكُونَ مَبْنِيًّا عَلَى
 مَقْصَدِ الْكِتَابِ وَلِهَذَا بَابٌ يُسَمَّى بَابَ الْبَادِي وَالْإِفْتِاحَاتِ^(١)
 فَلْيَحْذَ حَذُوهُ وَهَذَا الرُّكْنُ يَشْتَرِكُ فِيهِ الْكَاتِبُ وَالشَّاعِرُ
 الرُّكْنُ الثَّانِي أَنْ يَكُونَ خُرُوجُ الْكَاتِبِ مِنْ مَعْنَى إِلَى
 مَعْنَى بِرَابِطَةٍ لِيَكُونَ رِقَابُ الْمَعْنَى أَخِذًا بَعْضُهَا بِبَعْضٍ وَلَا
 تَكُونَ مُتَضَبَّةً وَلِذَلِكَ بَابٌ مُفْرَدٌ أَيْضًا يُسَمَّى بَابَ التَّخْلِصِ
 وَالْإِقْتِصَابِ^(٢). وَهَذَا الرُّكْنُ أَيْضًا يَشْتَرِكُ فِيهِ الْكَاتِبُ وَالشَّاعِرُ

١ انظر الفصل الثامن من هذا الباب ٢ انظر الفصل التاسع

من هذا الباب

الرُّكْنُ الثَّلَاثُ أَنْ تَكُونَ الْفَافُ الْكِتَابِ غَيْرَ مُخْلَقَةٍ
بِكَثْرَةِ الْإِسْتِعْمَالِ . وَلَا أُرِيدُ بِذَلِكَ أَنْ تَكُونَ الْفَافُ غَرِيبَةً
فَإِنَّ ذَلِكَ عَيْبٌ فَاحِشٌ بَلْ أُرِيدُ أَنْ تَكُونَ الْفَافُ الْمُسْتَعْمَلَةُ
مَسْبُوكَةً سَبْكَاً غَرِيباً يَظُنُّ السَّامِعُ أَنَّهَا غَيْرُ مَا فِي أَيْدِي
النَّاسِ وَهِيَ مِمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ . وَهَنَّاكَ مُعْتَرِكُ الْفَصَاحَةِ
الَّذِي تَظْهَرُ فِيهِ الْخَوَاطِرُ بِرَاعَتِهَا وَالْأَقْلَامُ شَجَاعَتِهَا كَمَا
قَالَ الْبُخْتَرِيُّ

بِالْفَافِ يَقْرُبُ فَمَهُ فِي بَعْدِهِ عَنَّا وَيَبْعُدُ نَيْلُهُ فِي قُرْبِهِ
وَهَذَا الْمَوْضِعُ بَعِيدُ الْمَنَالِ كَثِيرُ الْأَشْكَالِ يَجَنَّاجُ إِلَى لُطْفِ
ذَوْقٍ وَشَهَامَةِ خَاطِرٍ وَهُوَ شَبِيهُ بِالشَّيْءِ الَّذِي يُقَالُ إِنَّهُ لَا
دَاخِلَ الْعَالَمِ وَلَا خَارِجَ الْعَالَمِ . فَلَفْظُهُ هُوَ الَّذِي يُسْتَعْمَلُ
وَلَيْسَ بِالَّذِي يُسْتَعْمَلُ أَيُّ إِنَّ مُفْرَدَاتِ الْفَافِ هِيَ الْمُسْتَعْمَلَةُ
الْمَالُوفَةُ وَلَكِنَّ سَبْكَهُ وَتَرْكِيبَهُ هُوَ الْغَرِيبُ الْعَجِيبُ . وَإِذَا
سَمَوْتَ أَيُّهَا الْكَاتِبُ إِلَى هَذِهِ الدَّرَجَةِ وَأَسْتَطَعْتَ طَعْمَ
هَذَا الْكَلَامِ الْمُبَارِكِ إِلَيْهِ عِلِمَتْ حِينَئِذٍ أَنَّهَ كَالرُّوحِ السَّائِكَةِ
فِي بَدَنِكَ الَّتِي قَالَ اللَّهُ فِيهَا قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَلَيْسَ
كُلُّ خَاطِرٍ يَرَاقِي إِلَى هَذِهِ الدَّرَجَةِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ

يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ . وَمَعَ هَذَا فَلَا تَظُنَّ أَيُّهَا
 النَّاطِرُ فِي كِتَابِي أَنِّي أَرَدْتُ بِهَذَا الْقَوْلِ إِهْمَالَ جَانِبِ الْمَعْنَى
 بِحَيْثُ يُؤْتَى بِاللَّفْظِ الْمَوْصُوفِ بِصِفَاتِ الْحُسْنِ وَالْمَلَا حَةِ وَلَا
 يَكُونُ تَحْتَهُ مِنَ الْمَعْنَى مَا يُمَاهِلُهُ وَيُسَاوِيهِ فَإِنَّهُ إِذَا كَانَ كَذَلِكَ
 كَانَ كَصُورَةِ حَسَنَةٍ بَدِيعَةٍ فِي حُسْنِهَا إِلَّا أَنَّ صَاحِبَهَا بَلِيدٌ
 أَهْلُهُ . وَهَذَا الرُّكْنُ أَيْضًا يَشْرِكُ فِيهِ الْكَاتِبُ وَالشَّاعِرُ
 (انتهى عن المثل السائر ببعض تصرف)

الفصل الثاني

في أدوات الكتابة

قَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ الشَّيْبَانِيُّ إِنْ كَانَ لَا بُدَّ لَكَ مِنْ
 طَلَبِ أَدَوَاتِ الْكِتَابَةِ فَتَصَغَّ مِنْ رَسَائِلِ الْمُتَقَدِّمِينَ مَا يَعْتَمِدُ
 عَلَيْهِ وَمِنْ رَسَائِلِ الْمُتَأَخِّرِينَ مَا يُرْجَعُ إِلَيْهِ وَمِنْ نَوَادِرِ
 الْأَكْلَامِ مَا تَسْتَعِينُ بِهِ وَمِنْ الْأَشْعَارِ وَالْأَخْبَارِ وَالسِّيَرِ
 وَالْأَسْمَاءِ مَا يَنْسَجُ بِهِ مَنْطِقُكَ وَيَطُولُ بِهِ قَلَمُكَ . وَانْظُرْ فِي
 كُتُبِ الْمَقَامَاتِ وَالْخُطَبِ وَمَجَاوِبَةِ الْعَرَبِ فِي حُرُوبِهِمْ
 وَأَمْثَالِ الْفُرْسِ وَرَسَائِلِهِمْ وَعُهُودِهِمْ وَسِيَرِهِمْ وَوَقَائِعِهِمْ

وَمَكَائِدِهِمْ فِي حُرُوبِهِمْ بَعْدَ أَنْ تَكُونَ مُتَوَسِّطًا عِلْمَ النَّحْوِ
وَالْغَرِيبِ وَكُتُبِ السَّجَلَاتِ وَالْأَمَانَاتِ لِتَكُونَ مَاهِرًا تَنْزِعُ
أَيَّ الْقُرْآنِ فِي مَوَاضِعِهَا وَأَخِلَافَ الْأَمْثَالِ فِي أَمَاكِينِهَا
وَقَرَضَ الشَّعْرِ الْحَبِيدَ وَعِلْمَ الْعُرُوضِ فَإِنَّ تَضْمِينَ الْمَثَلِ
السَّائِرِ وَالْبَيْتِ الْغَائِبِ الْبَارِعِ مِمَّا يَزِينُ كِتَابَكَ مَا لَمْ تُخَاطِبْ
خَلِيفَةً أَوْ مَلِكًا جَلِيلَ الْقَدْرِ فَإِنَّ أَجْنَالَ الشَّعْرِ فِي كُتُبِ
الْخُلَفَاءِ عَيْبٌ إِلَّا أَنْ يَكُونَ الْكَاتِبُ هُوَ الْقَارِضُ لِلشَّعْرِ
وَالصَّانِعُ لَهُ فَإِنَّ ذَلِكَ يَزِيدُ فِي أَهْنِهِ

وَإِذَا اخْتَجْتَ إِلَى مُخَاطَبَةِ الْمُلُوكِ وَالْوُزَرَاءِ وَالْعُلَمَاءِ
وَالْكَتَّابِ وَالْمُخْطَبَاءِ وَالْأَدَبَاءِ وَالشُّعْرَاءِ وَأَوْسَاطِ النَّاسِ
وَسُوقَتِهِمْ فَخَاطِبٌ كَلًّا عَلَى قَدْرِ أَهْنِهِ وَجَلَالَتِهِ وَعُلُوِّهِ
وَارْتِفَاعِهِ وَفِطْنَتِهِ وَأَنْتَبَاهِهِ وَتَخَيُّرٍ مِنَ الْأَلْفَاظِ أَرْجَحَهَا لَفْظًا
وَأَجْزَلَهَا وَأَشْرَفَهَا جَوْهَرًا وَأَكْرَمَهَا حَسَبًا وَالْيَقِيْنَا فِي مَكَانِهَا
وَأَشْكَلَهَا فِي مَوْضِعِهَا فَإِنْ حَاوَلْتَ صَنْعَ رِسَالَةٍ فَرِزِنِ اللَّفْظَةَ
قَبْلَ أَنْ تُخْرِجَهَا بِبِيزَانِ النَّصْرِيفِ إِذَا عَرَضَتْ وَعَايِرِ الْكَلِمَةَ
بِمَعْيَارِهَا إِذَا سَنَحَتْ فَإِنَّهُ رَبَّهَا مَرَّةً بِكَ مَوْضِعٌ يَكُونُ مُخْرَجُ
الْكَلَامِ فِيهِ إِذَا كَتَبْتَ أَنَا فَاعِلٌ أَحْسَنَ مِنْ أَنْ تَكْتُبَ أَنَا

أَفْعَلُ وَمَوْضِعٌ آخَرُ يَكُونُ فِيهِ اسْتَفْعَلْتُ أَحْلَى مِنْ فَعَلْتُ .
 فَأَدِرَ الْكَلَامَ عَلَى أَعْكَانِهِ وَقَلْبُهُ عَلَى جَمِيعِ وُجُوهِه فَأَيُّ لَفْظَةٍ
 رَأَيْتَهَا لَا تَقَعُ بِالْمَكَانِ الَّذِي نَدَبْتَهَا إِلَيْهِ فَأَنْزِعْهَا إِلَى الْمَكَانِ
 الَّذِي أَرَدْتَهَا لَهُ وَأَوْقِعْهَا فِيهِ وَلَا تَجْعَلِ اللَّفْظَةَ قَلَقَةً فِي
 مَوْضِعِهَا نَافِرَةً عَنْ مَكَانِهَا فَإِنَّكَ مَتَى فَعَلْتَ هَجَنْتَ الْمَوْضِعَ
 الَّذِي حَاوَلْتَ تَحْسِينَهُ وَأَفْسَدْتَ الْمَكَانَ الَّذِي أَرَدْتَ
 إِصْلَاحَهُ . فَإِنَّ وَضَعَ الْأَلْفَازِ فِي غَيْرِ أَمَاكِنِهَا وَقَصْدَكَ بِهَا
 إِلَى غَيْرِ مَصَابِيهَا إِنَّهَا هُوَ كَتَرَفِيعِ الثُّوبِ الَّذِي لَمْ تُشَابِهْهُ
 رِقَاعُهُ وَلَمْ تُقَارِبْ أَجْزَاؤُهُ وَخَرَجَ مِنْ حَدِّ الْجَدَةِ وَتَغَيَّرَ
 حُسْنُهُ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ

إِنَّ الْجَدِيدَ إِذَا مَا زِيدَ فِي خَلْقِ

يُبِينُ لِلنَّاسِ أَنَّ الثُّوبَ مَرْقُوعٌ

كَذَلِكَ كُلُّهَا أَحْلَى الْكَلَامُ وَعَذِبُ وَرَاقٍ وَسَهْلَةٌ

مُخَارِجُهُ كَانَ أَسْهَلَ وَلَوْ جَافِيَ الْأَسْبَاعِ وَأَشَدَّ اتِّصَالًا بِالْقُلُوبِ

وَأَخْفَّ عَلَى الْأَفْوَاهِ وَلَا سِيَّمَا إِنْ كَانَ الْمَعْنَى الْبَدِيعُ مُتَرَجِّمًا

بِلَفْظٍ مُؤَنَّقٍ شَرِيفٍ وَمُعَايِرًا بِكَلَامٍ عَذِبٍ لَمْ يَسِهْهُ التَّكْلِيفُ

بِمِيسَرِهِ وَلَمْ يُفْسِدْهُ التَّعْقِيدُ بِاسْتِمْلَاحِهِ

وَقَدْ رَأَيْتَهُمْ شَبَّهُوا الْمَعْنَى الْخَفِيَّ بِالرُّوحِ الْخَفِيِّ وَاللَّفْظَ
الظَّاهِرَ بِالْجَسَدِ الظَّاهِرِ وَإِذَا لَمْ يَنْهَضْ بِالْمَعْنَى الشَّرِيفِ
الْجَزَلِ لَفْظٌ شَرِيفٌ جَزَلٌ أَمْ تَكُنِ الْعِبَارَةُ وَاضِحَةً وَلَا النِّظَامُ
مُتَسِقًا وَتَضَائِلُ الْمَعْنَى الْحَسَنُ تَحْتَ اللَّفْظِ الْقَبِيحِ كَتَضَائِلِ
الْحُسْنَاءِ فِي الْأَطْهَارِ الرَّثَّةِ (انتهى ملخصاً عن العقد النريد)

الفصل الثالث

فِي الصَّنَاعَةِ اللَّفْظِيَّةِ وَهِيَ فِسْهَانُ

القسم الأول

فِي اللَّفْظَةِ الْمَفْرَدَةِ

إِعْلَمْ أَنَّهُ يَحْتَاجُ صَاحِبُ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ فِي تَأْلِيلِهِ إِلَى ثَلَاثَةِ
أَشْيَاءَ. الْأَوَّلُ مِنْهَا اخْتِيَارُ الْأَلْفَاظِ الْمَفْرَدَةِ وَحُكْمُ ذَلِكَ
حُكْمُ اللَّائِي الْمُبَدَّاةِ فَإِنَّهَا تُخَيَّرُ وَتُنْتَقَى قَبْلَ النَّظْمِ. الثَّانِي
نَظْمُ كُلِّ كَلِمَةٍ مَعَ اخْتِيَارِهَا فِي الْمُسَاكَلَةِ لَهَا لِئَلَّا يَجِيءَ الْكَلَامُ
قَلْبًا نَافِرًا عَنْ مَوَاضِعِهِ وَحُكْمُ ذَلِكَ حُكْمُ الْعَقْدِ الْمَنْظُومِ فِي
أَقْرَانِ كُلِّ لَوْلُوَةٍ مِنْهُ بِاخْتِيَارِ الْمُسَاكَلَةِ لَهَا. الثَّلَاثُ الْغَرَضُ

الْمَقْصُودُ مِنْ ذَلِكَ الْكَلَامِ عَلَى اخْتِلَافِ أَنْوَاعِهِ وَحُكْمُ
 ذَلِكَ حُكْمُ الْمَوْضِعِ الَّذِي يُوضَعُ فِيهِ الْعَقْدُ الْمَنْظُومُ فَتَارَةً
 يُجْعَلُ أَكْلِيلاً عَلَى الرَّأْسِ وَتَارَةً يُجْعَلُ فِلَادَةً فِي الْعُنُقِ وَتَارَةً
 يُجْعَلُ شَيْئاً فِي الْأُذُنِ وَلِكُلِّ مَوْضِعٍ مِنْ هَذِهِ الْمَوَاضِعِ هَيْئَةٌ
 مِنَ الْحُسْنِ تَخْصُهُ. فَهَذِهِ ثَلَاثَةُ أَشْيَاءٍ لَا بُدَّ لِلْخَطِيبِ وَالشَّاعِرِ
 مِنَ الْعِنَايَةِ بِهَا وَهِيَ الْأَصْلُ الْمُعْتَمَدُ عَلَيْهِ فِي تَأْيِيفِ الْكَلَامِ
 مِنَ النَّظْمِ وَالنَّثْرِ. فَالْأَوَّلُ وَالثَّانِي مِنْ هَذِهِ الثَّلَاثَةِ الْمَذْكُورَةِ
 هُمَا الْمُرَادُ بِالْفَصَاحَةِ وَالثَّلَاثَةُ بِجَمَلَتِهَا هِيَ الْمُرَادُ بِالْبَلَاغَةِ.
 وَهَذَا الْمَوْضِعُ يُضِلُّ فِي سُلُوكِ طَرِيقِهِ الْعُلَمَاءُ بِصِنَاعَةِ صَوْنِ
 الْكَلَامِ مِنَ النَّظْمِ وَالنَّثْرِ فَكَيْفَ الْجَهَالُ الَّذِينَ لَمْ تَنْفَعَهُمْ
 رَاحَتُهُ. وَمَنْ الَّذِي يُؤْتِيهِ اللَّهُ فِطْرَةً نَاصِعَةً يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ
 وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ حَتَّى يَنْظُرَ إِلَى أَسْرَارِ مَا يَسْتَعْمِلُهُ مِنَ
 الْأَلْفَافِ فَيَضَعُهَا فِي مَوَاضِعِهَا

وَقَدْ ذَكَرَ مَنْ تَقَدَّمَ مِنْ عُلَمَاءِ الْبَيَانِ لِلْأَلْفَافِ الْمَفْرَدَةِ
 خَصَائِصَ وَهَيْئَاتٍ تَتَصِفُ بِهَا وَاخْتَلَفُوا فِي ذَلِكَ وَاسْتَحْسَنَ
 أَحَدُهُمْ شَيْئاً فَخُوِّفَ فِيهِ وَكَذَلِكَ اسْتَفْجَحَ الْآخَرُ شَيْئاً فَخُوِّفَ
 فِيهِ. وَلَوْ حَقَّقُوا النَّظَرَ وَوَقَفُوا عَلَى السِّرِّ فِي اتِّصَافِ بَعْضِ

أَلَا لَفَاطٍ بِأَلْحُسْنِ وَبَعْضُهَا بِأَلْقَبِّ لِمَا كَانَ بَيْنَهُمْ خِلَافٌ فِي شَيْءٍ مِنْهَا. وَقَدْ أَشْرْتُ إِلَى ذَلِكَ فِي الْفَصْلِ الثَّامِنِ مِنْ مُقَدِّمَةِ كِتَابِي هَذَا الَّذِي يَشْتَمِلُ عَلَى ذِكْرِ الْفَصَاحَةِ ^(١) وَفِي الْوُقُوفِ عَلَيْهِ وَالْإِحَاطَةِ بِهِ غَنَى عَنْ غَيْرِهِ. وَلَكِنْ لَا بُدَّ أَنْ نَذْكُرَ هُنَا تَفْصِيلًا لِمَا أَجْمَلْنَاهُ هُنَاكَ لِأَنَّا ذَكَّرْنَا فِي ذَلِكَ الْفَصْلِ أَنَّ أَلَا لَفَاطَ دَاخِلَةً فِي حِيزِ الْأَصْوَاتِ لَا نَهَا مُرَكَّبَةً مِنْ مَخَارِجِ الْأَحْرُوفِ فَمَا اسْتَلْذَهُ السَّمْعُ مِنْهَا فَهُوَ الْحَسَنُ وَمَا كَرِهَهُ وَنَبَا عَنْهُ فَهُوَ الْقَبِيحُ. وَإِذَا ثَبَتَ ذَلِكَ فَلَا حَاجَةَ إِلَى مَا ذَكَرَ مِنْ نِلْكَ الْخَصَائِصِ وَالْهَيْئَاتِ الَّتِي أَوْرَدَهَا عُلَمَاءُ الْبَيَانِ فِي كُتُبِهِمْ لِأَنَّهُ إِذَا كَانَ اللَّفْظُ لَدِيدًا فِي السَّمْعِ كَارًا حَسَنًا وَإِذَا كَانَ حَسَنًا دَخَلَتْ نِلْكَ الْخَصَائِصِ وَالْهَيْئَاتِ فِي ضِمْنِ حُسْنِهِ

وَقَدْ رَأَيْتُ جَمَاعَةً مِنَ الْجُهَالِ إِذَا قِيلَ لِأَحَدِهِمْ إِنَّ هَذِهِ اللَّفْظَةُ حَسَنَةٌ وَهَذِهِ قَبِيحَةٌ أَنْكَرَ ذَلِكَ وَقَالَ كُلُّ الْأَلْفَاطِ حَسَنٌ وَالْوَاضِعُ لَمْ يَضَعْ إِلَّا حَسَنًا وَمَنْ يَبْلُغُ جَهْلُهُ إِلَى أَنْ لَا يَفْرُقَ بَيْنَ لَفْظَةِ الْغُصْنِ وَلَفْظَةِ الْعُسْلُوجِ وَيَبْنِي لَفْظَةً

الْهُدَامَةِ وَلَفْظَةُ الْإِسْفِنِطِ وَبَيْنَ لَفْظَةِ السَّيْفِ وَلَفْظَةِ الْخَنْشَلِ
وَبَيْنَ لَفْظَةِ الْأَسَدِ وَلَفْظَةِ الْفَدْوْكِسِ فَلَا يَنْبَغِي أَنْ يُخَاطَبَ
بِخَطَابٍ وَلَا بِجَوَابٍ بِجَوَابٍ

وَقَدْ بَقِيََتْ هُنَاكَ أَوْصَافٌ أُخْرَى يَنْبَغِي أَنْ يُنَبِّهَ عَلَيْهَا.
فَمِنْهَا أَنْ لَا تَكُونَ الْكَلِمَةُ وَحْشِيَّةً. وَقَدْ خَفِيَ الْوَحْشِيُّ عَلَى
جَمَاعَةٍ مِنَ الْمُتَشَبِّهِينَ إِلَى صِنَاعَةِ النَّظْمِ وَالنَّثْرِ وَظَنُوهُ الْمُسْتَفْهِجَ
مِنَ الْأَلْفَافِ وَلَيْسَ كَذَلِكَ بَلِ الْوَحْشِيُّ يُقْسِمُ قِسْمَيْنِ أَحَدُهُمَا
غَرِيبٌ حَسَنٌ وَالْآخَرُ غَرِيبٌ قَبِيحٌ وَذَلِكَ أَنَّهُ مَنْسُوبٌ إِلَى
اسْمِ الْوَحْشِ الَّذِي يَسْكُنُ الْفَرَارَ وَلَيْسَ بِأَنْيَسٍ وَكَذَلِكَ
الْأَلْفَافُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَأْنُوسَةً لِإِسْتِعْمَالِ. وَلَيْسَ مِنْ شَرْطِ
الْوَحْشِ أَنْ يَكُونَ مُسْتَفْهِجًا بَلِ أَنْ يَكُونَ نَافِرًا لَا يَأْلُ الْإِنْسَ
فِتَارَةً يَكُونُ حَسَنًا وَتَارَةً يَكُونُ قَبِيحًا. وَعَلَى هَذَا فَإِنَّ أَحَدَ قِسْمِي
الْوَحْشِيِّ وَهُوَ الْغَرِيبُ الْحَسَنُ يُخْتَلَفُ بِأَخْتِلَافِ النِّسَبِ
وَالْإِضَافَاتِ وَأَمَّا الْقِسْمُ الْآخَرُ مِنَ الْوَحْشِيِّ الَّذِي هُوَ قَبِيحٌ
فَإِنَّ النَّاسَ فِي اسْتِغْبَاحِهِ سَوَاءٌ وَلَا يُخْتَلَفُ فِيهِ عَرَبِيٌّ بَادٍ وَلَا
قُرَوِيٌّ مُخَضَّرٌ. وَأَحْسَنُ الْأَلْفَافِ مَا كَانَ مَأْلُوفًا مُتَدَاوِلًا لِأَنَّهُ
لَمْ يَكُنْ مَأْلُوفًا مُتَدَاوِلًا إِلَّا لِمَكَانٍ حُسْنِهِ وَقَدْ تَقَدَّمَ الْكَلَامُ عَلَى

ذَلِكَ فِي بَابِ الْفَصَاحَةِ^(١). فَإِنَّ أَرْبَابَ الْمُخْطَابَةِ وَالشَّعْرِ
نَظَرُوا إِلَى الْأَلْفَاظِ وَتَقَبُّوا عَنْهَا ثُمَّ عَدَلُوا إِلَى الْأَحْسَنِ مِنْهَا
فَاسْتَعْمَلُوهُ وَتَرَكَوا مَا سِوَاهُ وَهُوَ أَيْضًا يَتَفَاوَتْ فِي دَرَجَاتِ
حُسْنِهِ فَالْأَلْفَاظُ إِذَنْ تَنْقَسِمُ ثَلَاثَةً أَقْسَامٍ فِيسَمَانِ حَسَنَانِ
وَفِسْمٍ نَقِيبٍ^(٢). فَالْفِيسَمَانِ الْحَسَنَانِ أَحَدُهُمَا مَا تَدَاوَلَ اسْتِعْمَالُهُ
الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ مِنَ الزَّمَنِ الْقَدِيمِ إِلَى زَمَانِنَا هَذَا وَلَا يُطْلَقُ
عَلَيْهِ أَنَّهُ وَحْشِيٌّ^(٣). وَالْآخَرُ مَا تَدَاوَلَ اسْتِعْمَالُهُ الْأَوَّلُ دُونَ
الْآخِرِ وَبِخْتَلَفٍ فِي اسْتِعْمَالِهِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الزَّمَنِ وَأَهْلِهِ وَهَذَا
هُوَ الَّذِي لَا يُعَابُ اسْتِعْمَالُهُ عِنْدَ الْعَرَبِ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُمْ
وَحْشِيًّا وَهُوَ عِنْدَنَا وَحْشِيٌّ^(٤). وَقَدْ تَضَمَّنَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ مِنْهُ
كَلِمَاتٍ مَعْدُودَةٌ وَهِيَ الَّتِي يُطْلَقُ عَلَيْهَا غَرِيبُ الْقُرْآنِ
وَكَذَلِكَ تَضَمَّنَ الْحَدِيثُ النَّبَوِيُّ مِنْهُ شَيْئًا وَهُوَ الَّذِي يُطْلَقُ
عَلَيْهِ غَرِيبُ الْحَدِيثِ

وَلَا يَسْبِقُ وَهْمُكَ أَيُّهَا الْهَاتِمُ إِلَى قَوْلِ الْقَائِلِ الَّذِي
غَلَبَ عَلَيْهِ غِلْظُ الطَّبَعِ وَفَجَاجَةُ الذَّهْنِ بِأَنَّ الْعَرَبَ كَانَتْ
تَسْتَعْمِلُ مِنَ الْأَلْفَاظِ كَذَا وَكَذَا فَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ حَسَنٌ بَلْ

يَنْبَغِي أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ الَّذِي نَسْتَحْسِنُهُ نَحْنُ فِي زَمَانِنَا هَذَا هُوَ
الَّذِي كَانَ عِنْدَ الْعَرَبِ مُسْتَحْسَنًا وَالَّذِي نَسْتَقْبِجُهُ هُوَ الَّذِي
كَانَ عِنْدَهُمْ مُسْتَقْبَجًا. وَالْأَسْتَعْمَالُ لَيْسَ بِدَلِيلٍ عَلَى الْحُسْنِ
فَإِنَّا نَحْنُ نَسْتَعْمِلُ الْآنَ مِنَ الْكَلَامِ مَا لَيْسَ بِحَسَنِ وَإِنَّمَا
نَسْتَعْمِلُهُ لِضُرُورَةٍ فَلَيْسَ أَسْتَعْمَالُ الْحُسْنِ بِمُمْكِنٍ فِي كُلِّ
الْأَحْوَالِ. وَهَذَا طَرِيقٌ يَضِلُّ بِغَيْرِ الْعَارِفِ بِمَسَالِكِهِ وَمَنْ لَمْ
يَعْرِفْ صِنَاعَةَ النِّظْمِ وَالنَّثْرِ وَمَا يَجِدُهُ صَاحِبُهَا مِنَ الْكُلْفَةِ فِي
صَوْغِ الْأَلْفَافِ وَأَخْيَارِهَا فَإِنَّهُ مَعْذُورٌ فِي أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ
لَا يَعْرِفُ الشُّوقَ إِلَّا مَنْ يَكِيدُهُ وَلَا الصَّبَابَةَ إِلَّا مَنْ يُعَانِيهَا
وَمَعَ هَذَا فَإِنَّ قَوْلَ الْقَائِلِ بِأَنَّ الْعَرَبَ كَانَتْ تَسْتَعْمِلُ مِنَ
الْأَلْفَافِ كَذَا وَكَذَا وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ حَسَنٌ قَوْلٌ فَاسِدٌ لَا
يَصْدُرُ إِلَّا عَنْ جَاهِلٍ فَإِنَّ اسْتِحْسَانَ الْأَلْفَافِ وَاسْتِقْبَاحَهَا لَا
يُؤْخَذُ بِالْتَّقْلِيدِ مِنَ الْعَرَبِ لِأَنَّهُ شَيْءٌ لَيْسَ لِلتَّقْلِيدِ فِيهِ مَجَالٌ
وَإِنَّمَا هُوَ شَيْءٌ لَهُ خَصَائِصٌ وَهَيْئَاتٌ وَعَلَامَاتٌ إِذَا وَجِدَتْ
عِلْمَ حُسْنِهِ مِنْ قُبْحِهِ وَقَدْ تَقَدَّمَ الْكَلَامُ عَلَى ذَلِكَ فِي بَابِ
الْفَصَاحَةِ وَالْبَلَاغَةِ. وَأَمَّا الَّذِي تَقِلَّدُ الْعَرَبَ فِيهِ مِنَ الْأَلْفَافِ
فَإِنَّمَا هُوَ الْأَسْتِشْهَادُ بِأَشْعَارِهَا عَلَى مَا يُنْقَلُ مِنْ لُغَتِهَا وَاتَّخَذُ

يَا قَوْلَاهَا فِي الْأَوْضَاعِ التَّحْوِيَةِ فِي رَفْعِ الْفَاعِلِ وَنَصْبِ
الْمَفْعُولِ وَجَرِّ الْمُضَافِ إِلَيْهِ وَجَزْمِ الشَّرْطِ وَأَشْبَاهِ ذَلِكَ
وَمَا عَدَاهُ فَلَا وَحُسْنُ الْأَلْفَاظِ وَفُجْهَاتُهَا لَيْسَ إِضَافِيًّا إِلَى زَيْدٍ
دُونَ عَمْرٍو أَوْ إِلَى عَمْرٍو دُونَ زَيْدٍ لِأَنَّهُ وَصَفَ ذَوَوِي لَا
يَتَغَيَّرُ بِالْإِضَافَةِ. أَلَا تَرَى أَنَّ لَفْظَةَ الْمُرْتَنَةِ مِثْلًا حَسَنَةً عِنْدَ
النَّاسِ كَأَفْهَمَ مِنَ الْعَرَبِ وَغَيْرِهِمْ وَهَلْ جَرَّ إِلَّا بِخَلْفٍ أَحَدٌ فِي
حُسْنِهَا. وَكَذَلِكَ لَفْظَةُ الْبُعَاقِ فَإِنَّهَا قَبِيحَةٌ عِنْدَ النَّاسِ كَأَفْهَمَ
مِنَ الْعَرَبِ وَغَيْرِهِمْ فَإِذَا اسْتَعْمَلْتَهَا الْعَرَبُ لَا يَكُونُ اسْتِعْمَالُهُمْ
إِيَّاهَا مَخْرَجًا لَهَا عَنِ الْقُبْحِ وَلَا يُلْتَفَتُ إِذْنٌ إِلَى اسْتِعْمَالِهِمْ
إِيَّاهَا بَلْ يُعَابُ اسْتِعْمَالُهَا وَيُغْلَظُ لَهُ النَّكِيرُ حَيْثُ اسْتَعْمَلَهَا
فَلَا تَنْظُرُ أَنَّ الْوَحْشِيَّ مِنَ الْأَلْفَاظِ مَا يَكْرَهُهُ سَمْعُكَ
وَيَقْبَلُ عَلَيْكَ النُّطْقُ بِهِ وَإِنَّمَا هُوَ الْغَرِيبُ الَّذِي يَقْبَلُ
اسْتِعْمَالُهُ فَتَارَةً يَخْفُ عَلَى سَمْعِكَ وَلَا تَجِدُ بِهِ كَرَاهَةً وَتَارَةً يَقْبَلُ
عَلَى سَمْعِكَ وَتَجِدُ مِنْهُ الْكَرَاهَةَ. وَذَلِكَ فِي اللَّفْظِ عَيَانٌ أَحَدُهُمَا
أَنَّهُ غَرِيبٌ أَلَا اسْتِعْمَالُ الْآخِرِ أَنَّهُ ثَقِيلٌ عَلَى السَّمْعِ كَرِيهٌ
عَلَى الذَّوْقِ. وَإِذَا كَانَ اللَّفْظُ بِهَذِهِ الصِّفَةِ فَلَا مَزِيدَ عَلَى
فَظَاطِنِهِ وَغِلَاطِنِهِ وَهُوَ الَّذِي يُسَمَّى الْوَحْشِيَّ الْغَلِيظَ وَيُسَمَّى

أَيْضًا الْمُتَوَعَّرَ وَلَيْسَ وَرَأَاهُ فِي الْقُبْحِ دَرَجَةٌ أُخْرَى وَلَا يَسْتَعْمِلُهُ
 إِلَّا أَجْهَلُ النَّاسِ مِمَّنْ لَمْ يَخْطُرْ بِيَالِهِ شَيْءٌ مِنْ مَعْرِفَةِ هَذَا
 الْفَنِّ أَصْلًا. فَإِنْ قِيلَ فَمَا هَذَا النَّوعُ مِنَ الْأَلْفَاظِ. قُلْتُ قَدْ
 ثَبَتَ لَكَ أَنَّهُ مَا كَرِهَهُ سَمْعُكَ وَثَقُلَ عَلَى لِسَانِكَ النُّطْقُ بِهِ.
 وَسَاءَ ضَرْبُ لَكَ فِي ذَلِكَ مِثَالًا فَبَيْنَهُ مَا وَرَدَ لَنَا بَطْ شَرًّا فِي
 كِتَابِ الْحِمَاسَةِ

يَظَلُّ بِهَوْمَةٍ وَيُبْسِي بِغَيْرِهَا

جَحِيشًا وَيَعْرُورِي ظُهُورَ الْمَسَالِكِ

فَإِنَّ لَفْظَةَ جَحِيشٍ مِنَ الْأَلْفَاظِ الْمُنْكَرَةِ الْقَبِيحَةِ. وَيَا لِلَّهِ
 الْعَجَبُ أَلَيْسَ أَنَّهَا بِمَعْنَى فَرِيدٍ وَفَرِيدٌ لَفْظَةٌ حَسَنَةٌ رَائِقَةٌ وَلَوْ
 وَضَعْتَ فِي هَذَا الْبَيْتِ مَوْضِعَ جَحِيشٍ لَهَا اخْتِلَافٌ شَيْءٌ مِنْ وَزْنِهِ.
 فَتَأْ بَطْ شَرًّا مَلُومٌ مِنْ وَجْهَيْنِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ أَحَدُهُمَا أَنَّهُ
 اسْتَعْمَلَ الْقَبِيحَ وَالْآخَرُ أَنَّهُ كَانَتْ لَهُ مَدْرُوحَةٌ عَنْ اسْتِعْمَالِهِ
 فَلَمْ يَعْدِلْ عَنْهُ. وَمِمَّا هُوَ أَقْبَحُ مِنْهَا مَا وَرَدَ لِأَبِي تَهَامٍ قَوْلُهُ
 قَدْ قُلْتُ لَهَا أَطْلَحِمُ الْأَمْرُ وَأَنْبَعَثُ

عَشَوَاءَ تَالِيَةٍ غُبَسَا دَهَارِيسَا

فَلَفْظَةُ أَطْلَحِمُ مِنَ الْأَلْفَاظِ الْمُنْكَرَةِ الَّتِي جَمَعَتِ الْوَصْفَيْنِ

الْفَيْحِينَ فِي أَنَّهَا غَرِيْبَةٌ وَأَنَّهَا غَلِيْظَةٌ فِي السَّمْعِ كَرِيْبَةٌ عَلَى
الذَّوْقِ . وَكَذَلِكَ لَفْظَةُ دَهَارِيسَ أَيْضًا . وَعَلَى هَذَا وَرَدَ قَوْلُهُ
مِنْ آيَاتٍ يَصِفُ فَرَسًا مِنْ جَمَلِهَا

نَعِمَ مَتَاعُ الدُّنْيَا حَبَاكَ بِهِ أَرْوَعُ لَا جِدْرٌ وَلَا جِسْرُ
فَلَفْظَةُ جِدْرٍ غَلِيْظَةٌ . وَأَغْلَظُ مِنْهَا قَوْلُ أَبِي الطَّيِّبِ الْمَتَنِئِيِّ
جَفَحْتُ وَهُمْ لَا يَجْفَحُونَ بِهَا بِهِمْ

شِمٌّ عَلَى الْحَسْبِ الْأَغَرِّ دَلَائِلُ

فَإِنَّ لَفْظَةَ جَفَحَ مَرَّةً الطَّعْمُ وَإِذَا مَرَّتْ عَلَى السَّمْعِ أَقْشَعَرَّ
مِنْهَا وَأَبُو الطَّيِّبِ فِي اسْتِعْمَالِهَا كَمَا اسْتَعْمَلَ تَابَّطَ شَرًّا لَفْظَةُ
جَحِيْشٍ . فَإِنَّ تَابَّطَ شَرًّا كَانَتْ لَهُ مَدْرُوحَةٌ عَنْ اسْتِعْمَالِ
تِلْكَ اللَّفْظَةِ كَمَا أَشَرْنَا إِلَيْهِ فِيهَا تَقَدَّمَ وَكَذَلِكَ أَبُو الطَّيِّبِ
فِي اسْتِعْمَالِ هَذِهِ اللَّفْظَةِ الَّتِي هِيَ جَفَحْتُ فَإِنَّ مَعْنَاهَا فَخَرْتُ
وَالْمَجْفَحُ الْفَخْرُ يُقَالُ جَفَحَ فُلَانٌ إِذَا فَخَرَ وَلَوْ اسْتَعْمَلَ عِوَضًا
عَنْ جَفَحْتُ فَخَرْتُ لَا اسْتِقَامَ وَزُنُ الْبَيْتِ وَحَظِّي فِي اسْتِعْمَالِهِ
بِالْأَحْسَنِ وَمَا أَعْلَمُ كَيْفَ يَذْهَبُ هَذَا وَأَمَّا لَهُ عَلَى مِثْلِ هَؤُلَاءِ
الْفُحُولِ مِنَ الشُّعْرَاءِ . وَهَذَا الَّذِي ذَكَرْتُهُ وَمَا يَجْرِي مَجْرَاهُ مِنَ
الْأَلْفَاظِ هُوَ الْوَحْشِيُّ الْغَلِيْظُ الَّذِي لَيْسَ لَهُ مَا يُدَانِيهِ فِي قُبْحِهِ

وَكَرَاهَتِهِ وَهَذِهِ الْأَمْثِلَةُ دَلِيلٌ عَلَى مَا أَرَدْنَاهُ. وَالْعَرَبُ إِذَنْ
لَا تُنَلِّمُ عَلَى اسْتِعْمَالِ الْغَرِيبِ الْحَسَنِ مِنَ الْأَلْفَاظِ وَإِنَّمَا
تُنَلِّمُ عَلَى الْغَرِيبِ الْقَبِيحِ. وَأَمَّا الْحَضَرِيُّ فَإِنَّهُ يُنَلِّمُ عَلَى
اسْتِعْمَالِ النَّسَبَيْنِ مَعًا وَهُوَ فِي أَحَدِهِمَا أَشَدُّ مَلَامَةً مِنْهُ فِي
الْآخَرِ

(عن المثل السائر)

الْقِسْمُ الثَّانِي فِي الْكَلَامِ

فَدَرَأَيْتُ جَمَاعَةً مِنْ مُدَّعِي هَذِهِ الصَّنَاعَةِ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ
الْكَلَامَ الْفَصِيحَ هُوَ الَّذِي يَعْرِضُ فِيهِ وَيَعْدُ مَتَنَاوِلُهُ وَإِذَا رَأَوْا
كَلَامًا وَحْشِيًّا غَامِضَ الْأَلْفَاظِ يُعْجِبُونَ بِهِ وَيَصِفُونَهُ بِالْفَصَاحَةِ
وَهُوَ بِالضِدِّ مِنْ ذَلِكَ لِأَنَّ الْفَصَاحَةَ هِيَ الظُّهُورُ وَالْبَيَانُ
لَا الْغُمُوضُ وَالْخَفَاءُ. وَسَائِبِينَ لَكَ مَا تَعْتَمِدُ عَلَيْهِ فِي هَذَا
الْمَوْضِعِ فَأَقُولُ الْأَلْفَاظُ تَنْقَسِمُ فِي الْأَسْتِعْمَالِ إِلَى جَزَلَةٍ
وَرَفِيقَةٍ وَلِكُلِّ مِنْهُمَا مَوْضِعٌ يُحْسَنُ اسْتِعْمَالُهُ فِيهِ. فَأَلْجِزُ
مِنْهَا يُسْتَعْمَلُ فِي وَصْفِ مَوَاقِفِ الْخُرُوبِ وَفِي قَوَارِعِ
الْتِهَادِ وَالتَّخْوِيفِ وَأَشْبَاهِ ذَلِكَ. وَأَمَّا الرَّفِيقُ مِنْهَا فَإِنَّهُ

يُسْتَعْمَلُ فِي وَصْفِ الْأَشْوَاقِ وَذِكْرِ أَيَّامِ الْعِبَادِ وَفِي اسْتِجْلَابِ
 الْمَوَدَّاتِ وَمُلَايَنَاتِ الْأَسْتَعْطَافِ وَأَشْبَاهِ ذَلِكَ . وَلَسْتُ
 أَعْنِي بِأَنْجَزٍ مِنَ الْأَلْفَافِ أَنْ يَكُونَ وَحْشِيًّا مُتَوَعِّرًا عَلَيْهِ
 عُنْجُومُ الْبَدَاوَةِ بَلْ أَعْنِي بِأَنْجَزٍ أَنْ يَكُونَ مَتِينًا عَلَى عَذُوبَتِهِ
 فِي الْفَمِ وَلَذَائِثِهِ فِي السَّمْعِ . وَكَذَلِكَ لَسْتُ أَعْنِي بِالرَّقِيقِ
 أَنْ يَكُونَ رَكِيكًا سَفْسَافًا وَإِنَّمَا هُوَ اللَّطِيفُ الرَّقِيقُ الْحَاشِيَةُ
 النَّاعِمُ الْمَلْبَسُ كَقَوْلِ أَبِي تَمَّامٍ

نَاعِمَاتُ الْأَطْرَافِ لَوَ أَنَّهُنَّ نَأْسٌ أُغْنَتْ عَنِ الْمَلَاءِ الرِّقَاقِ
 وَسَاءَ ضَرْبُ لَكَ مِثَالًا لِلْجَزْلِ مِنَ الْأَلْفَافِ وَالرَّقِيقِ فَأَقُولُ
 أَنْظُرْ إِلَى قَوَارِعِ الْقُرْآنِ عِنْدَ ذِكْرِ الْحِسَابِ وَالْعَذَابِ
 وَالْمِيزَانِ وَالصِّرَاطِ وَعِنْدَ ذِكْرِ الْمَوْتِ وَمُفَارَقَةِ الدُّنْيَا وَمَا
 جَرَى هَذَا الْعَجْرَى فَإِنَّكَ لَا تَرَى شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ وَحْشِيًّا
 الْأَلْفَافِ وَلَا مُتَوَعِّرًا . ثُمَّ أَنْظُرْ إِلَى ذِكْرِ الرَّحْمَةِ وَالرَّأْفَةِ
 وَالْمَغْفِرَةِ وَالْمَلَأَافَاتِ فِي خِطَابِ الْأَنْبِيَاءِ وَخِطَابِ
 الْمُنِيبِينَ وَالنَّائِبِينَ مِنَ الْعِبَادِ وَمَا جَرَى هَذَا الْعَجْرَى فَإِنَّكَ
 لَا تَرَى شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ ضَعِيفَ الْأَلْفَافِ وَلَا سَفْسَافًا . فَبِمِثَالِ
 الْأَوَّلِ وَهُوَ أَنْجَزُ مِنَ الْأَلْفَافِ قَوْلُهُ تَعَالَى وَنُفِخَ فِي الصُّورِ

فَصَعَقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ
ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ فِي يَوْمٍ يُنظَرُونَ. وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ
بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ
بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ. وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ
وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ. وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا
حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فَتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ
رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ
هَذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَتَمَتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ.
قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوًى
الْمُتَكَبِّرِينَ. وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَىٰ الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا
جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ
فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ
وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَّبِعُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ
الْعَامِلِينَ. فَتَأَمَّلْ هَذِهِ الْآيَاتِ الْمُبِصَّةَ ذِكْرَ الْخَشَرِ عَلَى
تَفَاصِيلِ أَحْوَالِهِ وَذِكْرَ النَّارِ وَالْجَنَّةِ وَانْظُرْ هَلْ فِيهَا كَلْفَةٌ
إِلَّا وَهِيَ سَهْلَةٌ مُسْتَعْدَّةٌ عَلَىٰ مَا بَيَّاهَا مِنَ الْحِزَالَةِ. وَكَذَلِكَ وَرَدَ
قَوْلُهُ تَعَالَى وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ

وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ
الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيهَا شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ
مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ. وَأَمَّا مِثَالُ الثَّانِي وَهُوَ الرَّفِيقُ مِنَ الْأَلْفَاظِ
فَقَوْلُهُ تَعَالَى فِي مُحَاطَبَةِ النَّبِيِّ وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَّأَمَا
وَدَعَاكَ رَبُّكَ وَمَا قُلَى إِلَى آخِرِ السُّورَةِ. وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ
تَعَالَى فِي تَرْغِيبِ الْمَسْئَلَةِ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي
قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِي إِذَا دَعَانِ. وَهَكَذَا تَرَى سَبِيلَ
الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي كِلَا هَذَيْنِ الْحَالَيْنِ مِنَ التَّجْزِأَةِ وَالرِّقَّةِ.
وَكَذَلِكَ كَلَامُ الْعَرَبِ الْأَوَّلِ فِي الزَّمَنِ الْقَدِيمِ مِمَّا وَرَدَ
عَنْهَا نَثْرًا وَيَكْفِي مِنْ ذَلِكَ كَلَامُ فَيْصَةَ بْنِ نَعِيمٍ لَمَّا قَدِمَ
عَلَى أَمْرِئِ الْقَيْسِ فِي أَشْيَاحِ ابْنِي أَسَدٍ يَسْأَلُونَهُ الْعَفْوَ عَنْ
دَمِ أَبِيهِ فَقَالَ لَهُ إِنَّكَ فِي الْحَلِّ وَالْقَدْرِ مِنَ الْمَعْرِفَةِ
بِتَصَرُّفِ الدَّهْرِ وَمَا تُحْدِثُهُ أَيَّامُهُ وَتَنْتَقِلُ بِهِ أَحْوَالُهُ بِحَيْثُ لَا
تُحْتَاجُ إِلَى تَذْكِيرٍ مِنْ وَاعِظٍ وَلَا تَبْصِيرٍ مِنْ مُجَرِّبٍ. وَلَكَ مِنْ
سُودِدِ مَنْصِبِكَ وَشَرَفِ أَعْرَافِكَ وَكَرَمِ أَصْلِكَ فِي الْعَرَبِ
مُحَدِّدٌ بِجَنَهِلٍ مَا حُبِلَ عَلَيْهِ مِنْ إِفْقَالَةِ الْعَثَرَةِ وَالرُّجُوعِ عَنِ
الْهَفْوَةِ وَلَا تَجَاوِزِ الْهَمَمِ إِلَى غَايَةٍ إِلَّا رَجَعْتَ إِلَيْكَ فَوَجَدْتَ

عِنْدَكَ مِنْ فَضِيلَةِ الرَّأْيِ وَبَصِيرَةِ الْفَهْمِ وَكَرَمِ الصَّغْمِ مَا
يَطُولُ رَغْبَاتِهَا وَيَسْتَغْرِقُ طَلِبَاتِهَا. وَقَدْ كَانَ الَّذِي كَانَ مِنْ
الْخُطْبِ الْجَلِيلِ الَّذِي عَمَّتْ رَزِيئَتُهُ نِزَارًا وَالْيَسَنَ وَلَمْ
تُخْصَصْ بِذَلِكَ كِنْدَةُ دُونَنَا لِلشَّرَفِ الْبَارِعِ الَّذِي كَانَ لِحَجْرِ
وَلَوْ كَانَ يُفْدَى هَالِكٌ بِالْأَنْفُسِ الْبَاقِيَةِ بَعْدَهُ لَمَا خَلَّتْ أَكَارِمُنَا
بِهَا عَلَى مِثْلِهِ وَلَكِنَّهُ مَضَى بِهِ سَبِيلٌ لَا تَرْجِعُ أَخْرَاهُ عَلَى أَوْلَاهُ
وَلَا يَلْحَقُ أَقْصَاهُ أَذْنَاهُ. فَأَحْمَدُ الْأَحْمَالَاتِ فِي ذَلِكَ أَنْ تَعْرِفَ
الْوَاجِبَ عَلَيْكَ فِي إِحْدَى خِلَالِ ثَلَاثٍ إِمَّا أَنْ تُخَنَّرَ مِنْ
بَنِي أَسَدٍ أَشْرَفَهَا بَيْتًا وَأَعْلَاهَا فِي بِنَاءِ الْمَكْرُمَاتِ صَوْتًا فَتَقْوَدَهُ
إِلَيْكَ بِنِسْعِهِ تَذْهَبُ مَعَ شَفَرَاتِ حُسَامِكَ يَبَاقِي قَصْرَتِهِ
فَتَقُولُ رَجُلٌ أَمْحَنَ بِهَا لِكَ عَزِيزٍ فَلَمْ يَسْتَلْ سَخِيئَتَهُ إِلَّا بِمَكْتَبِهِ
مِنَ الْإِنْتِقَامِ. وَإِمَّا فِدَاءٌ بِهَا يَرْوَحُ عَلَى بَنِي أَسَدٍ مِنْ نَعْمِهَا
فَهِيَ الْوَفْءُ تُجَاوِزُ الْخُمْسَةَ فَيَكُونُ ذَلِكَ فِدَاءً تَرْجِعُ بِهِ
الْقَضْبُ إِلَى أَجْفَانِهَا. وَإِمَّا أَنْ تُوَادِعَنَا إِلَى أَنْ تَضَعَ الْأَحْوَالِ
فَتُسَدِّلُ الْأُذُرَ وَتَعْقِدَ الْخُحْرَ فَوْقَ الرِّيَاطِ. قَالَ فَبِكِي سَاعَةً
ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ الْعَرَبُ أَنَّهُ لَا كُفُوَ لِحَجْرِ فِي
دَمٍ وَإِنِّي لَنْ أَغْنَاكَ جَمَلًا وَلَا نَافَةً فَأَكْتَسِبَ بِهِ سَبَّةً أَبَدًا

وَقَتَّ الْعَصْدُ. وَأَمَّا النَّظْرَةُ فَقَدْ أَوْجَبَتْهَا الْأَجِنَّةُ فِي بُطُونِ
 أُمَّهَاتِهَا وَلَكِنْ أَكُونُ لِعَظِيمِهَا سَبَبًا وَسَتَعْرِفُونَ طَلَائِعَ كِنْدَةٍ
 مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ تَحْمِلُ فِي الْقُلُوبِ حَقًّا وَفَوْقَ الْأَسِنَّةِ عِلْقًا
 إِذَا جَالَتْ أُنْحِيلُ فِي مَازِقِ

نُصَافِحُ فِيهِ الْمَنَايَا النُّفُوسَا

أَنْتَقِمُونَ أَمْ تَنْصَرِفُونَ. قَالُوا بَلْ نَنْصَرِفُ بِأَسْوَأِ الْأَخْبَارِ
 وَأَبْلَى الْأَجْتِرَارِ بِمَكْرُوهِ وَأَذِيَّةٍ وَحَرْبٍ وَبَلِيَّةٍ ثُمَّ نَهَضُوا
 عَنْهُ وَقَبِيصَةٌ يَتَمَثَّلُ

أَعْلَمَكَ أَنْ تَسْتَوْحِمَ الْوَرْدَ إِنْ عَدْتَ

كُنَائِبُنَا فِي مَازِقِ الْحَرْبِ تَهْطُرُ

فَقَالَ أَمْرُؤُ الْقَيْسِ لَا وَاللَّهِ وَلَكِنْ أَسْتَعِذُّهُ فَرَوَيْدًا يَنْفَرُجُ
 لَكَ دُجَاهًا مِنْ فُرْسَانِ كِنْدَةٍ وَكُنَائِبِ حَبِيرٍ وَلَقَدْ كَانَ ذِكْرُ
 غَيْرِ هَذَا بِأَوَّلَى إِذْ كُنْتَ نَازِلًا بِرَبْعِي وَلَكِنَّكَ قُلْتَ فَأَوْجَبْتَ
 فَلْتَنْظُرْ إِلَى هَذَا الْكَلَامِ مِنَ الرَّجُلَيْنِ قَبِيصَةٌ وَأَمْرِي الْقَيْسِ
 حَتَّى يَدَعَ الْمُنْعَمَتُونَ تَعْمَهُمْ فِي أَسْتِعْمَالِ الْوَحْشِيِّ مِنَ
 الْأَلْفَافِ فَإِنَّ هَذَا الْكَلَامَ قَدْ كَانَ فِي الزَّمَنِ الْقَدِيمِ قَبْلَ
 الْإِسْلَامِ بِمَا شَاءَ اللَّهُ

وَإِذَا كَانَ هَذَا قَوْلَ سَاكِنٍ فِي الْفَلَاةِ لَا يَرَى إِلَّا شَيْخَةً
أَوْ قَبِيصُومَةً وَلَا يَأْكُلُ إِلَّا ضَبًّا أَوْ يَرْبُوعًا فَمَا بَالُ قَوْمٍ
سَكَنُوا الْمُحَضَرَ وَوَجَدُوا رِفَةَ الْعَيْشِ يَتَعَاطُونَ وَحَشِيَّ الْأَلْفَاظِ
وَشَطَفَ الْعِبَارَاتِ وَمَا يُخَلِّدُ إِلَى ذَلِكَ إِلَّا إِمَامًا جَاهِلٌ بِأَسْرَارِ
الْفَصَاحَةِ وَإِمَامًا عَاجِزٌ عَنِ سُلُوكِ طَرِيقِهَا. فَإِنَّ كُلَّ أَحَدٍ
مِنْ شَدَا شَيْئًا مِنْ عِلْمِ الْأَدَبِ يُهَيِّئُهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْوَحْشِيِّ
مِنَ الْكَلَامِ وَذَلِكَ أَنَّهُ يَنْقُطُهُ مِنْ كُتُبِ اللُّغَةِ أَوْ يَتْلُقُهُ
مِنْ أَرْبَابِهَا. وَأَمَّا الْفَصِيحُ الْمُتَصِفُ بِصِفَةِ الْهَلَاةِ فَإِنَّهُ لَا
يَقْدِرُ عَلَيْهِ وَلَوْ قَدَرَ عَلَيْهِ لَمَا عِلِمَ أَتَيْنَ يَضَعُ يَدَهُ فِي تَأْلِيفِهِ
وَسَبْكِهِ فَإِنْ مَارَى فِي ذَلِكَ مُهَارٍ فَلْيَنْظُرْ إِلَى أَشْعَارِ عُلَمَاءِ
الْأَدَبِ مِنْ كَانَ مُشَارًا إِلَيْهِ حَتَّى يَعْلَمَ صِحَّةَ مَا ذَكَرْتُهُ.
هَذَا أَتَيْنُ دُرَيْدٌ قَدْ قِيلَ إِنَّهُ أَشْعَرُ عُلَمَاءِ الْأَدَبِ وَإِذَا
نَظَرْتَ إِلَى شَعْرِهِ وَجَدْتَهُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى شَعْرِ الشُّعْرَاءِ الْمُجِيدِينَ
مُخْطَاطًا مَعَ أَنَّ أَوْلِيكَ الشُّعْرَاءَ لَمْ يَعْرِفُوا مِنْ عِلْمِ الْأَدَبِ
عُشْرَ مِثْقَالٍ مَا عَلَيْهِ. هَذَا الْعَبَّاسُ ابْنُ الْأَحْنَفِ قَدْ كَانَ
مِنْ أَوَائِلِ الشُّعْرَاءِ الْمُجِيدِينَ وَشَعْرُهُ كَمِهْرٍ نَسِيمٍ عَلَى
عَذَبَاتِ أَغْصَانٍ وَكُلُوبَاتِ طَلٍّ عَلَى طُرُرِ رِيحَانٍ وَلَيْسَ فِيهِ

لَفْظَةٌ وَاحِدَةٌ غَرِيبَةٌ بِحِجَاجٍ إِلَى اسْتِخْرَاجِهَا مِنْ كُتُبِ اللُّغَةِ
(انتهى ملخصاً عن المثل السائر)

الفصل الرابع

فِي انْتِسَامِ الْكَلَامِ إِلَى فَنِّي النِّظْمِ وَالنَّثْرِ

إِعْلَمْ أَنَّ لِسَانَ الْعَرَبِ وَكَلَامَهُمْ عَلَى فَنَيْنِ فَنِّ الشِّعْرِ
الْمَنْظُومِ وَهُوَ الْكَلَامُ الْمَوْزُونُ الْمُقَفَّى وَمَعْنَاهُ الَّذِي تَكُونُ
أَوْزَانُهُ كُلُّهَا عَلَى رَوِيٍّ وَاحِدٍ وَهُوَ الْقَافِيَةُ . وَفَنِّ النَّثْرِ وَهُوَ
الْكَلَامُ غَيْرُ الْمَوْزُونِ . وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْفَنَيْنِ يَشْتَمِلُ عَلَى
فُنُونٍ وَمَذَاهِبٍ فِي الْكَلَامِ . فَأَمَّا الشِّعْرُ فَمِنْهُ الْمَدْحُ وَالْهَجَاءُ
وَالرِّثَاءُ . وَأَمَّا النَّثْرُ فَمِنْهُ السَّجْعُ الَّذِي يُؤْتَى بِهِ قِطْعًا وَيُلْتَزَمُ
فِي كُلِّ كَلِمَتَيْنِ مِنْهُ قَافِيَةٌ وَاحِدَةٌ وَيُسَمَّى سَجْعًا وَمِنْهُ الْمُرْسَلُ
وَهُوَ الَّذِي يُطْلَقُ فِيهِ الْكَلَامُ إِطْلَاقًا وَلَا يَقْطَعُ أَجْزَاءً بَلْ
يُرْسَلُ إِرْسَالًا مِنْ غَيْرِ تَقْيِيدٍ بِقَافِيَةٍ وَلَا غَيْرِهَا . وَيُسْتَعْمَلُ
فِي الْمُخْطَبِ وَالِدُّعَاءِ وَتَرْغِيبِ الْجُمْهُورِ وَتَرْهِيْبِهِمْ . وَأَمَّا
الْقُرْآنُ فَهُوَ وَإِنْ كَانَ مِنَ الْمَثُورِ إِلَّا أَنَّهُ خَارِجٌ عَنِ
الْوَصْفَيْنِ وَلَيْسَ يُسَمَّى مُرْسَلًا مُطْلَقًا وَلَا مُسَجَّعًا بَلْ تَفْصِيلُ

آيَاتٍ يَنْتَهِي إِلَى مَقَاطِعَ يَشْهَدُ الذَّوْقُ بِأَنْتَهَاءِ الْكَلَامِ عِنْدَهَا
 ثُمَّ يُعَادُ الْكَلَامُ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى بَعْدَهَا وَيَتَنَبَّهُ مِنْ غَيْرِ
 التَّنْزِيمِ حَرْفٍ يَكُونُ سَجْعًا أَوْ قَافِيَةً وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى اللَّهُ
 نَزَلَ أَحْسَنَ التَّحْدِيثِ كِتَابًا مُنْشَأً بِهَا مَثَانِي تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ
 الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ. وَقَالَ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ. وَيُسَمَّى آخِرُ
 الْآيَاتِ مِنْهُ فَوَاصِلٌ إِذْ لَيْسَتْ أَسْجَاعًا وَلَا التَّنْزِيمُ فِيهَا مَا
 يُلْتَزَمُ فِي السَّجْعِ وَلَا هِيَ أَيْضًا قَوَافٍ. وَأُطْلِقَ اسْمُ الْمَثَانِي عَلَى
 آيَاتِ الْقُرْآنِ كُلِّهَا عَلَى الْعُمُومِ لِمَا ذَكَرْنَاهُ وَأَخْصَصْتُ بِأَمْرِ
 الْقُرْآنِ لِلْغَلْبَةِ فِيهَا كَالْحَجْمِ لِلثَّرْيَا وَلِهَذَا سُمِّيَتْ السَّبْعُ الْمَثَانِي.
 وَأَنْظُرْ هَذَا مَعَ مَا قَالَهُ الْمَفْسِّرُونَ فِي تَعْلِيلِ تَسْمِيَّتِهَا بِالْمَثَانِي
 يَشْهَدُ لَكَ الْحَقُّ بِرُجْحَانِ مَا قُلْنَاهُ. وَأَعْلَمُ أَنَّ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْ
 هَذِهِ الْفُنُونِ أَسَالِيبَ تَخْصُ بِهِ عِنْدَ أَهْلِهِ وَلَا تَصْلُحُ لِلْفَنِّ
 الْآخَرِ وَلَا تُسْتَعْمَلُ فِيهِ مِثْلُ النَّسِيبِ الْخُصِّ بِالشَّعْرِ
 وَالْحَمْدِ وَالِدُعَاءِ الْخُصِّ بِالْمُخْطَبِ وَالِدُعَاءِ الْخُصِّ
 بِالْمُخَاطَبَاتِ وَأَمْثَالِ ذَلِكَ. وَقَدْ اسْتَعْمَلَ الْمُتَأَخِّرُونَ
 أَسَالِيبَ الشَّعْرِ وَمَوَازِينَ فِي الْمَشُورِ مِنْ كَثَرَةِ الْأَسْجَاعِ
 وَالتَّنْزِيمِ التَّقْفِيَةِ وَتَقْدِيمِ النَّسِيبِ بَيْنَ يَدَيِ الْأَغْرَاضِ وَصَارَ

هَذَا الْمَشُورُ إِذَا تَامَلْتَهُ مِنْ بَابِ الشَّعْرِ وَفِيهِ وَلَمْ يَفْتَرِقَا إِلَّا
فِي الْوَزْنِ. وَأَسْتَمَرَ الْمَتَاخِرُونَ مِنَ الْكِتَابِ عَلَى هَذِهِ
الطَّرِيقَةِ وَاسْتَعْمَلُوهَا فِي الْخُطَابَاتِ السُّلْطَانِيَّةِ وَقَصَرُوا
الِاسْتِعْمَالَ فِي الْمَشُورِ كُلِّهِ عَلَى هَذَا الْفَرْقِ الَّذِي أَرْتَضُوهُ
وَخَلَطُوا الْأَسَالِيبَ فِيهِ وَهَجَرُوا الْمُرْسَلِ وَتَنَاسَوْهُ وَخُصُوصًا
أَهْلَ الْمَشْرِقِ وَصَارَتْ الْخُطَابَاتُ السُّلْطَانِيَّةُ هَذَا الْعَهْدِ
عِنْدَ الْكِتَابِ الْغُلِّ جَارِيَةً عَلَى هَذَا الْأَسْلُوبِ الَّذِي أَشَرْنَا
إِلَيْهِ. وَهُوَ غَيْرُ صَوَابٍ مِنْ جِهَةِ الْبَلَاغَةِ لِمَا يُلَاحَظُ فِي
تَطْبِيقِ الْكَلَامِ عَلَى مُقْتَضَى الْحَالِ مِنْ أَحْوَالِ الْخُطَابِ
وَالْخُطَابِ. وَهَذَا الْفَرْقُ الْمَشُورُ الْمَقْفِيُّ أَدْخَلَ الْمَتَاخِرُونَ
فِيهِ أَسَالِيبَ الشَّعْرِ فَوَجَبَ أَنْ تَنْزِعَ الْخُطَابَاتُ السُّلْطَانِيَّةُ
عَنْهُ إِذَا سَالِبُ الشَّعْرِ تَنَافَيْهَا اللَّوْذَعِيَّةُ وَخَلَطُ الْحَجْدِ بِالْهَزْلِ
وَالْإِطْنَابِ فِي الْأَوْصَافِ وَضَرْبِ الْأَمْثَالِ وَكَثْرَةُ التَّشْبِihَاتِ
وَالِاسْتِعَارَاتِ حَيْثُ لَا تَدْعُو ضَرُورَةٌ إِلَى ذَلِكَ فِي الْخُطَابِ
وَالْعُمُودِ فِي الْخُطَابَاتِ السُّلْطَانِيَّةِ التَّرْسُلُ وَهُوَ إِطْلَاقُ
الْكَلَامِ وَإِرْسَالُهُ مِنْ غَيْرِ تَسْجِيعٍ إِلَّا فِي الْأَقْلِ النَّادِرِ
وَحَيْثُ تُرْسِلُهُ الْمَلَكَةُ إِرْسَالًا مِنْ غَيْرِ تَكْلُفٍ لَهُ. ثُمَّ إِعْطَاءُ

الْكَلَامَ حَقَّهُ فِي مُطَابَقَتِهِ لِمُقْتَضَى الْحَالِ فَإِنَّ الْمَقَامَاتِ
 مُخْتَلِفَةً وَلِكُلِّ مَقَامٍ أُسْلُوبٌ بَخْصُهُ مِنْ إِيظَابٍ أَوْ إِيْجَازٍ أَوْ
 حَذْفٍ أَوْ إِيْثَابٍ أَوْ تَصْرِيجٍ أَوْ إِشَارَةٍ وَكِتَابَةٍ وَاسْتِعَارَةٍ
 وَأَمَّا إِجْرَاءُ الْخُطَبَاتِ السُّلْطَانِيَّةِ عَلَى هَذَا النَّحْوِ الَّذِي هُوَ
 عَلَى أَسَالِيْبِ الشَّعْرِ فَهَذَا مَوْزُونٌ وَمَا حَمَلَ عَلَيْهِ أَهْلُ الْعَصْرِ
 إِلَّا أَسْنِيْلَاءَ الْعَجَبَةِ عَلَى السَّنَنِهِمْ وَقُصُورُهُمْ لِذَلِكَ عَنْ
 إِعْطَاءِ الْكَلَامِ حَقَّهُ فِي مُطَابَقَتِهِ لِمُقْتَضَى الْحَالِ فَعَجَزُوا عَنْ
 الْكَلَامِ الْمُرْسَلِ لِبُعْدِ أَمْدِهِ فِي الْبَلَاغَةِ وَأَنْفَسَاحِ خَطْوَتِهِ
 وَوَلِعُوا بِهَذَا الْمُسَجَّعِ بَلْفِقُونِ بِهِ مَا تَقَصَّهُمْ مِنْ تَطْيِيقِ الْكَلَامِ
 عَلَى الْمَقْصُودِ وَمُقْتَضَى الْحَالِ فِيهِ وَبَجَبْرُونَهُ بِذَلِكَ الْقَدْرَ
 مِنَ التَّزْيِينِ بِالْأَسْجَاعِ وَالْأَلْقَابِ الْبَدِيعَةِ وَيَغْنَلُونَ عَمَّا
 سِوَى ذَلِكَ. وَكَثُرَ مَنْ أَخَذَ بِهَذَا الْفَنِّ وَبَالَغَ فِيهِ فِي سَائِرِ
 أَنْحَاءِ كَلَامِهِمْ كُتَّابُ الْمَشْرِقِ وَشُعْرَاؤُهُ لِهَذَا الْعَهْدِ حَتَّى
 إِنَّهُمْ لَيُخْلُونَ بِالْأَعْرَابِ فِي الْكَلِمَاتِ وَالتَّصْرِيفِ إِذَا دَخَلَتْ
 لَهُمْ فِي تَجْنِيسٍ أَوْ مُطَابَقَةٍ لَا يَجْتَمِعَانِ مَعَهَا فَيَرْجَحُونَ ذَلِكَ
 الصِّنْفَ مِنَ التَّجْنِيسِ وَيَدْعُونَ الْأَعْرَابَ وَيُفْسِدُونَ بِنِيَّةِ
 الْكَلِمَةِ عَسَاهَا تُصَادِفُ التَّجْنِيسَ. فَتَأْمَلُ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْنَاهُ

لَكَ تَقِفْ عَلَى صِحَّةِ مَا ذَكَرْنَاهُ وَاللَّهُ الْمَوْفِقُ إِلَى الصَّوَابِ
بِهِ وَكَرَمِهِ وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ
(عن ابن خلدون)

الفصل الخامس

في السجع

إِعْلَمْ أَنَّ السَّجْعَ قَدْ يَنْقَسِمُ إِلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ. الْأَوَّلُ أَنْ
يَكُونَ الْفَصْلَانِ مُتَسَاوِيَيْنِ لَا يَزِيدُ أَحَدُهُمَا عَلَى الْآخَرِ كَقَوْلِهِ
تَعَالَى فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ. وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ. وَقَوْلِهِ
تَعَالَى وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا. فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا. فَالْمُغِيرَاتِ
ضُبْحًا. فَأَتَرْنَ بِهِ تَعْقًا. فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا. أَلَا تَرَى كَيْفَ
جَاءَتْ هَذِهِ الْفُصُولُ مُتَسَاوِيَةً إِلَّا جُزْأً حَتَّى كَانَهَا أَفْرَعَتْ
فِي قَالِبٍ وَاحِدٍ. وَأَمْثَالُ ذَلِكَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ كَثِيرَةٌ
وَهُوَ أَشْرَفُ السَّجْعِ مَنْزِلَةٌ لِلْإِعْنِدَالِ الَّذِي فِيهِ

الْقِسْمُ الثَّانِي أَنْ يَكُونَ الْفَصْلُ الثَّانِي أَطْوَلَ مِنَ
الْأَوَّلِ لَا طَوْلًا يَخْرُجُ بِهِ عَنِ الْإِعْنِدَالِ خُرُوجًا كَثِيرًا فَإِنَّهُ
يَقْبُحُ عِنْدَ ذَلِكَ وَيُسْتَكْرَهُ وَيَعْدُ عَيْبًا. فِيمَا جَاءَ مِنْ ذَلِكَ
قَوْلُهُ تَعَالَى بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْنَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ

سَعِيرًا. إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيْظًا وَزَفِيرًا.
وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّبِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا. أَلَا
تَرَى أَنَّ الْفَصْلَ الْأَوَّلَ ثَمَانِي لَفْظَاتٍ وَالْفَصْلَ الثَّانِي
وَالثَّلَاثَ تِسْعَ تِسْعٍ. وَيُسْتَنْتَنِي مِنْ هَذَا الْقِسْمِ مَا كَانَ مِنَ السَّجْعِ
عَلَى ثَلَاثٍ فَتَرِ فَإِنَّ الْفَتْرَتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ مُحْسَبَانِ فِي عِدَّةٍ وَاحِدَةٍ
ثُمَّ تَأْتِي الثَّلَاثَةُ فَيَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ طَوِيلَةً طَوِيلًا يَزِيدُ عَلَيْهِمَا
فَإِذَا كَانَتْ الْأُولَى وَالثَّانِيَةُ أَرْبَعَ لَفْظَاتٍ أَرْبَعَ لَفْظَاتٍ
تَكُونُ الثَّلَاثَةُ عَشَرَ لَفْظَاتٍ أَوْ إِحْدَى عَشْرَةَ. إِلَّا أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي
أَنْ تَجْعَلَ ذَلِكَ قِيَاسًا مُطَرِّدًا فِي السَّجَعَاتِ الثَّلَاثِ أَيْنَ
وَقَعَتْ مِنَ الْكَلَامِ بَلْ تَعْلَمُ أَنَّ الْحُجُوزَ يَعْمُ الْمُجَانِبِينَ مِنْ
النِّسَاوِي فِي السَّجَعَاتِ الثَّلَاثِ وَمِنْ زِيَادَةِ السَّجْعَةِ الثَّلَاثَةِ.
أَلَا تَرَى أَنَّهُ قَدْ وَرَدَ ثَلَاثُ سَجَعَاتٍ مُتَسَاوِيَاتٍ فِي الْقُرْآنِ
الْكَرِيمِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ
فِي سِدْرِ مَخْضُودٍ. وَطَلْحٍ مَنضُودٍ. وَظِلِّ مَهْدُودٍ. فَهَذِهِ السَّجَعَاتُ
كُلُّهَا مِنْ لَفْظَتَيْنِ لَفْظَتَيْنِ وَكُلُّ جُعِلَتْ الثَّلَاثَةُ مِنْهَا خَمْسَ
لَفْظَاتٍ أَوْ سِتًّا لَهَا كَانَ ذَلِكَ مَعِيًّا
الْقِسْمُ الثَّلَاثُ أَنْ يَكُونَ الْفَصْلُ الْآخِرُ أَقْصَرَ مِنْ

الْأَوَّلِ وَهُوَ عِنْدِي عَيْبٌ فَاحْشُ أَوْ سَبِّ ذَلِكَ إِنْ السَّجْعَ
يَكُونُ قَدْ اسْتَوْفَى أَمَدَهُ مِنَ الْفَصْلِ الْأَوَّلِ بِحُكْمِ طُولِهِ ثُمَّ
يُجِيءُ الْفَصْلَ الثَّانِيَ قَصِيرًا عَنِ الْأَوَّلِ فَيَكُونُ كَالشَّيْءِ الْمَشْهُورِ
فَيَقْبَلُ الْإِنْسَانُ عِنْدَ سَمَاعِهِ كَمَنْ يُرِيدُ الْإِنْتِهَاءَ إِلَى غَايَةٍ
فَيَعْتَرُ ذُنُوبَهَا

وَإِذَا أَنْتَهَيْنَا إِلَى ههنا وَبَيْنَا أَفْسَامَ السَّجْعِ وَلَبَهُ وَقُشُورَهُ
فَسَنَقُولُ فِيهِ قَوْلًا كَلِمًا وَهُوَ أَنَّ السَّجْعَ عَلَى اخْتِلَافِ أَفْسَامِهِ
ضَرْبَانِ أَحَدُهُمَا يُسَمَّى السَّجْعَ الْقَصِيرَ وَهُوَ أَنْ تَكُونَ كُلُّ
وَاحِدَةٍ مِنَ السَّجْعَتَيْنِ مُؤَلَّفَةً مِنَ الْفَافِ قَلِيلَةٍ وَكَلِمًا فَلَتِ
الْأَلْفَاظُ كَانَ أَحْسَنَ لِقُرْبِ الْفَوَاصِلِ الْمَسْجُوعَةِ مِنْ سَمْعِ
السَّامِعِ وَهَذَا الضَّرْبُ أَوْعَرُ السَّجْعِ مَذْهَبًا وَأَبْعَدُهُ مُتَنَاوَلًا
وَلَا يَكَادُ اسْتِعْمَالُهُ يَقَعُ إِلَّا نَادِرًا وَالضَّرْبُ الْآخَرُ يُسَمَّى
السَّجْعَ الطَّوِيلَ وَهُوَ ضِدُّ الْأَوَّلِ لِأَنَّهُ أَسْهَلُ مُتَنَاوَلًا وَإِنَّمَا
كَانَ الْقَصِيرُ مِنَ السَّجْعِ أَوْعَرَ مَسْلَكًا مِنَ الطَّوِيلِ لِأَنَّ الْمَعْنَى
إِذَا صِغَ بِأَلْفَاظٍ قَصِيرَةٍ عَزَّ مُؤَانَاةُ السَّجْعِ فِيهِ لِقَصَرِ تِلْكَ
الْأَلْفَاظِ وَضِيقِ الْجَمَالِ فِي اسْتِجْلَالِهِ وَأَمَّا الطَّوِيلُ فَإِنَّ
الْأَلْفَاظَ تَطُولُ فِيهِ وَيُسْتَجْلَبُ لَهُ السَّجْعُ مِنْ حَيْثُ وَلَيْسَ كَمَا

يَقَالُ وَكَانَ ذَلِكَ سَهْلًا. وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْ هَذَيْنِ الضَّرْبَيْنِ
تَفَاوُتٌ دَرَجَاتُهُ فِي عِدَّةِ الْأَلْفَاظِ. أَمَّا السَّجْعُ الْقَصِيرُ فَأَحْسَنُهُ
مَا كَانَ مُؤَلَّفًا مِنْ لَفْظَتَيْنِ لَفْظَتَيْنِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى وَالْمُرْسَلَاتِ
عُرْفًا. فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا. وَقَوْلِهِ تَعَالَى يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ. قُمْ
فَأَنْذِرْ. وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ. وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ. وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ. وَمِنْهُ
مَا يَكُونُ مُؤَلَّفًا مِنْ ثَلَاثَةِ الْأَلْفَاظِ وَأَرْبَعَةٍ وَخَمْسَةٍ وَكَذَلِكَ
الْعَشْرَةُ وَمَا زَادَ عَلَى ذَلِكَ فَهُوَ مِنَ السَّجْعِ الطَّوِيلِ. فَبِمَا جَاءَ
مِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى. مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى.
وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى. وَقَوْلُهُ تَعَالَى أَقْرَبَتْ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَّ
النَّجْمُ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرَضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَعْتَبٌ. وَكَذَّبُوا
وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقَرٌّ. وَأَمَّا السَّجْعُ الطَّوِيلُ فَإِنَّ
دَرَجَاتِهِ تَفَاوُتٌ فِي الطُّولِ أَيْضًا فَمِنْهُ مَا يَقْرُبُ مِنَ السَّجْعِ
الْقَصِيرِ وَهُوَ أَنْ يَكُونَ ثَلَاثِينَ مِنْ إِحْدَى عَشْرَةٍ إِلَى اثْنَيْ
عَشْرَةٍ لَفْظَةً وَأَكْثَرُهُ خَمْسَ عَشْرَةٍ لَفْظَةً كَقَوْلِهِ تَعَالَى وَلَئِنْ
أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَكْفُرُ
وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعَمَاءَ بَعْدَ ضَرَاءٍ مَسْتَه لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ
عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحَ فَخُورٌ. فَالْأَوَّلَى إِحْدَى عَشْرَةَ لَفْظَةً وَالثَّانِيَةُ

ثَلَاثَ عَشْرَةَ لَفْظَةً. وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ
 مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ
 رَؤُوفٌ رَحِيمٌ. فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
 عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ. وَمِنْ السَّجْعِ الطَّوِيلِ
 مَا يَكُونُ تَأْلِيفُهُ مِنَ الْعِشْرِينَ لَفْظَةً فَمَا حَوْلَهَا كَقَوْلِهِ تَعَالَى
 إِذْ يُرِيكُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَأَيْتُمْ كَثِيرًا فَانْقَسَمْتَ
 وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ
 وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ
 لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ وَمِنْ
 السَّجْعِ الطَّوِيلِ أَيْضًا مَا يَزِيدُ عَلَى هَذِهِ الْعِدَّةِ الْمَذْكُورَةِ وَهُوَ
 غَيْرُ مُضَبَّوْطٍ
 (عن المثل السائر)

الفصل السادس

فِي كَيْفِيَّةِ عَمَلِ الشَّعْرِ وَوَجْهِ تَعْلِيهِ

إِعْلَمْ أَنَّ لِعَمَلِ الشَّعْرِ وَإِحْكَامِ صِنَاعَتِهِ شَرْطًا أَوَّلَهَا
 الْحِفْظُ مِنْ جَنْسِهِ أَيْ مِنْ جَنْسِ شَعْرِ الْعَرَبِ حَتَّى تَنْشَأَ فِي
 النَّفْسِ مَلَكَ يَنْسُجُ عَلَى مَنَوَالِهَا وَيُخَيِّرُ الْحَفُوظُ مِنَ الْحَرِّ

الْفَنِّي الْكَثِيرَ الْأَسَالِيبَ . وَهَذَا الْمُحْفُوظُ الْخُتَارُ أَفْلُ مَا
يَكْفِي فِيهِ شِعْرُ شَاعِرٍ مِنَ الْخَوْلِ الْإِسْلَامِيِّينَ مِثْلِ ابْنِ أَبِي
رَبِيعَةَ وَكَثِيرٍ وَذِي الرُّمَّةِ وَجَرِيرٍ وَأَبِي نُوَّاسٍ وَحَبِيبِ
وَالْبُخَيْرِيِّ وَالرَّضِيِّ وَأَبِي فِرَاسٍ وَكَثْرُهُ شِعْرُ كِتَابِ
الْأَغَانِي لِأَنَّهُ جَمَعَ شِعْرَ أَهْلِ الطَّبَقَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ كُلِّهِ وَالْخُتَارُ
مِنْ شِعْرِ أَتَجَاهِلِيَّةٍ . وَمَنْ كَانَ خَالِيًا مِنَ الْمُحْفُوظِ فَتَطَهَّرَ قَاصِرٌ
رَدِيٌّ وَلَا يُعْطِيهِ الرُّوْنَقُ وَالْمَحَلَاوَةُ إِلَّا كَثَرَةُ الْمُحْفُوظِ .
فَمَنْ قَلَّ حِفْظُهُ أَوْ عُدِمَ لَمْ يَكُنْ لَهُ شِعْرٌ وَإِنَّمَا هُوَ نَظْمٌ
سَاقِطٌ وَاجْتِنَابُ الشِّعْرِ أَوَّلَى مِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ مُحْفُوظٌ ثُمَّ بَعْدَ
الْإِمْتِلَاءِ مِنَ الْحِفْظِ وَشَحْذِ الْقَرِيحَةِ لِلنَّسْجِ عَلَى الْمِنَوَالِ يُقْبَلُ
عَلَى النَّظْمِ وَيَا لِكَثَارِ مَنْهُ تَسْتَعْمِكُمْ مَلَكَتُهُ وَتَرَسَّخَ . وَرُبَّمَا
يُقَالُ إِنَّ مِنْ شَرْطِهِ نِسْيَانُ ذَلِكَ الْمُحْفُوظِ لِتَعْنِي رُسُومُهُ
الْحَرْفِيَّةُ الظَّاهِرَةُ إِذْ هِيَ صَادَةٌ عَنْ اسْتِعْمَالِهَا بِعَيْنِهَا فَإِذَا نَسِيَهَا
وَقَدْ تَكَيَّفَتِ النَّفْسُ بِهَا انْتَقَشَ الْأُسْلُوبُ فِيهَا كَأَنَّهُ مَنَوَالٌ
يَأْخُذُ فِي النَّسْجِ عَلَيْهِ بِأَمْثَالِهَا مِنْ كَلِمَاتٍ أُخْرَى ضَرُورَةٌ .
ثُمَّ لَا بُدَّ لَهُ مِنَ الْخُلُقِ وَاسْتِجَادَةِ الْمَكَانِ الْمَنْظُورِ فِيهِ مِنَ
الْمِيَاهِ وَالْأَزْهَارِ وَكَذَا الْمَسْمُوعِ لِاسْتِنَارَةِ الْقَرِيحَةِ بِاسْتِجْمَاعِهَا

وَتَشْطِطُهَا بِمَلَاذِ السُّرُورِ. ثُمَّ مَعَ هَذَا كُلِّهِ فَشَرَطُهُ أَنْ يَكُونَ
عَلَى جِهَامٍ وَتَشَاطُطُ فَذَلِكَ أَجْمَعُ لَهُ وَأَنْشَطُ لِلْقَرِيبَةِ أَنْ تَأْتِي
بِمِثْلِ ذَلِكَ الْمِنْوَالِ الَّذِي فِي حِفْظِهِ. قَالُوا وَخَيْرُ الْأَوْقَاتِ
لِذَلِكَ أَوْقَاتُ الْبُكْرِ عِنْدَ الْهَيُوبِ مِنَ النَّوْمِ وَفَرَاغِ الْمَعِدَةِ
وَتَشَاطُطِ الْفِكْرِ وَفِي هَؤُلَاءِ الْجِهَامِ. وَرُبَّمَا قَالُوا إِنْ مِنْ
بَوَائِثِهِ الْعَشَقُ وَالْإِنْتِشَاءَ ذَكَرَ ذَلِكَ ابْنُ رَشِيقٍ فِي كِتَابِ
الْعَمَدَةِ وَهُوَ الْكِتَابُ الَّذِي أَنْفَرَدَ بِهِ فِي الصَّنَاعَةِ وَإِعْطَاءِ
حَقِّهَا وَلَمْ يَكْتُبْ فِيهَا أَحَدٌ قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ مِثْلَهُ. قَالُوا فَإِنْ
اسْتَضَعَبَ عَلَيْهِ بَعْدَ هَذَا كُلِّهِ فَلْيَتْرَكْهُ إِلَى وَقْتٍ آخَرَ وَلَا
يُكْرِهْ نَفْسَهُ عَلَيْهِ. وَلَيْكُنْ بِنَاءُ الْبَيْتِ عَلَى الْقَافِيَةِ مِنْ أَوَّلِ
صَوْعِهِ وَنَسْجِهِ يَضَعُهَا وَيَبْنِي الْكَلَامَ عَلَيْهَا إِلَى آخِرِهِ لِأَنَّهُ
إِنْ غَفَلَ عَنْ بِنَاءِ الْبَيْتِ عَلَى الْقَافِيَةِ صَعِبَ عَلَيْهِ وَضَعُهَا فِي
مَحَلِّهَا فَرُبَّمَا تَحْبِي نَافِرَةٌ فَلَقَةٌ. وَإِذَا سَمِعَ الْمُخَاطِرُ بِالْبَيْتِ وَلَمْ
يُنَاسِبِ الَّذِي عِنْدَهُ فَلْيَتْرَكْهُ إِلَى مَوْضِعِهِ الْأَلْبَقِيِّ بِهِ فَإِنَّ كُلَّ
بَيْتٍ مُسْتَقِلٌّ بِنَفْسِهِ وَلَمْ تَبْقَ إِلَّا الْمُنَاسَبَةُ فَلْيَخْتَرِ فِيهَا كَمَا
يَشَاءُ وَلْيُرَاجِعْ شِعْرَهُ بَعْدَ الْخُلَاصِ مِنْهُ بِالسَّنَجِ وَالنَّقْدِ وَلَا
يَضُنَّ بِهِ عَلَى التَّرَكِّ إِذَا لَمْ يَبْلُغِ الْإِجَادَةَ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ

مَفْتُونٌ بِشِعْرِهِ إِذْ هُوَ بَنَاتُ فِكْرِهِ وَاخْتِرَاعُ فَرَجِهِ وَلَا
يَسْتَعِيلُ فِيهِ مِنَ الْكَلَامِ إِلَّا الْأَفْصَحَ مِنَ التَّرَاكِبِ وَالتَّخَالِصَ
مِنَ الضَّرُورَاتِ اللَّسَانِيَّةِ فَلْيَهْجُرْهَا فَإِنَّهَا تَنْزِلُ بِالْكَلامِ عَنْ
طَبَقَةِ الْبَلَاغَةِ وَقَدْ حَظَرَ أَئِمَّةُ اللِّسَانِ عَلَى الْمَوْلِدِ أَنْ تَكُتَابَ
الضَّرُورَةُ إِذْ هُوَ فِي سَعَةِ مِنْهَا بِالْعُدُولِ عَنْهَا إِلَى الطَّرِيقَةِ
الْمُثَلَّى مِنَ الْمَلَكَةِ وَيَجْتَنِبُ أَيْضًا الْمُعَقَّدَ مِنَ التَّرَاكِبِ
جَهْدَهُ وَإِنَّمَا يَقْصِدُ مِنْهَا مَا كَانَتْ مَعَانِيهِ تُسَابِقُ الْفَاطَةَ إِلَى
الْفَهْمِ وَكَذَلِكَ كَثَرَةُ الْمَعَانِي فِي الْبَيْتِ الْوَاحِدِ فَإِنَّ فِيهَا نَوْعَ
تَعْقِيدٍ عَلَى الْفَهْمِ وَإِنَّمَا الْخُتَارُ مِنْ ذَلِكَ مَا كَانَتْ الْفَاطَةُ
طَبَقًا عَلَى مَعَانِيهِ أَوْ أَوْفَى فَإِنْ كَانَتْ الْمَعَانِي كَثِيرَةً كَانَ حَشْوًا
وَأَسْتَعِيلُ الذِّهْنَ بِالْغَوْصِ عَلَيْهَا فَمَنْعَ الذَّوْقَ عَنْ اسْتِيفَاءِ
مُدْرِكِهِ مِنَ الْبَلَاغَةِ وَلَا يَكُونُ الشَّعْرُ سَهْلًا إِلَّا إِذَا كَانَتْ
مَعَانِيهِ تُسَابِقُ الْفَاطَةَ إِلَى الذِّهْنِ وَلِهَذَا كَانَ شَيْخُنَا رَحِمَهُ
اللَّهُ يَعْيُونَ شِعْرَ أَبِي بَكْرٍ بْنِ خَفَاجَةَ شَاعِرِ شَرْقِ الْأَنْدَلُسِ
إِكْثَرَةَ مَعَانِيهِ وَأَزْدِحَامَهَا فِي الْبَيْتِ الْوَاحِدِ كَمَا كَانُوا يَعْيُونَ
شِعْرَ الْمُتَنَبِّيِّ وَالْمَعَرِّيِّ بِعَدَمِ النَّسْجِ عَلَى الْأَسَالِيبِ الْعَرَبِيَّةِ

كَمَا مَرَّ فَكَانَ شِعْرُهَا كَلَامًا مَنْظُومًا نَازِلًا عَنْ طَبَقَةِ الشَّعْرِ
 وَالْحَاكِمِ بِذَلِكَ هُوَ الذَّوْقُ. وَلِتَجَنَّبَ الشَّاعِرُ أَيْضًا الْخَوْشِيَّ
 مِنَ الْأَلْفَافِ وَالْمَقْصَرِ وَكَذَلِكَ السُّوقِيُّ الْمُبْتَدِلُ فَإِنَّهُ يَنْزِلُ
 بِالْكَلَامِ عَنْ طَبَقَةِ الْبَلَاغَةِ أَيْضًا فَيَصِيرُ مُبْتَدِلًا وَيَقْرُبُ مِنْ
 عَدَمِ الْإِفَادَةِ كَقَوْلِهِمُ النَّارُ حَارَّةٌ وَالسَّمَاءُ فَوْقَنَا وَبِمِقْدَارِ
 مَا يَقْرُبُ مِنْ طَبَقَةِ عَدَمِ الْإِفَادَةِ يَبْعُدُ عَنْ رُتْبَةِ الْبَلَاغَةِ إِذَا
 هُمَا طَرَفَانِ. وَلِهَذَا كَانَ الشَّعْرُ فِي الرِّبَائِيَّاتِ وَالنَّبَوِيَّاتِ
 قَلِيلَ الْأَجَادَةِ فِي الْغَالِبِ وَلَا يَمْزِجُهُ إِلَّا الْفُحُولُ لِأَنَّ مَعَانِيهَا
 مُتَدَاوِلَةٌ بَيْنَ الْجُمْهُورِ فَتَصِيرُ مُبْتَدِلَةً لِذَلِكَ. وَإِذَا تَعَذَّرَ
 الشَّعْرُ بَعْدَ هَذَا كُلِّهِ فَلْيُرَاضْهُ وَيُعَاوِدْهُ فَإِنَّ الْقَرِيجَةَ مِثْلُ
 الضَّرْعِ يَدِرُّ بِالْأَمْتَرَاءِ وَيَجِفُّ بِالْتَّرْكِ. وَبِالْجُمْلَةِ فَهَذِهِ
 الصَّنَاعَةُ وَتَعَلَّمْهَا مُسْتَوْفَى فِي كِتَابِ الْعُمْدَةِ لِابْنِ رَشِيقٍ
 وَقَدْ ذَكَرْنَا مِنْهَا مَا حَضَرَنَا بِحَسَبِ الْجُهْدِ وَمَنْ أَرَادَ اسْتِيفَاءَ
 ذَلِكَ فَعَلَيْهِ بِذَلِكَ الْكِتَابِ فِيهِ الْبُغْيَةُ مِنْ ذَلِكَ وَهَذِهِ
 نَبْذَةٌ كَافِيَةٌ وَاللَّهُ الْمُبِينُ

(عن ابن خلدون)

قَالَ الْوَلِيدُ بْنُ عُبَيْدٍ الْجُبُرِيُّ كُنْتُ فِي حَدَاثِي أَرُومُ
 الشَّعْرِ وَكُنْتُ أَرْجِعُ فِيهِ إِلَى طَبْعِي وَلَمْ أَكُنْ أَقِفُ عَلَى
 تَسْهِيلِ مَا خَذِهِ وَوُجُوهِ أَفْتِضَائِهِ حَتَّى قَصَدْتُ أَبَا تَهَامٍ
 وَأَنْقَطَعْتُ فِيهِ إِلَيْهِ وَأَتَكَلْتُ فِي تَعْرِيفِهِ عَلَيْهِ فَكَانَ أَوَّلُ مَا
 قَالَ لِي يَا أَبَا عِبَادَةَ تَخَيَّرَ الْأَوْقَاتِ وَأَنْتَ قَلِيلُ الْغُومِ صِفَرُ
 مِنَ الْغُومِ وَأَعْلَمُ أَنَّ الْعَادَةَ جَرَتْ فِي الْأَوْقَاتِ أَنْ يَقْصِدَ
 الْإِنْسَانُ لِتَأْلِيفِ شَيْءٍ أَوْ حِفْظِهِ فِي وَقْتِ السَّحَرِ وَذَلِكَ أَنَّ
 النَّفْسَ تَكُونُ قَدْ أَخَذَتْ حَظَّهَا مِنَ الرَّاحَةِ وَقَسَطَهَا مِنَ النَّوْمِ
 وَإِنْ أَرَدْتَ النَّشِيبَ فَأَجْعَلِ اللَّفْظَ رَفِيقًا وَالْمَعْنَى رَشِيقًا
 وَأَكْثِرْ فِيهِ مِنْ بَيَانِ الصَّبَابَةِ وَتَوَجَّعِ الْكَابَةِ وَقَلِّ الْأَشْوَاقِ
 وَلَوْعَةِ الْفِرَاقِ فَإِذَا أَخَذْتَ فِي مَدِجِ سَيِّدِ ذِي أَيَادٍ فَأَشْهَرِ
 مَنَافِيَهُ وَأَظْهَرِ مَنَاسِبَهُ وَأَبْنِ مَعَالِيَهُ وَشَرَفِ مَقَامِهِ وَنَضِدِ
 الْمَعَانِي وَأَحْذِرِ الْعَجُولَ مِنْهَا وَإِيَّاكَ أَنْ تَشِينَ شِعْرَكَ
 بِالْأَلْفَاظِ الرَّدِيئَةِ وَكُنْ كَأَنَّكَ خِيَّاطٌ يَقْطَعُ الثِّيَابَ عَلَى
 مَقَادِيرِ الْأَجْسَادِ وَإِذَا عَارَضَكَ الضَّجْرُ فَارْحُ نَفْسَكَ وَلَا
 تَعْمَلْ شِعْرَكَ إِلَّا وَأَنْتَ فَارِغُ الْقَلْبِ وَأَجْعَلْ شَهْوَتَكَ لِقَوْلِ

الشَّعْرَ الذَّرِيعَةَ إِلَى حُسْنِ نَظْمِهِ فَإِنَّ الشَّهْوَةَ نِعَمَ الْمَعِينِ
وَجُمْلَةُ الْحَالِ أَنْ تَعْتَبِرَ شِعْرَكَ بِمَا سَلَفَ مِنْ شِعْرِ الْمَاضِينَ
فَمَا اسْتَحْسَنَ الْعُلَمَاءُ فَأَقْصِدْهُ وَمَا تَرَكَهُ فَأَجْنِبْهُ تَرْشُدُ
إِنْ شَاءَ اللَّهُ. قَالَ فَأَعْمَلْتُ نَفْسِي فِي مَا قَالَ فَوَقَفْتُ عَلَى
السِّيَاسَةِ

(من كتاب زهر الآداب)

الفصل السابع

فِي النَّصَاحَةِ وَالْبَلَاغَةِ وَفِيهِ قِسْمَانِ

القسم الأول

فِي النَّصَاحَةِ

إِعْلَمْ أَنَّ هَذَا بَابٌ مُتَعَذِّرٌ عَلَى الْوَالِحِ وَمَسْلُوكٌ مُتَوَعِّرٌ عَلَى
النَّاهِجِ وَلَمْ يَزَلِ الْعُلَمَاءُ مِنْ قَدِيمِ الْوَقْتِ وَحَدِيثِهِ يُكْثِرُونَ
الْقَوْلَ فِيهِ وَالْبَحْثَ عَنْهُ وَلَمْ أَجِدْ مِنْ ذَلِكَ مَا يُعَوَّلُ عَلَيْهِ إِلَّا
الْقَلِيلَ. وَغَايَةُ مَا يُقَالُ فِي هَذَا الْبَابِ أَنَّ النَّصَاحَةَ هِيَ
الظُّهُورُ وَالْبَيَانُ فِي أَصْلِ الْوَضْعِ اللَّغَوِيِّ يُقَالُ أَفْصَحَ

الصَّحُّ إِذَا ظَهَرَ ثُمَّ إِنَّهُمْ يَقِفُونَ عِنْدَ ذَلِكَ وَلَا يَكْشِفُونَ عَنِ
 السِّرِّ فِيهِ. وَبِهَذَا الْقَوْلِ لَا تَبَيَّنَ حَقِيقَةُ الْفَصَاحَةِ لِأَنَّهُ
 يُعْتَرَضُ عَلَيْهِ بِوُجُوهِ مِنَ الْأَعْتِرَاضَاتِ أَحَدُهَا أَنَّهُ إِذَا لَمْ
 يَكُنِ اللَّفْظُ ظَاهِرًا بَيْنًا لَمْ يَكُنْ فَصِيحًا ثُمَّ إِذَا ظَهَرَ وَتَبَيَّنَ
 صَارَ فَصِيحًا. الْوَجْهُ الثَّانِي أَنَّهُ إِذَا كَانَ اللَّفْظُ الْفَصِيحُ هُوَ
 الظَّاهِرُ الْبَيِّنَ فَقَدْ صَارَ ذَلِكَ بِالنِّسْبِ وَالْإِضَافَاتِ إِلَى
 الْأَشْخَاصِ فَإِنَّ اللَّفْظَ قَدْ يَكُونُ ظَاهِرًا لَزِيدٍ وَلَا يَكُونُ ظَاهِرًا
 لِعَمْرٍو فَهُوَ إِذَنْ فَصِيحٌ عِنْدَ هَذَا وَغَيْرُ فَصِيحٍ عِنْدَ هَذَا. وَلَيْسَ
 كَذَلِكَ بَلِ الْفَصِيحُ هُوَ فَصِيحٌ عِنْدَ الْجَمِيعِ لَا خِلَافَ فِيهِ
 بِحَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ لِأَنَّهُ إِذَا تَحَقَّقَ حَدُّ الْفَصَاحَةِ وَعُرِفَ
 مَا هِيَ لَمْ يَتَّقَ فِي اللَّفْظِ الَّذِي يَخْتَصُّ بِهِ خِلَافٌ. الْوَجْهُ
 الثَّلَاثُ أَنَّهُ إِذَا جِيءَ بِلَفْظٍ قَبِيحٍ يَتَّبِعُهُ السَّمْعُ وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ
 ظَاهِرٌ بَيْنٌ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ فَصِيحًا وَلَيْسَ كَذَلِكَ لِأَنَّ الْفَصَاحَةَ
 وَصَفُ حُسْنِ اللَّفْظِ لَا وَصَفُ قُبْحٍ. فَهَذِهِ الْأَعْتِرَاضَاتُ الثَّلَاثَةُ
 وَارِدَةٌ عَلَى قَوْلِ الْقَائِلِ إِنَّ اللَّفْظَ الْفَصِيحَ هُوَ الظَّاهِرُ الْبَيِّنُ
 مِنْ غَيْرِ تَفْصِيلٍ. وَلَكِنَّا وَقَفْتُ عَلَى أَقْوَالِ النَّاسِ فِي هَذَا

أَلْبَابِ مَلَكَتْنِي الْخَيْرَةُ فِيهَا وَلَمْ يَثْبُتْ عِنْدِي مِنْهَا مَا أُعُولُ
 عَلَيْهِ وَلِكثْرَةِ مُلَابَسَتِي هَذَا الْفَنَّ وَمُعَارَكَتِي إِيَّاهُ أَنْكَشَفَ لِي
 السِّرُّ فِيهِ وَسَاءُ وَضِئُهُ فِي كِتَابِي هَذَا وَأُحَقِّقُ الْقَوْلَ فِيهِ فَأَقُولُ
 إِنَّ الْكَلَامَ الْفَصِيحَ هُوَ الظَّاهِرُ الْبَيِّنُ وَأَعْنِي بِالظَّاهِرِ الْبَيِّنِ
 أَنْ تَكُونَ أَلْفَاظُهُ مَفْهُومَةً لَا يَجُنَاجُ فِي فَرْهَمِهَا إِلَى اسْتِخْرَاجِ
 مِنْ كِتَابِ لُغَةٍ. وَإِنَّمَا كَانَتْ بِهَذِهِ الصِّفَةِ لِأَنَّهَا تَكُونُ مَأْلُوفَةً
 الْإِسْتِعْمَالِ بَيْنَ أَرْبَابِ النَّظْمِ وَالنَّثْرِ دَائِرَةً فِي كَلَامِهِمْ
 وَإِنَّمَا كَانَتْ مَأْلُوفَةً الْإِسْتِعْمَالِ دَائِرَةً فِي الْكَلَامِ دُونَ
 غَيْرِهَا مِنَ الْأَلْفَاظِ لِمَكَانِ حُسْنِهَا. وَذَلِكَ أَنَّ أَرْبَابَ النَّظْمِ
 وَالنَّثْرِ غَرِبُوا بِاللُّغَةِ بِأَعْيَارِ أَلْفَاظِهَا وَسَبَرُوا وَقَسَّوْا
 فَأَخْبَرُوا الْحَسَنَ مِنَ الْأَلْفَاظِ فَاسْتَعْمَلُوهُ وَنَفَوْا الْفَسِيحَ مِنْهَا
 فَلَمْ يَسْتَعْمِلُوهُ فَحَسُنَ الْإِسْتِعْمَالُ سَبَبُ اسْتِعْمَالِهَا دُونَ غَيْرِهَا
 وَاسْتِعْمَالُهَا سَبَبُ ظُهورِهَا وَبَيَانِهَا. فَالْفَصِيحُ إِذَنْ مِنَ الْأَلْفَاظِ
 هُوَ الْحَسَنُ. فَإِنْ قِيلَ مِنْ أَيْ وَجْهِ عِلْمِ أَرْبَابِ النَّظْمِ وَالنَّثْرِ
 الْحَسَنَ مِنَ الْأَلْفَاظِ حَتَّى اسْتَعْمَلُوهُ وَعَلِمُوا الْفَسِيحَ مِنْهَا حَتَّى
 نَفَوْهُ وَلَمْ يَسْتَعْمِلُوهُ. قُلْتُ فِي الْجَوَابِ إِنَّ هَذَا مِنَ الْأُمُورِ

الْمُحْسُوسَةِ الَّتِي شَاهِدَهَا مِنْ نَفْسِهَا لِأَنَّ الْأَلْفَاظَ دَاخِلَةً فِي
 حَيْزِ الْأَصْوَاتِ فَالَّذِي يَسْتَلِذُّ السَّمْعُ مِنْهَا وَيَهِيلُ إِلَيْهِ هُوَ
 الْمُحْسَنُ وَالَّذِي يَكْرَهُهُ وَيَنْفِرُ عَنْهُ هُوَ الْفَاسِدُ. أَلَا تَرَى أَنَّ
 السَّمْعَ يَسْتَلِذُّ صَوْتَ اللَّبْلِ مِنَ الطَّيْرِ وَصَوْتَ الشَّجَرِ
 وَيَهِيلُ إِلَيْهِمَا وَيَكْرَهُهُ صَوْتَ الْغُرَابِ وَيَنْفِرُ عَنْهُ وَكَذَلِكَ
 يَكْرَهُ نَهيقَ الْحِمَارِ وَلَا يَجِدُ ذَلِكَ فِي صَهِيلِ الْفَرَسِ. وَالْأَلْفَاظُ
 جَارِيَةٌ هَذَا الْعَجْرَى فَإِنَّهُ لَا خِلَافَ فِي أَنَّ لَفْظَةَ الْمُهْنَةِ
 وَالذِّمَّةِ حَسَنَةٌ يَسْتَلِذُّهَا السَّمْعُ وَأَنَّ لَفْظَةَ الْبُعَاثِ قَبِيحَةٌ
 يَكْرَهُهَا السَّمْعُ. وَهَذِهِ اللَّفْظَاتُ الثَّلَاثُ مِنْ صِفَةِ الْمَطَرِ وَهِيَ
 تَدُلُّ عَلَى مَعْنَى وَاحِدٍ وَمَعَ هَذَا فَإِنَّكَ تَرَى لَفْظَتِي الْمُهْنَةِ
 وَالذِّمَّةِ وَمَا جَرَى مَجْرَاهُمَا مَالُوفَتِي الْأَسْتَعْمَالِ وَتَرَى لَفْظَ
 الْبُعَاثِ وَمَا جَرَى مَجْرَاهُ مَتْرُوكًا لَا يُسْتَعْمَلُ وَإِنْ أَسْتَعْمِلَ
 فَإِنَّمَا يُسْتَعْمَلُهُ جَاهِلٌ بِحَقِيقَةِ الْفَصَاحَةِ أَوْ مِنْ ذَوْقِهِ غَيْرُ
 ذَوْقِ سَلِيمٍ وَإِنْ كَانَ عَرَبِيًّا مُحْضًا مِنَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأَقْدَمِينَ
 فَإِنَّ حَقِيقَةَ الشَّيْءِ إِذَا عَلِمْتَ وَجَبَ الْقُوفُ عِنْدَهَا وَلَمْ
 يُعْرِجْ عَلَى مَا خَرَجَ عَنْهَا

(عن المثل السائر)

الْقِسْمُ الثَّانِي

فِي الْبَلَاغَةِ

قَالَ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ حَبِيبٍ الْبَصْرِيُّ
 الْمَاورِدِيُّ لَيْسَ يَصِحُّ اخْتِيَارُ الْكَلَامِ إِلَّا لِمَنْ أَخَذَ نَفْسَهُ
 بِالْبَلَاغَةِ وَكَلَّفَهَا لُزُومَ الْفَصَاحَةِ حَتَّى يَصِيرَ مُتَدَرِّبًا بِهَا
 مُعْتَادًا لَهَا فَلَا يَأْتِي بِكَلَامٍ مُسْتَكْرَهٍ اللَّفْظِ وَلَا مُخْتَلٍّ الْمَعْنَى
 لِأَنَّ الْبَلَاغَةَ لَيْسَتْ عَلَى مَعَانٍ مُفْرَدَةٍ وَلَا لِأَلْفَافِهَا غَايَةً
 وَإِنَّمَا الْبَلَاغَةُ تَكُونُ بِالْمَعَانِي الصَّحِيحَةِ مُسْتَوْدَعَةً فِي الْأَفَاطِ
 فَصِيحَةٍ فَتَكُونُ فَصَاحَةً الْأَلْفَافِ مَعَ صِحَّةِ الْمَعَانِي هِيَ الْبَلَاغَةُ
 وَقَدْ قِيلَ لِلْيُونَانِيِّ مَا الْبَلَاغَةُ قَالَ اخْتِيَارُ الْكَلَامِ وَاصْصِحُّ
 الْأَقْسَامِ . وَقِيلَ ذَلِكَ لِلرُّومِيِّ فَقَالَ حُسْنُ الْإِخْتِصَارِ عِنْدَ
 الْبَدِيهِةِ وَالْغَزَارَةِ يَوْمَ الْإِطَالَةِ . وَقِيلَ لِلْعَرَبِيِّ فَقَالَ مَا حَسَنَ
 إِيجَازُهُ وَقُلَّ مَجَازُهُ . وَقِيلَ الْبَدَوِيِّ فَقَالَ مَا دُونَ السَّحْرِ
 وَفَوْقَ الشَّعْرِ يَفْتُ الْخَرْدَلُ وَيَحْطُ الْجَنْدَلُ . وَقِيلَ الْحَضَرِيِّ
 فَقَالَ مَا كَثُرَ إِعْجَازُهُ وَتَنَاسَبَتْ صُدُورُهُ وَأَعْجَازُهُ . وَسَأَلَ
 التَّحْجَاجُ ابْنَ الْفَرَّيَّةِ عَنِ الْإِيجَازِ قَالَ أَنْ تَقُولَ فَلَا تُبْطِئَ

وَأَنْ تُصِيبَ فَلَا تُخْطِئِ. وَقَالَ الشَّاعِرُ

خَيْرُ الْكَلَامِ قَلِيلٌ عَلَى كَثِيرٍ دَلِيلٌ

وَالْعِيُّ مَعْنَى قَصِيرٌ بِجَوِيهِ لَفْظٌ طَوِيلٌ

وَفِي الْكَلَامِ فُصُولٌ وَفِيهِ قَالٌ وَقِيلٌ

وَأَمَّا صِحَّةُ الْمَعَانِي فَتَكُونُ مِنْ ثَلَاثَةِ أَوْجُهٍ أَحَدُهَا إِضَاحُ

تَفْسِيرِهَا حَتَّى لَا تَكُونَ مُشْكِلَةً وَلَا مُجْمَلَةً. وَالثَّانِي اسْتِيفَاءُ

نَفْسِهَا حَتَّى لَا يَدْخُلَ فِيهَا مَا لَيْسَ مِنْهَا وَلَا يَخْرُجَ عَنْهَا مَا

هُوَ فِيهَا. وَالثَّالِثُ صِحَّةُ مُقَابَلَاتِهَا وَالْمُقَابَلَةُ تَكُونُ مِنْ وَجْهَيْنِ

أَحَدُهُمَا مُقَابَلَةُ الْمَعْنَى بِمَا يُوَافِقُهَا وَحَقِيقَةُ هَذِهِ الْمُقَابَلَةُ لِأَنَّ

الْمَعْنَى تُصِيرُ مُتَشَاكِلَةً. وَالثَّانِي مُقَابَلَتُهُ بِمَا يُضَادُّهُ وَهُوَ حَقِيقَةُ

الْمُقَابَلَةِ وَلَيْسَ لِلْمُقَابَلَةِ إِلَّا أَحَدُ هَذَيْنِ الْوَجْهَيْنِ الْمُوَافَقَةُ

فِي الْأَثْلَافِ وَالْبُضَادَةِ مَعَ الْأَخْلَافِ. فَأَمَّا فَصَاحَةُ

الْأَلْفَافِ فَتَكُونُ بِثَلَاثَةِ أَوْجُهٍ أَحَدُهَا مُجَانِبَةُ الْغَرِيبِ

الْوَحْشِيِّ حَتَّى لَا يَجِبَ سَمْعٌ وَلَا يَنْفِرَ مِنْهُ طَبْعٌ. وَالثَّانِي تَنَكُّبُ

الْلَفْظِ الْمُبْتَدَلِ وَالْعُدُولُ عَنِ الْكَلَامِ الْمُسْتَرْذَلِ حَتَّى لَا

يَسْتَسْطِطَهُ خَاصِيٌّ وَلَا يَتَّبِعُوهُ عَنْهُمْ عَامِيٌّ كَمَا قَالَ الْبَاحِظُ

فِي كِتَابِ الْبَيَانِ. أَمَّا أَنَا فَلَمْ أَرِ قَوْمًا أَمْثَلَ طَرِيقَةً فِي
 الْبَلَاغَةِ مِنَ الْكِتَابِ وَذَلِكَ أَنَّهُمْ قَدِ اتَّسَعُوا مِنَ الْأَلْفَاظِ
 مَا لَمْ يَكُنْ مُتَوَعِّرًا وَحْشِيًّا وَلَا سَافِطًا عَامِيًّا. وَالثَّالِثُ أَنْ
 يَكُونَ بَيْنَ الْأَلْفَاظِ وَمَعَانِيهَا مُنَاسِبَةً وَمُطَابِقَةً. أَمَّا الْمُطَابَقَةُ
 فَهِيَ أَنْ تَكُونَ الْأَلْفَاظُ كَأَقْوَابِ لِبَعَانِيهَا فَلَا تَزِيدُ عَلَيْهَا
 وَلَا تَقْصُرُ عَنْهَا. وَقَالَ بَشْرُ بْنُ الْمَعْتَمِرِ فِي وَصِيَّتِهِ فِي
 الْبَلَاغَةِ إِذَا لَمْ تَجِدِ اللَّفْظَةَ وَاقِعَةً مَوْقِعَهَا وَلَا صَائِرَةً إِلَى
 مُسْتَقَرِّهَا وَلَا حَالَةً فِي مَرْكَزِهَا بَلْ وَجَدْتَهَا قَلِقَةً فِي مَكَانِهَا
 نَافِرَةً عَنْ مَوْضِعِهَا فَلَا تُكْرِهْهَا عَلَى الْفَرَارِ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهَا
 فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تَتَعَاطَ قَرْضَ الشَّعْرِ الْمَوْزُونِ وَلَمْ تَتَكَلَّفِ
 أَخْيَارَ الْمَشُورِ لَمْ يَعْيبَكَ بِتَرْكِ ذَلِكَ أَحَدٌ وَإِذَا أَنْتَ
 تَكَلَّفْتَهُمَا وَلَمْ تَكُنْ حَازِقًا فِيهِمَا عَابَكَ مَنْ أَنْتَ أَقْلُ عَيْبًا
 مِنْهُ وَأَزْرَى عَلَيْكَ مَنْ أَنْتَ فَوْقَهُ. وَأَمَّا الْمُنَاسِبَةُ فَهِيَ أَنْ
 يَكُونَ الْمَعْنَى يَلِيقُ بِبَعْضِ الْأَلْفَاظِ إِمَّا لِعُرْفِ مُسْتَعْمِلٍ أَوْ
 لِاتِّفَاقِ مُسْتَحْسِنٍ حَتَّى إِذَا ذَكَرْتَ نِلْكَ الْمَعْنَى بِغَيْرِ نِلْكَ
 الْأَلْفَاظِ كَانَتْ نَافِرَةً عَنْهَا وَإِنْ كَانَتْ أَفْصَحَ وَأَوْضَحَ لِاعْتِبَادِ

مَا سِوَاهَا . وَقَالَ بَعْضُ الْبُلْغَاءِ لَا يَكُونُ الْبَلِيغُ بَلِيغًا حَتَّى
يَكُونَ مَعْنَى كَلَامِهِ أَسْبَقَ إِلَى فَهْمِكَ مِنْ لَفْظِهِ إِلَى سَمْعِكَ
(من كتاب ادب الدنيا والدين)

— ٥٥٥ —

الفصل الثامن

في المبادئ والآفات

إِعْلَمْ أَنَّ حَقِيقَةَ هَذَا النَّوعِ أَنْ يُجْعَلَ مَطْلَعُ الْكَلَامِ مِنَ
الشَّعْرِ أَوْ الرِّسَائِلِ دَالًّا عَلَى الْمَعْنَى الْمَقْصُودِ مِنْ ذَلِكَ
الْكَلَامِ إِنْ كَانَ فَتَحًا فَتَحًا وَإِنْ كَانَ هَنَاءً فَهَنَاءً أَوْ كَانَ
عِزًّا فَعِزًّا وَكَذَلِكَ يَجْرِي الْحُكْمُ فِي غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْمَعَانِي
وَفَائِدَتُهُ أَنْ يُعْرَفَ مِنْ مَبْدَأِ الْكَلَامِ مَا الْمُرَادُ بِهِ وَحُكْمُ هَذَا
النَّوعِ وَالْقَاعِدَةُ الَّتِي يُبْنَى عَلَيْهَا أُسَاسُهُ أَنَّهُ يَجِبُ عَلَى الشَّاعِرِ
إِذَا نَظَّمَ قَصِيدَةً أَنْ يَنْظُرَ فَإِنْ كَانَتْ مَدِيحًا صِرْفًا لَا يَخْتَصُّ
بِحَادِثَةٍ مِنَ الْحَوَادِثِ فَهُوَ مُخَيَّرٌ بَيْنَ أَنْ يَفْتَحَهَا بِغَزَلٍ أَوْ لَا
يَفْتَحَهَا بِغَزَلٍ بَلْ يَرْتَجِلُ الْمَدِيحَ أَرْتَجَالًا مِنْ أَوَّلِهَا كَقَوْلِ الْقَائِلِ

إِنْ حَارَتْ أَلْبَابُ كَيْفَ تَقُولُ

فِي ذَا الْقَتَامِ فَعُذْرُهَا مَقْبُولُ
سَامِحٌ بِفَضْلِكَ مَا دَحِيكَ فَمَا لَهُمْ

أَبَدًا إِلَى مَا تَسْتَحِقُّ سَبِيلُ
إِنْ كَارَ لَا يُرْضِيكَ إِلَّا مُحْسِنُ

فَالْمُحْسِنُونَ إِذَنْ لَدَيْكَ قَلِيلُ

فَإِنَّ هَذَا الشَّاعِرَ أَرْجَلَ الْمَدِيحَ مِنْ أَوَّلِ الْقَصِيدَةِ فَأَتَى بِهِ
كَمَا تَرَى حَسَنًا لَاتِقًا. وَأَمَّا إِذَا كَانَ الْقَصِيدُ فِي حَادِثَةٍ مِنْ
الْحَوَادِثِ كَفَتْهُ مَقْلٌ أَوْ هَزِيمَةٌ جَيْشٍ أَوْ غَيْرُ ذَلِكَ فَإِنَّهُ لَا
يَنْبَغِي أَنْ يُبَدَأَ فِيهِ بِغَزَلٍ وَإِنْ فُعِلَ ذَلِكَ دَلَّ عَلَى ضَعْفِ
قَرَبَةِ الشَّاعِرِ وَفُصُورِهِ عَنِ الْغَايَةِ أَوْ عَلَى جَهْلِهِ بِوَضْعِ
الْكَلَامِ فِي مَوَاضِعِهِ. فَإِنْ قِيلَ إِنَّكَ قُلْتَ يَجِبُ عَلَى الشَّاعِرِ
كَذَا وَكَذَا فَلِمَ ذَلِكَ قُلْتَ فِي الْجَوَابِ إِنَّ الْغَزَلَ رِقَّةٌ
مَحْضَةٌ وَالْأَلْفَاظُ الَّتِي تُنْظَمُ فِي الْحَوَادِثِ الْمُسَارِ إِلَيْهَا
مِنْ فَحْلِ الْكَلَامِ وَمَتَبِينَ الْقَوْلِ وَهِيَ ضِدُّ الْغَزَلِ. وَأَيْضًا
فَإِنَّ الْأَسْمَاعَ تَكُونُ مُتَطَلِّعَةً إِلَى مَا يُقَالُ فِي تِلْكَ الْحَوَادِثِ

وَالْأَبْدَاءُ بِالْمَحْضِ فِي ذِكْرِهَا لَا الْإِبْدَاءُ بِالْعَزْلِ إِذِ
الْهَيْمُ وَاجِبُ التَّقْدِيمِ

وَمِنْ أَدَبِ هَذَا النَّوعِ أَنْ لَا يَذْكُرَ الشَّاعِرُ فِي افْتِتَاحِ
قَصِيدَةٍ بِالْمَدِجِ مَا يَطِيرُ مِنْهُ. وَهَذَا يَرْجِعُ إِلَى أَدَبِ النَّفْسِ
لَا إِلَى أَدَبِ الدَّرْسِ فَيَنْبَغِي أَنْ يُحْتَرَزَ مِنْهُ فِي مَوَاضِعِهِ
كَوَصْفِ الدِّيَارِ بِالدُّثُورِ وَالْمَنَازِلِ بِالْعَفَاءِ وَغَيْرِ ذَلِكَ
مِنْ تَشْتِثِ الْأَلْفِ وَذَمِّ الزَّمَانِ وَلَا سِيَّهَا إِذَا كَانَ فِي
الْتِهَانِ فَإِنَّهُ يَكُونُ أَشَدَّ قُبْحًا وَإِنَّمَا يُسْتَعْمَلُ ذَلِكَ فِي
الْخُطُوبِ النَّازِلَةِ وَالنَّوَائِبِ الْحَادِثَةِ وَمَتَى كَانَ الْكَلَامُ فِي
الْمَدِجِ مُفْتَتِحًا بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ تَطِيرُ مِنْهُ سَامِعُهُ

وَإِنَّمَا خُصَّتِ الْإِبْدَاءَاتُ بِالْإِخْيَارِ لِأَنَّهَا أَوَّلُ مَا
يَطْرُقُ السَّمْعُ مِنَ الْكَلَامِ فَإِذَا كَانَ الْإِبْدَاءُ لَائِقًا بِالْمَعْنَى
الْوَارِدِ بَعْدَهُ تَوَقَّرَتِ الدَّوَاعِي عَلَى اسْتِمَاعِهِ. وَمِنْ قُبْحِ
الْإِبْدَاءَاتِ قَوْلُ ذِي الرُّمَّةِ مَا بَالُ عَيْنِكَ مِنْهَا أَلْبَاءُ
يَنْسَكِبُ لِأَنَّ مُقَابَلَةَ الْمَدْحِ بِهَذَا الْخِطَابِ لَا خِفَاءَ بِقُبْحِهِ
وَكِرَاهَتِهِ. وَمِثْلُهُ قَوْلُ أَبِي تَمَّامٍ تَجَرَّعَ أَسَى قَدْ أَفْرَأَ الْأَجْرَعُ

الْفَرْدُ. وَإِنَّمَا أَلْفَى أَبَا تَمَامٍ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَكْرُوهِ تَبَعُهُ
 لِلتَّجَنُّسِ بَيْنَ تَجَرُّعٍ وَالْأَجْرَعِ. وَكَذَلِكَ اسْتَفْجَى قَوْلُ
 الْبَحْرِيِّ فُوَادٌ مَلَأَهُ الْحُزْنُ حَتَّى تَصَدَّعَا. فَإِنَّ أَيْدَاءَ
 الْمَدِجِ بِمِثْلِ هَذَا طَبِيعَةٌ يَبْشُرُ عَنْهَا السَّمْعُ وَهُوَ أَجْدَرُ بِأَنْ
 يَكُونَ أَيْدَاءَ مَرْتَبَةٍ لَا مَدِجٍ وَمَا أَعْلَمُ كَيْفَ يَخْفَى هَذَا عَلَى
 مِثْلِ الْبَحْرِيِّ وَهُوَ مِنْ مُفْلِكِي الشُّعْرَاءِ. وَحُكِيَ أَنَّهُ لَمَّا فَرَعَ
 الْمُعْتَصِمُ مِنْ بِنَاءٍ قَصْرِهِ بِالْبَيْدَانِ جَلَسَ فِيهِ وَجَمَعَ
 أَهْلَهُ وَأَصْحَابَهُ وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَخْرُجُوا فِي زِيَّتِهِمْ فَمَا رَأَى
 النَّاسُ أَحْسَنَ مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ فَاسْتَأْذَنَ إِسْحَقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ
 الْمَوْصِلِيُّ فِي الْإِنْشَادِ فَأَذِنَ لَهُ فَأَنشَدَ شِعْرًا حَسَنًا أَجَادَ فِيهِ
 إِلَّا أَنَّهُ اسْتَفْجَحَهُ بِذِكْرِ الدِّيَارِ وَعَفَاءِهَا فَقَالَ

يَا دَارُ غَيْرِكَ أَلْبِي وَحَمَاكَ

يَا أَيْتَ شِعْرِي مَا الَّذِي أَبْلَاكَ

فَطَبَّرَ الْمُعْتَصِمُ بِذَلِكَ وَتَغَامَزَ النَّاسُ عَلَى إِسْحَقَ كَيْفَ
 ذَهَبَ عَلَيْهِ مِثْلُ ذَلِكَ مَعَ مَعْرِفَتِهِ وَعِلْمِهِ وَطُولِ خِدْمَتِهِ
 لِلْمُلُوكِ. فَإِذَا أَرَادَ الشَّاعِرُ أَنْ يَذْكُرَ دَارًا فِي مَدِيحِهِ فَلْيَذْكُرْ

كَمَا ذَكَرَ أَشْجَعُ السُّلَيْمِيُّ حَيْثُ قَالَ

قَصْرٌ عَلَيْهِ تَحِيَّةٌ وَسَلَامٌ خَلَعَتْ عَلَيْهِ جَبَاهَا الْأَيَّامُ
وَمَا أَجْدَرُ هَذَا الْبَيْتَ بِمُفْتَحِ شِعْرِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الَّذِي
أَنشَدَهُ لِلْمُعْتَصِمِ فَإِنَّهُ لَوْ ذَكَرَ هَذَا أَوْ جَرَى مَجْرَاهُ لَكَانَ
حَسَنًا لَا تَبْهًا. وَسُئِلَ بَعْضُهُمْ عَنْ أَحْذَقِ الشُّعْرَاءِ فَقَالَ مَنْ
أَجَادَ الْإِبْتِدَاءَ وَالْمَطْلِعَ. أَلَا تَرَى إِلَى قَصِيدَةِ أَبِي نُوَّاسٍ
الَّتِي أَوَّلَهَا

يَا دَارُ مَا فَعَلْتَ بِكَ الْأَيَّامُ لَمْ يَبْقَ فِيكَ بَشَاشَةٌ تُسَامُ
فَإِنَّهَا مِنْ أَشْرَفِ شِعْرِهِ وَأَعْلَاهُ مَنْزِلَةٌ وَهِيَ مَعَ ذَلِكَ مُسْتَكْرَهَةٌ
الْإِبْتِدَاءُ لِأَنَّهَا فِي مَدْحِ الْخَلِيفَةِ الْأَمِينِ وَافْتِتَاجِ الْمَدِيحِ
يَذْكُرُ الدِّيَارَ وَدُثُورَهَا مِمَّا يَطِيرُ مِنْهُ وَلَا سِيَّهَا فِي مُشَافَهَةِ
الْمُخْلِفَاءِ وَالْمُلُوكِ وَلِهَذَا يُخْتَارُ فِي ذِكْرِ الْأَمَاكِينِ وَالْمَنَازِلِ
مَا رَقَّ لَفْظُهُ وَحَسَنَ النُّطْقُ بِهِ كَالْعَذِيبِ وَالْغَوِيرِ وَرَأَمَةِ
وَبَارِقِ وَالْعَفِيقِ وَأَشْبَاهِ ذَلِكَ

وَأَعْلَمُ أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ شَرْطِ الْإِبْتِدَاءِ أَنْ لَا يَكُونَ مِمَّا
يَطِيرُ مِنْهُ فَقَطْ فَإِنَّ مِنَ الْإِبْتِدَاءِ مَا يُسْتَفْجَعُ وَإِنْ لَمْ
يَطِيرْ مِنْهُ كَقَوْلِ أَبِي تَمَّامٍ قَدْ كَأْتَيْتُ أَرْبَيْتَ فِي الْغُلُوءِ

وَقَوْلِهِ ^{ثَقِي} جَعَلَنِي لَسْتُ طَوْعَ مُؤَنِّي وَقَوْلِ أَبِي الطَّيِّبِ
 الْمُنْتَبِي أَفَلْ فَعَالِي بَلَهْ أَكْثَرُهُ مَجْدُ. وَالْعَجَبُ أَنَّ هَذِينَ
 الشَّاعِرَيْنِ الْمُهَلِّقَيْنِ يَبْدُوَانِ بِمِثْلِ ذَلِكَ وَلَهُمَا مِنَ الْإِبْدَاءَاتِ
 الْحَسَنَةِ مَا أَذْكُرُهُ. أَمَّا أَبُو تَهَامٍ فَإِنَّهُ أَفْتَحَ فَصِيدَتَهُ الَّتِي مَدَحَ
 بِهَا الْمُعْتَصِمَ عِنْدَ فَتْحِهِ مَدِينَةَ عَمُورِيَةَ فَقَالَ

السَّيْفُ أَصْدَقُ إِنْبَاءٍ مِنَ الْكُتُبِ
 فِي حَدِّهِ التَّحْدُ بَيْنَ التَّجْدِ وَاللَّعِبِ
 بِيضُ الصَّفَاحِ لَا سَوْدُ الصَّحَائِفِ فِي

مُتُونِهِمْ جَلَاءُ الشُّكِّ وَالرَّيْبِ
 فَلَمَّا فُتِحَتْ بَنَى أَبُو تَهَامٍ مَطْلَعَ فَصِيدَتِهِ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى
 وَجَعَلَ السَّيْفَ أَصْدَقَ مِنَ الْكُتُبِ الَّتِي خَبَّرَتْ بِامْتِنَاعِ
 الْبَلَدِ وَأَعْنِصَامِهَا. وَقَوْلُهُ فِي أَوَّلِ مَرْثِيَةٍ
 أَصَمَّ بِكَ النَّاعِي وَإِنْ كَانَ أَسْمَعَا
 وَأَصْنَحَ مَغْنَى الْجُودِ بَعْدَكَ بَلَقَعَا

وَأَمَّا أَبُو الطَّيِّبِ فَإِنَّهُ أَكْثَرَ مِنَ الْإِبْدَاءَاتِ الْحَسَنَةِ فِي
 شِعْرِهِ كَقَوْلِهِ فِي فَصِيدَةٍ يَمْدَحُ بِهَا كَافُورًا وَكَازًا قَدْ جَرَتْ
 بَيْنَهُ وَبَيْنَ ابْنِ سَيِّدِهِ نَزْعَةٌ فَبَدَأَ فَصِيدَتَهُ بِذِكْرِ الْغَرَضِ

الْمَقْصُودِ فَقَالَ

حَسَمَ الصَّلْحُ مَا أَشْتَهَتْهُ الْأَعَادِي

وَأَذَاعَتْهُ السُّنُ الْخُسَادِ

وَهَذَا مِنْ بَدِيعِ الْإِبْتِدَاءِ وَنَادِرِهِ . وَكَذَلِكَ وَرَدَ قَوْلُهُ فِي
سَيْفِ الدَّوْلَةِ وَكَانَ ابْنُ الشُّشُوقِ حَلَفَ لِبَلْقَيْنِهِ كِفَاحًا
فَلَمَّا التَّقْيَا لَمْ يُطِقْ ذَلِكَ وَوَلَّى هَارِبًا فَافْتَحَ أَبُو الطَّيِّبِ
فَصِيدَتُهُ بِفُجْوَى الْأَمْرِ فَقَالَ

عُتْبَى الْيَمِينِ عَلَى عُتْبَى الْوُغَى نَدَمَ

مَاذَا يَزِيدُكَ فِي إِفْدَامِكَ الْقَسَمِ

وَفِي الْيَمِينِ عَلَى مَا أَنْتَ أَوْاعِدُهُ

مَا دَلَّ أَنَّكَ فِي الْبُعَادِ مِنْهُمْ

وَمِنْ الْبَدِيعِ النَّادِرِ فِي هَذَا الْبَابِ قَوْلُهُ مُتَغَزِلًا فِي مَطْلَعِ
فَصِيدَتِهِ الْغَافِيَةِ وَهِيَ

أُتْرَاهَا لِكثَرَةِ الْعُشَّاقِ نَحْسَبُ الدَّمْعَ خِلْقَةً فِي الْمَاهِي
وَهَذَا الْقَدْرُ مِنَ الْأَمْثَلَةِ كَافٍ لِلْمُتَعَلِّمِ وَاللَّهُ الْمُوفِّقُ

(انتهى ملخصاً ببعض تصرف عن المثل السائر)

الفصل التاسع

في التلخيص والإقتضاب

إِعلم أنَّ التَّلْخِصَ هُوَ أَنْ يَأْخُذَ مُؤَنَّفُ الْكَلَامِ فِي مَعْنَى
مِنَ الْمَعْنَى فَبَيْنَا هُوَ فِيهِ إِذَا أَخَذَ فِي مَعْنَى آخَرَ غَيْرِهِ
وَجَعَلَ الْأَوَّلَ سَبَبًا إِلَيْهِ فَيَكُونُ بَعْضُهُ أَخِذَا بِرِقَابِ بَعْضٍ
مِنْ غَيْرِ أَنْ يَقْطَعَ كَلَامُهُ وَيَسْتَأْنِفَ كَلَامًا آخَرَ بَلْ يَكُونُ
جَمِيعُ كَلَامِهِ كَأَنَّمَا أُفْرِغَ إِفْرَاغًا وَذَلِكَ مِمَّا يَدُلُّ عَلَى
حَذَقِ الشَّاعِرِ وَقُوَّةِ تَصَرُّفِهِ مِنْ أَجْلِ أَنْ نِطَاقَ الْكَلَامِ
يَضِيقُ عَلَيْهِ وَيَكُونُ مُتَّبِعًا لِلْوِزْنِ وَالْقَافِيَةِ فَلَا تُؤَانِيهِ
الْأَلْفَاظُ عَلَى حَسَبِ إِرَادَتِهِ وَأَمَّا النَّائِرُ فَإِنَّهُ مُطْلَقُ الْعَيْنَانِ
يَهْضِي حَيْثُ شَاءَ فَلِذَلِكَ يَشُقُّ التَّلْخِصُ عَلَى الشَّاعِرِ أَكْثَرَ
مِمَّا يَشُقُّ عَلَى النَّائِرِ

وَأَمَّا الْإِقْتِضَابُ فَإِنَّهُ ضِدُّ التَّلْخِصِ وَذَلِكَ أَنْ يَقْطَعَ
الشَّاعِرُ كَلَامَهُ الَّذِي هُوَ فِيهِ وَيَسْتَأْنِفَ كَلَامًا آخَرَ غَيْرَهُ مِنْ
مَدِيحٍ أَوْ هِجَاءٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ وَلَا يَكُونُ لِلنَّائِرِ عِلَاقَةٌ بِالْأَوَّلِ
وَهُوَ مَذْهَبُ الْعَرَبِ وَمَنْ يَلِيهِمْ مِنَ الْمُخَضَّرِ مِمَّنْ وَأَمَّا

الْعَدُّونَ فَإِنَّهُمْ تَصَرَّفُوا فِي الْخَلْصِ فَأَبْدَعُوا وَأَظْهَرُوا مِنْهُ
كُلَّ غَرِيبَةٍ فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ أَبِي تَهَامٍ
يَقُولُ فِي قَوْمِ صَحْبِي وَقَدْ أَخَذَتْ

مِنَّا السُّرَى وَخَطَى الْمَهْرِيَّةَ الْقُودَ
أَمْطَلَعَ الشَّمْسُ تَبْغِي أَنْ تَوْمَّ بِنَا

فَقُلْتُ كَلَّا وَلَكِنْ مَطْلَعُ الْجُودِ

وَقَوْلُهُ

غِيْدَاءَ جَادٍ وَلِيَّ الْحُسْنِ سُنَّتَهَا

فَصَاغَهَا بِيَدَيْهِ رَوْضَةً أَنْفَا

يُضْحِي الْعَدُولُ عَلَى تَأْنِيهِ كَلِفَا

بِعُذْرِ مَنْ كَانَ مَشْغُوفًا بِهَا كَلِفَا

وَدَّعَ فُؤَادَكَ تَوْدِيعَ الْفِرَاقِ فَمَا

أَرَاهُ مِنْ سَفَرِ التَّوْدِيعِ مُنْصَرِفَا

يُجَاهِدُ الشَّوْقَ طَوْرًا ثُمَّ يَجْذِبُهُ

جِهَادُهُ لِلْقَوَا فِي فَيْ أَبِي دُلْفَا

وَمَا جَاءَ مِنَ الْخَلْصَاتِ الْحَسَنَةِ قَوْلُ الْمُتَنَبِّيِّ فِي قَصِيدَتِهِ

الدَّالِّيَّةِ

خَلِيلِي إِنِّي لَا أَرَى غَيْرَ شَاعِرٍ
فَلِمَ مِنْهُمْ الدَّعْوَى وَمِنِّي الْقَصَائِدُ
فَلَا تَعْجَبَا إِنَّ السُّيُوفَ كَثِيرَةٌ
وَلَكِنَّ سَيْفَ الدَّوْلَةِ الْيَوْمَ وَاحِدٌ

وَهَذَا هُوَ الْكَلَامُ الْأَخِذُ بَعْضُهُ بِرِقَابِ بَعْضٍ أَلَا تَرَى إِلَى
الْخُرُوجِ إِلَى مَدْحِ الْمَمْدُوحِ فِي هَذِهِ الْأَبْيَاتِ كَأَنَّهُ أَفْرَغَ
فِي قَالِبٍ وَاحِدٍ. وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ أَيْضًا وَهُوَ مِنْ أَحْسَنِ مَا
أَتَى بِهِ مِنَ التَّخْلِصَاتِ وَهُوَ فِي فَصِيدَتِهِ النَّاسِئَةِ

وَمَطَالِبِ فِيهَا الْهَلَاكُ أَتَيْتُهَا نَبْتَ الْجَنَانِ كَأَنِّي لَمْ آتِهَا
وَمَقَانِبِ بِمَقَانِبِ غَادَرَتِهَا أَقْوَاتَ وَحْشٍ كُنْ مِنْ أَقْوَاتِهَا
أَقْبَلْتُمَا غُرَرَ الْحِيَادِ كَأَنَّمَا أَيْدِي بَنِي عِمْرَانَ فِي جِبَاهَتِهَا
الَّتَابِتِينَ فُرُوسَةً كَجُلُودِهَا فِي ظَهْرِهَا وَالطَّعْنَ فِي لَبَائِهَا
فَكَأَنَّهَا تُنَجَّتْ قِيَامًا تَحْتَهُمْ وَكَأَنَّهُمْ وُلِدُوا عَلَى صَهَوَاتِهَا
تِلْكَ النُّفُوسُ الْغَالِبَاتُ عَلَى الْعُلَى وَالْحُجْدُ يَغْلِبُهَا عَلَى شَهَوَاتِهَا
سُقِيتْ مَنَابِتُهَا الَّتِي سَقَتِ الْوَرَى بِيَدِي أَبِي أَيُّوبَ خَيْرِ نَبَاتِهَا
فَأَنْظُرْ إِلَى هَذَيْنِ التَّخْلِصَيْنِ الْبَدِيعَيْنِ فَأَلَا أَوَّلُ خَرَجٍ بِهِ
إِلَى مَدْحِ قَوْمِ الْمَمْدُوحِ وَالثَّانِي خَرَجَ بِهِ إِلَى نَفْسِ

الْمَدْحُجَّ وَكِلَاهُمَا قَدْ أَغْرَبَ فِيهِ كُلُّ الْأَغْرَابِ . وَعَلَى هَذَا
جَاءَ قَوْلُهُ

إِذَا صَلَّيْتُ لَمْ أَتْرُكْ مَصَالًا لِفَانِكَ
وَإِنْ قُلْتُ لَمْ أَتْرُكْ مَقَالًا لِعَالِمِ

وَالَا فَخَاتَتِي الْقَوَائِي وَعَافِي

عَنِ ابْنِ عُبَيْدٍ اللَّهُ ضَعُفُ الْعَزَائِمِ

وَأَعْلَمُ أَنَّهُ قَدْ يَقْصِدُ الشَّاعِرُ التَّخْلُصَ فَيَأْتِي بِهِ قَبِيحًا

كَمَا فَعَلَ فَقَالَ عِنْدَ الْخُرُوجِ مِنَ الْغَزْلِ إِلَى الْمَدْحِ

غَدَا بِكَ كُلُّ خَلِوٍ مُسْتَهَامًا وَأَصْبَحَ كُلُّ مُسْتَوْرِ خَلِيعًا

أُحْبِكَ أَوْ يَقُولُوا جَرَّ نَمْلٍ نَبِيرٍ أَوْ ابْنُ إِبْرَاهِيمَ رِيحًا

وَهَذَا تَخْلُصٌ كَمَا تَرَاهُ بَارِدٌ لَيْسَ عَلَيْهِ مِنْ مَسْحَةِ الْجَهَالِ

شَيْءٌ وَهَذَا يَكُونُ الْإِقْضَابُ أَحْسَنَ مِنَ التَّخْلُصِ فَيَنْبَغِي

لِسَائِلِكَ هَذِهِ الطَّرِيقَةَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى مَا يَصُوغُهُ فَإِنْ أَنَاهُ

التَّخْلُصُ حَسَنًا كَمَا يَنْبَغِي وَإِلَّا فَلْيَدَعُهُ وَلَا يَسْتَكْرِهُهُ حَتَّى

يَكُونَ مِثْلَ هَذَا كَمَا فَعَلَ الْمُتَنَبِّيُّ

وَقَدْ اسْتَعْمَلَ ذَلِكَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ فِي قَصِيدَتِهِ الَّتِي

أَوَّلُهَا أَحْيَا وَأَيَسَّرُ مَا فَاسَيْتُ مَا قَتَلَا فَقَالَ

عَلَّ الْأَمِيرَ يَرَى ذُلِّي فَيَشْفَعُ لِي
إِلَى أَلَّتِي تَرَكَتْنِي فِي الْهَوَى مَثَلًا
وَالْإِضْرَابُ عَنْ مِثْلِ هَذَا التَّخْلُصِ خَيْرٌ مِنْ ذِكْرِهِ وَمَا أَلْفَاهُ
فِي هَذِهِ الْهَوَى إِلَّا أَبُو نُؤَاسٍ فَإِنَّهُ قَالَ
سَأَشْكُو إِلَى الْفَضْلِ بْنِ بَجْجِي بْنِ خَالِدٍ
هَوَاكَ لَعَلَّ الْفَضْلَ يَجْمَعُ بَيْنَنَا

وَهَذَا نَظَائِرُ وَأَشْبَاهُ فَلْيَتَخَيَّرِ النَّازِمُ
وَالْإِقْتِصَابُ الْوَارِدُ فِي الشَّعْرِ كَثِيرٌ لَا يُحْصَى وَالتَّخْلُصُ
بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِ قَطْرَةٌ مِنْ بَحْرِ وَلَا يَكَادُ يُوجَدُ التَّخْلُصُ فِي شِعْرِ
الشَّاعِرِ الْمُجِيدِ إِهْ قَلِيلًا بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْمُتَقَضِّبِ مِنْ شِعْرِهِ
فَمِنْ الْإِقْتِصَابِ قَوْلُ أَبِي نُؤَاسٍ فِي قَصِيدَتِهِ التُّونِيَّةِ الَّتِي
أَوَّلُهَا يَا كَثِيرَ التُّوَحِّ فِي الدِّمَنِ وَهَذِهِ الْقَصِيدَةُ هِيَ عَيْنُ
شِعْرِهِ إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يُكْمِلْ حُسْنَهَا بِالتَّخْلُصِ مِنَ الْغَزْلِ إِلَى
الْمَدِيحِ بَلْ أَقْتَضَبَهُ أَقْتِصَابًا فَبَيَّنَا هُوَ يَصِفُ الْخَمْرَ وَيَقُولُ
فَأَسْفِنِي كَأَسَا عَلَى عَذَلٍ كَرِهْتَ مَسْهُوعَهُ أَذْنِي
مِنْ كَهَيْتِ اللَّوْنِ صَافِيَةٍ خَيْرٍ مَا سَلَسَلْتَ فِي بَدَنِي
مَا اسْتَقَرَّتْ فِي فُؤَادِي فَتَى فَدَرَى مَا لَوْعَةُ الْحَزَنِ

حَتَّى قَالَ

تَضَحَّكُ الدُّنْيَا إِلَى مَلِكٍ قَامَ بِالْأَثَارِ وَالسَّنَنِ
 سَنَ لِلنَّاسِ النَّدَى فَنَدَوْا فَكَأَنَّ الْجَلَّ لَمْ يَكُنْ
 فَأَكْثَرَ مَدَائِحَ أَبِي نُوَّاسٍ مُقْتَضِبَةً هَكَذَا وَمِنْ هَذَا الْبَابِ
 قَوْلُ الْجُبَيْرِيِّ فِي قَصِيدَتِهِ الْمَشْهُورَةِ بِالْحُجُودَةِ الَّتِي مَدَحَ
 بِهَا الْفَتْحَ بْنَ خَاقَانَ وَذَكَرَ لِفَاءَهُ الْأَسَدَ وَقَتْلَهُ إِيَّاهُ وَأَوَّلَهَا
 أَجْدَكَ مَا يَنْفَكُ يَسْرِي لِرِزِينَا وَهِيَ مِنْ أُمَّاتِ شَعْرِهِ وَمَعَ
 ذَلِكَ لَمْ يُوفَّقْ فِيهَا لِلتَّخْلِصِ مِنَ الْغَزْلِ إِلَى الْهَدْيِ فَإِنَّهُ
 بَيْنَمَا هُوَ فِي تَغَزُّلِهِ وَهُوَ يَقُولُ

عَهْدُكَ إِنْ مَنَيْتَ مَنَيْتَ مَوْعِدًا
 جَهَامًا وَإِنْ أَبْرَفْتَ أَبْرَفْتَ خُلْبًا
 وَكُنْتُ أَرَى أَنَّ الصَّدُودَ الَّذِي مَضَى
 دَلَالٌ فَمَا إِنْ كَانَ إِلَّا تَجَنُّبًا
 فَوَا أَسْفَا حَسَامَ أَسْأَلُ مَا نَعَا
 وَآمَنُ خَوَانًا وَأَعِيبُ مَذْنِبًا
 حَتَّى قَالَ فِي أَثَرِ ذَلِكَ

أَقُولُ لِرَكْبٍ مُّعْتَفِينَ تَدْرَعُوا

عَلَى عَجَلٍ فِطْعًا مِنَ اللَّيْلِ غَيْبًا

رِدُّوا نَائِلَ الْفَتْحِ بْنِ خَاقَانَ إِنَّهُ

أَعَمُّ نَدَى فَيْكُمُ وَإِسْرُ مَطْلَبًا

فَخَرَجَ إِلَى الْمَدِيحِ بِغَيْرِ وَصْلَةٍ وَلَا سَبَبٍ . وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ فِي

فَصِيدَتِهِ الْمَشْهُورَةِ بِأَجْوَدَةِ اللَّيْلِ مَدَحَ بِهَا الْفَتْحُ بْنُ خَاقَانَ

أَيْضًا وَأَوَّلَهَا مَتَى لَاحَ بَرَقَ أَوْ بَدَأَ طَلَّلَ قَفَرٌ فَبَيْنَاهُ فِي

غَزَلِهَا حَتَّى قَالَ

لَعَمْرُكَ مَا الدُّنْيَا بِنَاقِصَةٍ أُمِّجَدَى

إِذَا بَقِيَ الْفَتْحُ بْنُ خَاقَانَ وَالْقَطْرُ

فَخَرَجَ إِلَى الْمَدِيحِ مُتَضَبًّا لَا مُتَعَلِّقًا بِهِ . وَأَمَّا هَذَا فِي

شِعْرِهِ كَثِيرٌ

وَالْتَخَلُّصُ غَيْرُ مُبْكِنٍ فِي كُلِّ الْأَحْوَالِ وَهُوَ مِنْ

مُسْتَصْعَبَاتِ عِلْمِ الْبَيَانِ فَلْيَتَدَبَّرِ الشَّاعِرُ وَبِهَذَا الْقَدْرِ مِنَ

الْأَمْثَلَةِ كِفَايَةٌ لِلطَّالِبِ

(انتهى ملخصاً عن المثل السائر)

الفصل العاشر

في الختام

هذا النوع ينبغي للشاعر والنائب أن يتأقفا فيه غاية التأني ويجودا فيه ما استطاعا لأنه آخر ما ينتهي إلى السمع ويتردد صده في الأذن ويعلق بحواشي الذكر فهو كمنقطع الشراب يكون آخر ما يهر بألفم ويعرض على الذوق فيشعر منه بما لا يشعر من سواه حتى لو كان في الشراب بعض مرارة وكان حلو الثمالة طيب المنزعة ستر هذا المحل تلك المرارة وكان هو الباقي وهي الذاهبة ولذلك ينبغي أن يكون الختام مهيئا عن سائر الكلام قبله بنكتة لطيفة أو أسلوب رقيق أو معنى بليغ وبخار له من اللفظ الرقيق الحاشية الخفيف التحمل على السمع السهل الورد على الطبع وينجأ به عن الأسهاب والتعقيد والثقل وغير ذلك مما تنبوعه الأذن وتثقل مؤوته على الذكر فتذهب طلاوته وتضيع به محاسن ما قبله لأن كل نال مما سبقه يعمو أثر ما تلاه فإن لم يكن في الأخير ما يخلف تلك المحاسن كلها ذهبت بأسرها طلفاء ومتى جود الشاعر أو

النَّائِرُ فِي آخِرِ كَلَامِهِ كَانَ ذَلِكَ دَلِيلًا عَلَى سَعَةِ صَدْرِهِ وَقُوَّةِ
ضَرَبَتِهِ وَأَنَّهُ لَمْ يُسْرِعْ إِلَيْهِ الضَّجْرُ وَلَمْ يَسْتَوِلْ عَلَيْهِ الْخَصَرُ
وَلَمْ يَنْتَزِفْ مَادَّتَهُ الْإِنْفَاقُ وَيَكُونُ مِثْلَهُ مِثْلَ الْفَرَسِ الْجَوَادِ
كَلَّمَا ذَهَبَ مِنْهُ جَرِي نَشِطَ لغيرِهِ وَكَانَ فِي آخِرِ شَوْطِهِ
أَقْوَى مِنْهُ فِي أَوَّلِهِ

وَحُكْمُ الْخِتَامِ أَنْ يَكُونَ مُؤَدِّنًا بِتِمَامِ الْكَلَامِ بِحَيْثُ يَكُونُ
وَاقِعًا عَلَى آخِرِ الْمَعْنَى فَلَا يَتَنَظَّرُ السَّامِعُ شَيْئًا بَعْدَهُ وَأُظْهِرُ
مَا يَكُونُ هَذَا فِي الْقِصَصِ الْمَسْقُوفَةِ كَمَا فِي الْمَقَامَاتِ مَثَلًا
فَإِنَّ نِهَايَةَ الْوَاقِعَةِ تَدُلُّ عَلَى خِتَامِ الْمَعْنَى فَيُخْتَمُ بِهِ اللَّفْظُ .
وَإِذَا لَمْ يَكُنِ الْمَعْنَى دَالًّا بِنَفْسِهِ عَلَى الْخِتَامِ حَسُنَ أَنْ يَدُلَّ
عَلَيْهِ بِكَلَامٍ آخِرٍ يُذَكِّرُ عَلَى عَقِبِ الْفَرَاغِ مِنْ سِيَاقَةِ الْأَغْرَاضِ
السَّابِقَةِ وَحُكْمُهُ أَنْ يَكُونَ مُنْتَزِعًا مِمَّا سَبَقَهُ فَيَقْفَى بِهِ تَقْرِيرًا
لِشَيْءٍ مِنْ تِلْكَ الْأَغْرَاضِ أَوْ إِجْمَالًا لِمُفَصَّلِهَا مُوردًا عَلَى
وَجْهِهِ مِنْ وَجْهِهِ الْبَلَاغَةِ أَوْ الْكَلَامِ الْجَمَاعِ أَوْ مُخْرِجًا مُخْرَجَ
الْمَثَلِ أَوِ الْحِكْمَةِ أَوْ مَا شَاكَلَ ذَلِكَ مِمَّا تَعَلَّقَتْهُ الْخَوَاطِرُ
وَتَقَيَّدَتْهُ الْأَذْهَانُ . وَهَذَا مِنْ أَوْعَرِ مَسَالِكِ هَذَا النَّوعِ
وَالظَّافِرُونَ بِقِلَائِدِهِ قَلِيلٌ لِعِزَّتِهِ وَأَمْتِنَاعِهِ وَأَكْثَرُ مَا يَجِي

فِي الشَّعْرِ أَوْ مَا يُنْحَى فِيهِ مَخَاهٍ مِنْ مَقَامَاتِ الْبَلَاغَةِ وَالْمَجْزَالَةِ
وَذَلِكَ كَقَوْلِ أَبِي الطَّيِّبِ الْمُنَبِّئِ
وَمَا أَخْصَكَ فِي بَرْءٍ بِنَهْنَةٍ
إِذَا سَلِمْتَ فَكُلُّ النَّاسِ قَدْ سَلِمُوا

وَقَوْلِ أَبِي تَمَّامٍ
أُولَى الْبَرِيَّةِ حَقًّا أَنْ تُرَاعِيَهُ
عِنْدَ السُّرُورِ الَّذِي آسَاكَ فِي الْحُزَنِ
إِنَّ الْكِرَامَ إِذَا مَا أَسْهَلُوا ذَكَرُوا
مَنْ كَانَ يَأْلَهُمْ فِي الْمَنْزِلِ الْخَشِينِ
وَقَوْلِ الزَّمَخْشَرِيِّ فِي خِتَامِ إِحْدَى مَقَالَاتِهِ إِنَّ الطَّيِّبَ
فِي الْكَلَامِ يُرْجَمُ عَنْ خِفَّةِ الْأَحْلَامِ وَمَا دَخَلَ الرِّفْقُ شَيْئًا
إِلَّا زَانَهُ وَمَا زَانَ الْمُتَكَلِّمَ إِلَّا الرِّزَانَةُ. وَقَوْلُهُ فِي خِتَامِ
أُخْرَى وَمَنْ جَاءَ بِالْدَّعْوَةِ يُخْفِيهَا وَيَخَافُ الْمَدْعُوَ فِيهَا
فَبَالِهَا مُحْكَمَةٌ ذَاتَ نِيرِينَ مُشْرِقَةٌ ذَاتَ نُورَيْنِ قَدْ أَخْرَجَتْهَا
الْخُفْيَةُ مِنْ بَابِ الرِّثَاءِ وَأَدْخَلَتْهَا الْخُفْيَةُ فِي بَابِ الْإِنْقَاءِ
وَلَكِنَّ النَّاسَ عَنِ التَّحْقِيقِ رُقُودٌ وَالنَّظَرِ الصَّحِيحِ بَيْنَهُمْ
مَقُودٌ. وَأَمَّا فِي غَيْرِ ذَلِكَ فَالْأَكْثَرُ فِي هَذَا الضَّرْبِ أَنْ

يُضَيِّنْ غَرَضًا آخَرَ مِنَ الدُّعَاءِ أَوْ عَرَضَ النَّفْسِ عَلَى خِدْمَةِ
الْمَكْتُوبِ إِلَيْهِ أَوْ تَوَقُّعِ الْجَوَابِ مِنْهُ أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا تَحْتَسِبُهُ
مَقَامَاتُ الْكَلَامِ وَتَقْنِصِيهِ دَوَاعِي الْحَالِ وَهِيَ طَرِيقَةُ الْكِتَابِ
وَالْمَوْلَدِينَ مِنَ الشُّعْرَاءِ ذَهَابًا إِلَى الْفَالِ أَوْ التَّبَرُّكِ أَوْ
زِيَادَةِ التَّحْسِبِ وَالتَّقَرُّبِ مِنْ مَقَامِ الْخُطَابِ أَوْ الْمَدْحِ
وَأَكْثَرُ مَا يَجْتُمِعُونَ فِي النَّثْرِ بَعْدَ الْأَغْرَاضِ الْمَذْكُورَةِ
بِقَوْلِهِمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ أَوْ بَيْنَ اللَّهِ وَفَضْلِهِ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ
وَالْأَمثلةُ عَلَى جَمِيعِ ذَلِكَ كَثِيرَةٌ مُسْتَفِيضَةٌ كَقَوْلِ الْقَاضِي
مُحْيِي الدِّينِ بْنِ عَبْدِ الظَّاهِرِ فِي خِتَامِ صُورَةِ عَهْدِ لِلْمَلِكِ
الْأَشْرَفِ صَلَاحِ الدِّينِ خَلِيلٍ وَاللَّهُ تَعَالَى يَجْعَلُ اسْتِخْلَافَهُ
هَذَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا وَلِلْمُعْتَدِينَ أَنْفِصَامًا وَيُطْفِئُ بِهَاءِ سَيْوفِهِ
نَارَ كُلِّ حَطَبٍ حَتَّى تُصْبِحَ كَمَا أَصْبَحَتْ نَارُ سَمِيَّةَ بَرْدًا وَسَلَامًا.
وَقَوْلِ الْوَزِيرِ أَبِي مُحَمَّدٍ بْنِ الْقَاسِمِ فِي خِتَامِ جَوَابِهِ وَإِنْ
قَسَمْتُكَ الْعَجَلَ لِقَدْرِكَ وَحَمِيمَكَ الْمَتْنَاهِي فِي بَرِّكَ
تَصَفَّحَ نَبَاءَكَ مَجْدًا وَطَوْلًا وَأَسْتَوْضَحَ إِخَاءَكَ عَقْدًا وَقَوْلًا
وَأَعْطَاكَ صَفْقَةً يَهْبِيهِ عَلَى الْهَوْدَةِ وَالْإِكْبَارِ وَوَلَاكَ صَفْوَةً
يَتَّقِيهِ صَادِقَةً الْإِعْلَانِ وَالْإِسْرَارِ فَلَنْ تَزَالَ بِتَوْفِيقِ اللَّهِ

تَجِدُهُ حَيْثُ تَنْشُدُهُ وَتَعِدُّهُ عَلَى أَزْرِ مَا تَعْتَقِدُهُ إِنْ شَاءَ
 اللَّهُ. وَقَوْلِ الْبَدِيعِ الْهَمْدَانِي فِي خِتَامِ رِسَالَةِ وَالشَّيْخِ
 الرَّئِيسِ فِي تَشْرِيفِي بِالْجَوَابِ وَتَعْرِيفِي بِسَارِ الْأَخْبَارِ
 وَتَكْلِيفِي سَوَائِحِ الْأَوْطَارِ وَتَصْرِيفِي عَلَى الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ
 رَأْيُهُ الْمَوْفَقُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى. وَمِنْ أَمْلَتِهِ فِي الشَّعْرِ
 قَوْلُ الْمَتْنِيِّ

فَلَا حَظَّ لَكَ الْهَيَّجَاءُ سَرَجًا
 وَلَا ذَاقَتْ لَكَ الدُّنْيَا فِرَاقًا

وَقَوْلُهُ

أَنْتُمْ سَعْدَكُمْ مَنْ أَعْطَاكَ أَوَّلَهُ
 وَلَا أَسْتَرِدَّ حَيَاةً مِنْكَ مُعْطِيهَا

وَقَوْلُ ابْنِ الْوَرْدِيِّ

سَلَامٌ عَلَيْكُمْ مَا أَحَبَّ وَصَالَكُمْ

وَعَايَةُ مَجْهُودِ الْمُهْلِ سَلَامٌ

وَكَثِيرًا مَا بَخَّيْتُ النَّائِرُ بِقَوْلِهِ وَالسَّلَامُ وَهُوَ مِنْ مَقَامَاتِ
 الْأَخْصَارِ وَالْإِبْجَارِ وَيَكْتُرُ اسْتِعْمَالُهُ فِي رَسَائِلِ الْعُتْبِ
 وَالْمَوْجِدَةِ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ. وَقَدْ بَخَّيْتُ بِلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ

إِلَّا بِاللَّهِ أَوْ بِقَوْلِهِ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ أَوْ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ أَوْ وَاللَّهُ
 أَعْلَمُ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا تَدْعُو إِلَيْهِ الْحَالُ . وَرُبَّمَا خَتَمَ بِمِثْلِ
 أَوْ بَيْتٍ مِنَ الشَّعْرِ وَذَلِكَ كَقَوْلِ الْخَوَارِزْمِيِّ فِي خِتَامِ
 رِسَالَةٍ وَلَقَدْ سَلَكَ الْأَمِيرُ مِنَ الْكُرْمِ طَرِيقًا يَسْتَوْحِشُ
 فِيهَا لِقَلَّةِ سَالِكِيهَا وَبَيْتُهُ فِي قِفَارِهَا لِدُرُوسِ آثَارِهَا
 وَأَنْهَدَامِ مَنَارِهَا أَعَانَهُ اللَّهُ عَلَى صُعُوبَةِ الطَّرِيقِ وَقِلَّةِ الرَّفِيقِ
 وَالْهَمَّةِ صَبْرًا يَهْوَنُ عَلَيْهِ أَحْزَابُ الْمَغَارِمِ وَيَقْرَبُ عَلَيْهِ
 مَسَافَةُ الْمَكَارِمِ فَبِالصَّبْرِ تَنَالُ الْعُلَى وَعِنْدَ الصَّبَاحِ يَجْمَدُ
 الْقَوْمُ السُّرَى . وَقَوْلُهُ أَيْضًا فِي خِتَامِ تَسْلِيَةٍ وَلَكِنَّ الْغَضَبَ
 يُنْسِي الْحُرْمَاتِ وَيَذْفِنُ السَّيِّئَاتِ وَيَخْلُقُ لِلْبَرِيءِ جَنَائَاتِ
 وَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَفِعْلُهُ

لَكَالِدَهْرٍ لَا عَارَ بِمَا فَعَلَ الدَّهْرُ

إِنْتَهَى وَفِي هَذَا الْقَدْرِ غَنِيَّةٌ لِلْبَصِيرِ وَفِي تَبَعِ رَسَائِلِهِمْ
 وَخُطَبِهِمْ وَدَوَائِبِ الشُّعْرَاءِ مِنْهُمْ قَدِيمُهَا وَحَدِيثُهَا مُؤَوَّنَةٌ
 كَافِيَةٌ بِهِدَايَةِ اللَّهِ وَتَسْدِيدِهِ

(مصحح)

الْقِسْمُ الثَّانِي

فِي شَذَرَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ مِنْ أَقْوَالِ الْكُتَّابِ
وَفِيهِ فُصُولٌ

فَصْلٌ

فِي حُسْنِ التَّوَاصُلِ

كُتِبَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ مُحَمَّدُ بْنُ طَاهِرٍ إِلَى بَعْضِ إِخْوَانِهِ
كَتَبْتُ أَعَزَّكَ اللَّهُ عَنْ ضَمِيرٍ أُنْدَجَحَ عَلَى سِرِّ اعْتِقَادِكَ
دُرَّةً وَتَبْلَجَ فِي أَفْقٍ وَدَادِكَ بَدْرُهُ وَسَالَ عَلَى صَفَحَاتِ
نَنَايِكَ مِسْكُهُ وَصَارَ فِي رَاحَتِي سَنَائِكَ مِلْكُهُ وَلَكِنَّمَا
ظَفِرْتُ بِفُلَانٍ حَمَلْتُهُ مِنْ تَحِيَّتِي زَهْرًا جَنِيًّا يُوَافِيكَ عَرْفُهُ
ذَكِيًّا وَيُؤَالِيكَ أُنْسُهُ نَحِيًّا وَيَقْضِي مِنْ حَتِّكَ فَرَضًا مَأْتِيًّا
عَلَى أَنَّ شَخْصَ جَلَالِكَ لِي مَائِلٌ وَبَيْنَ ضُلُوعِي نَازِلٌ لَا
يَمْلُهُ خَاطِرٌ وَلَا يَمَسُّهُ عَرَضٌ دَائِرٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ

وَكُتِبَ أَبُو الْفَضْلِ بْنُ الْعَبِيدِ إِلَى بَعْضِ إِخْوَانِهِ

قَدْ قَرُبَ أَيْدِكَ اللَّهُ مُحَلِّكَ عَلَى تَرَاحِيهِ وَتَصَاقِبِ

مُسْتَقَرُّكَ عَلَى تَنَائِيهِ لِأَنَّ الشَّوْقَ يُهْلِكُ وَالذِّكْرَ يُجِيلُكَ
فَنَحْنُ فِي الظَّاهِرِ عَلَى افْتِرَاقٍ وَفِي الْبَاطِنِ عَلَى تَلَاقٍ وَفِي
التَّسْبِيحِ مُتَبَايِنُونَ وَفِي الْمَعْنَى مُتَوَاصِلُونَ وَلَكِنْ تَفَارَقَتْ
الْأَشْبَاحُ لَقَدْ تَعَاثَتْ الْأَرْوَاحُ

وكتب بديع الزمان الهمداني الى القاسم الكرجي

يَعِزُّ عَلَيَّ أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَ الشَّيْخِ الرَّئِيسِ أَنْ يَنْوِبَ
فِي خِدْمَتِهِ فَلِي عَنْ قَدَمِي وَيَسْعُدْ بِرُؤْيَيْهِ رَسُولِي دُونَ
وُصُولِي وَيَرِدْ مَشْرَعَةَ الْأَنْسِ بِهِ كِتَابِي قَبْلَ رِكَابِي وَلَكِنْ
مَا أَجِيلُهُ وَالْعَوَائِقُ جَمَّةٌ

وَعَلَيَّ أَنْ أَسْعَى وَلَيْسَ عَلَيَّ إِدْرَاكُ النَّجَاحِ

وَقَدْ حَضَرْتُ دَارَهُ وَقَبِلْتُ جِدَارَهُ وَمَا بِي حُبُّ الْحَيِّطَانِ
وَلَكِنْ شَغَفًا بِالْأُطْطَانِ وَلَا عِشْقُ الْجُدْرَانِ وَلَكِنْ شَوْقًا إِلَى
السَّكَّانِ وَحِينَ عَدْتُ الْعَوَادِي عَنْهُ أَمَلْتُ ضَمِيرَ الشَّوْقِ
عَلَى لِسَانِ الْقَلَمِ مُعْذِرًا إِلَى الشَّيْخِ عَلَى الْحَقِيقَةِ عَنْ تَقْصِيرِ
وَقَعَ وَفُتُورٍ فِي الْخِدْمَةِ عَرَضَ وَلَكِنِّي أَقُولُ
إِنْ يَكُنْ تَرْكِي لِقَصْدِكَ إِذْنًا فَكَفَى أَنْ لَا أَرَاكَ عِقَابًا

وكتبه أبو محمد عبد الله البطليوسي إلى أبي الحسن بن الأخصر
 يَا سَيِّدِي الْأَعْلَى وَعِمَادِي الْأَسْنَى وَحَسَنَةَ الدَّهْرِ
 الْحُسْنَى الَّذِي جَلَّ قَدْرُهُ وَسَارَ مَسِيرُ الشَّمْسِ ذِكْرُهُ وَمَنْ
 أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَهُ لِفَضْلِ يُعْلِي مَنَارَهُ وَعِلْمٍ يُجَيِّ أَنَارَهُ نَحْنُ
 أَعَزُّكَ اللَّهُ نَتَدَانِي إِخْلَاصًا وَإِنْ تَنَاءَيْنَا أَشْخَاصًا وَبَجَعْنَا
 الْأَدَبُ وَإِنْ فَرَّقْنَا النَّسَبُ فَلَا أَشْكَالُ أَقَارِبُ وَالْأَدَابُ
 مَنَاسِبُ وَلَيْسَ يَضُرُّ تَنَاءِي الْأَشْبَاحِ إِذَا تَقَارَبَتِ الْأَرْوَاحُ
 وَمَا مَثَلْنَا فِي هَذَا الْأَنْتِظَامِ إِلَّا كَمَا قَالَ أَبُو تَمَّامٍ

نَسِيَنِي فِي رَأْيِي وَعَلَيَّ وَمَذْهَبِي

وَإِنْ بَاعَدْتَنَا فِي الْأَصُولِ الْمَنَاسِبُ

وَلَوْ لَمْ يَكُنْ لِمَا ثَرِكَ ذَاكِرٌ وَلِمَا خِرِكَ نَاشِرٌ إِلَّا ذُو الْوِزَارَتَيْنِ
 أَبُو فَلَانٍ أَبْقَاهُ اللَّهُ لِقَامَ لَكَ مَقَامَ سَحْبَانَ وَائِلٍ وَأَغْنَاكَ
 عَنْ قَوْلِ كُلِّ فَائِلٍ فَإِنَّهُ يَمُدُّ فِي مِضَارِ ذِكْرِكَ بَاعًا رَحِيبًا
 وَيَقُومُ بِغَيْرِكَ فِي كُلِّ نَادٍ خَطِيبًا حَتَّى يَشْنِي إِلَيْكَ الْأَحْدَاقَ
 وَيَلْوِي نَحْوَكَ الْأَعْنَاقَ فَكَيْفَ وَمَا يَنْطِقُ إِلَّا بِالَّذِي عَلِمْتَ
 سَعْدٌ وَمَا تَقَرَّرَ فِي النُّفُوسِ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ فَذِكْرُكَ قَدْ
 أُنْجِدَ وَأَغَارَ وَلَمْ يَسِرْ فَلَا حَيْثُ سَارَ وَإِنْ لَيْلَ جَهْلٍ

أَطْلَعْتَ فِيهِ فَجَرَ تَبَصِيرِكَ لِحْدِيرٍ بِأَنْ يَصِيرَ نَهَارًا وَإِنْ نَبَعَ
فَكَرَ قَدْحَهُ بِتَذَكِيرِكَ لِحْدِيرٍ بِأَنْ يَعُودَ مَرَحًا وَعَفَارًا فَهَنِيئًا
لَكَ الْفَضْلُ الَّذِي أَنْتَ فِيهِ رَاسِخُ الْقَدَمِ شَاحِخُ الْعِلْمِ
مَشْهُورُ الْإِلَوهَاءِ مَشْهُورُ الذِّكَاةِ مَلِيتِ أَلَا دَابُّ عُمَرِكَ
وَلَا عَدِمْتَ أَلَا لِبَابُ ذِكْرِكَ وَرَقِيتَ مِنَ الْهَرَاتِبِ أَعْلَاهَا
وَلَقِيتَ مِنَ الْمَارِبِ أَفْصَاهَا بِفَضْلِ اللَّهِ

والمصحح إلى صديق له

مَا زِلْتُ أَدَافِعُ النَّفْسَ فِيهَا تَقَاضَايَ مِنْ شَكْوَى
أَشْوَاقِهَا وَفِي الشَّكْوَى شِفَاؤُهَا وَأَسْتَنْزِلُ أَثْرَ مِنْ لَدُنْكَ تَعَلَّلُ
بِهِ مَسَافَةَ الْبَيْنِ إِلَى أَنْ يَهِنَ اللَّهُ بِاللِّقَاءِ وَمِنْ دُونِ إِجَابَتِهَا
مَشَادِهِ قَدْ شَغَلَتِ الذَّرْعَ وَشَوَاعِلُ قَدْ فَرَّغَ مِنْ دُونِهَا الْوَسْعُ
إِلَى أَنْ غَلَبَ جَيْشُ الْوَجْدِ عَلَى مَعَاوِلِ الصَّبْرِ وَزَاحَمَ مَنَاكِبَ
الْعُدُوِّ حَتَّى ضَرَبَ أَطْنَابَهُ بَيْنَ الْحِجَابِ وَالصَّدْرِ فَاتَّخَذْتُ
هَذِهِ الرُّفْعَةَ أَرْجِيهَا إِلَيْكَ وَفِيهَا مِنْ وَفْرِ الشَّوْقِ مَا يَنْوِي
بِرَسُولِهَا وَمِنْ رِقَّةِ الصَّبَابَةِ مَا يَكَادُ يَطِيرُ بِهَا أَوْ يَخْلِفُهَا
فِيصَافِحِ الْأَعْنَابِ قَبْلَ وَصُولِهَا رَاجِيًا لَهَا أَنْ تُتَلَقَّى بِمَا عُهِدَ
فِي سَيِّدِي مِنَ الطَّلَاقَةِ وَالْبِشْرِ وَأَنْ لَا يَضُنَّ عَلَيْهَا بِمَا

عَوَّدَنِي مِنْ تَهْيِيدِ الْعُذْرِ وَيَصْلِي مِنْ بَعْدِهَا بِأَنْبَاءِ الطَّيِّبَةِ
عَائِدَةٍ عَنْهُ بِمَا يَكُونُ لِلنَّاطِرِ قُرَّةً وَلِلخَاطِرِ مَسْرَةً إِنْ شَاءَ اللَّهُ

وله

وَإِقَانِي كِتَابُكَ الْعَزِيزُ فَأَهْلًا بِأَكْرَمِ رَسُولٍ جَاءَ
بِبَيِّنَاتِ الْإِخْلَاصِ وَالْوَفَاءِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ
ذِمَّةِ الْوَدَادِ وَالْإِخَاءِ يَتْلُو عَلَيَّ مِنْ حَدِيثِ الشُّوقِ مَا شَهِدَ
بِصِحِّهِ سَقَمِي وَهَتَفَ مُؤَذِّنُهُ فِي كُلِّ مَفْصِلٍ مِنْ جِسْمِي
وَيُذَكِّرُنِي مِنْ عَهْدِكَ مَا طَالَهَا أَذْكَرَنِيهِ الْبَرَقُ إِذَا لَمَعَ
وَالْبَدْرُ إِذَا طَلَعَ وَالْقَمَرُ إِذَا سَجَعَ وَإِنَّمَا عَدَانِي عَنْكَ
مَا أَنَا فِيهِ مِنْ مَجَادِبَةِ الشَّوَاغِلِ وَمُسَاوَرَةِ الْبَلَابِلِ
وَفِي الْقَلْبِ مَا فِي الْقَلْبِ مِنْ شَجَنِ الْهَوَى
تَبَدَّلَتْ أَمْحَالَاتُ وَهُوَ مُقِيمٌ

وَأَنَا عَلَى مَا بِي مِنْ غَلِّ الْبَنَانِ وَشُغْلِ الْجَنَانِ مَا زَالَتْ
أَنْبَاءُكَ عِنْدِي لَا يَخْطُبُنِي بِرِيدِهَا وَلَا يَنْتَطِعُ عَنِّي وَرُودُهَا
أُهْنِي النَّفْسَ مِنْهَا بِمَا تَهْنِي لَكَ مِنْ سَلَامَةٍ لَا يَرِثُ لَهَا شِعَارُ
وَأَقْبَالَ لَا يَعْتَرِضُهُ بِإِذْنِ اللَّهِ إِدْبَارُ وَفُصَارَى الْهَامُولِ
فِي كَرَمِكَ أَنْ تُعَامِلَنِي بِمَا سَبَقَ لَكَ مِنْ جَبِيلِ الصِّلَةِ إِلَى

أَنْ يَهْزَأَ اللَّهُ بِالْإِجْتِمَاعِ وَيُغْنِيَ بِالْعِيَانِ عَنِ السَّمْعِ
وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ

وكتب ابو بكر الخوارزمي الى ابي الوفاء صاحب جيش عضد الدولة
كتابي وانا بما يبلغني من صالح اخبار الشيخ مغتبط
مسرور وبما يعرفه الزمان واهله من اغصادي به مضمون
موفور والله على الاولى محمود وعلى الاخرى مشكور
التطفل وان كان محظورا في غير موطنه فانه مباح في
اماكنه وهو وان كان في بعض الاحوال يجمع عارا ووزرا
فانه في بعضها يجمع فخرا وذخرا ورب فعل يصاب به
وقته فيكون سنة وهو في غير وقته بدعة وقد تطلعت على
الشيخ بهذه الاحرف اخطب بها مودته اليه واعرض
فيها مودتي عليه واسأله ان يرسم لي في اساني وقلبي رسما
ويختم عليهما ختما فقد جعلتهما باسمه وقصرتهما على
حكمه وساضعهما تحت خفيه وبرئت اليه منهما وصرت
وكيلة فيهما فهما على غيره حتى لا يقرب وبجيرة لا تحلب
ولا تركب ولما نظرت الى اثار الشيخ على الاحرار
ونشرت طراز محاسنه من ايدي القاصدين والزوار رأيت

نَفْسِي غُفْلًا مِنْ سِمَةِ مَوَدَّتِهِ وَعُطْلًا مِنْ جَبَالِ عِشْرَتِهِ حَمِيَّتِهَا
مِنْ أَنْ يُجْحَى عَلَيْهَا وَرَدُّ مَوْرُودٍ وَيُحْسَرُ عَنْهَا ظِلٌّ عَلَى
الْجَمِيعِ مَمْدُودٌ وَغَجِبْتُ مِنْ

سَحَابِ خَطَائِي جَوْدَهُ وَهُوَ صَيَّبَ
وَجَرَّ عِدَائِي سَيْلُهُ وَهُوَ مُنْعَمٌ
وَبَدْرٍ أَضَاءَ الْأَرْضَ شَرْقًا وَمَغْرِبًا
وَمَوْضِعُ رِجْلِي مِنْهُ أَسْوَدُ مُظْلِمٌ

فَصْلٌ

فِي الْإِسْتِعْطَافِ وَالْإِعْتِدَارِ

كتب عمرو بن بجر الجاحظ إلى ابن أبي ذؤاد

لَيْسَ عِنْدِي أَعَزُّكَ اللَّهُ سَبَبٌ وَلَا أَقْدِرُ عَلَى شَفِيعٍ إِلَّا
مَا طَبَعَكَ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنَ الْكَرَمِ وَالرَّحْمَةِ وَالنَّامِيلِ الَّذِي لَا
يَكُونُ إِلَّا مِنْ نِتَاجِ حُسْنِ الظَّنِّ وَإِثْبَاتِ الْفَضْلِ بِجَالِ
الْهَامُولِ وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ مِنَ الْعُقَاةِ الشَّاكِرِينَ فَتَكُونَ
خَيْرَ مُعْتَبٍ وَأَكُونَ أَفْضَلَ شَاكِرٍ . وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ
هَذَا الْأَمْرَ سَبَبًا لِهَذَا الْإِنْعَامِ وَهَذَا الْإِنْعَامَ سَبَبًا لِلْإِنْقِطَاعِ

إِلَيْكُمْ وَالْكَوْنُ تَحْتَ أَجْنِحَتِكُمْ فَيَكُونُ لَا أَعْظَمَ بَرَكَةً وَلَا
أَنْبَى بَقِيَّةً مِنْ ذَنْبٍ أَصْحَبْتُ فِيهِ وَبِمِثْلِكَ جُعِلَتْ فِدَاكَ عَادَ
الذَّنْبُ وَسِيلَةً وَالسَّيِّئَةُ حَسَنَةً وَمِثْلِكَ مِنْ أَثَقَلَبَ بِهِ الشَّرُّ
خَيْرًا وَالْغُرْمُ غُنْمًا مَنْ عَاقَبَ فَقَدْ أَخَذَ حَظَّهُ وَإِنَّهَا الْأَجْرُ
فِي الْآخِرَةِ وَطِيبُ الذِّكْرِ فِي الدُّنْيَا عَلَى قَدَرِ الْإِحْسَانِ
وَتَجَرَّعَ الْمَرَائِرِ وَأَرْجُو أَنْ لَا أَضِيعَ وَأَهْلِكَ فِيهَا بَيْنَ
كَرَمِكَ وَعَقْلِكَ وَمَا أَكْثَرَ مَنْ يَعْفُو عَنْ صَغُرِ ذَنْبِهِ وَعَظُمِ
حَقُّهُ وَإِنَّهَا الْفَضْلُ وَالنَّيِّبُ الْعَفْوُ عَنْ عَظِيمِ الْجُرْمِ ضَعِيفِ
الْحُرْمَةِ وَإِنْ كَانَ الْعَفْوُ الْعَظِيمُ مُسْتَطَرَفًا مِنْ غَيْرِكُمْ فَهُوَ
تِلَادٌ فِيكُمْ حَتَّى رُبَّمَا دَعَا ذَلِكَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ إِلَى مُخَالَفَةِ
أَمْرِكُمْ فَلَا أَنْتُمْ عَنْ ذَلِكَ تُتَكَلَّمُونَ وَلَا عَلَى سَالِفِ إِحْسَانِكُمْ
تَنْدُمُونَ وَلَا مِثْلُكُمْ إِلَّا كَمِثْلِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ حِينَ كَانَ لَا
يُهْرُ بِمَلَأَمِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا أَسْمَعُوهُ شَرًّا وَأَسْمَعُوهُ خَيْرًا
فَقَالَ لَهُ شِمْعُونُ الصَّفَا مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ كُلِّهَا أَسْمَعُوكَ شَرًّا
أَسْمَعْتَهُمْ خَيْرًا فَقَالَ كُلُّ أَمْرٍ يُنْفِقُ مِنْهَا عِنْدَهُ وَلَيْسَ عِنْدَكُمْ
إِلَّا الْخَيْرُ وَلَا فِي أَوْعِيَتِكُمْ إِلَّا الرَّحْمَةُ وَكُلُّ إِنَاءٍ بِالَّذِي
فِيهِ يَبْتَضِعُ

وكتب الى رجله

زَيْنَكَ اللَّهُ بِالتَّقْوَى وَكَفَاكَ مَا أَهَمَّكَ مِنَ الْآخِرَةِ
وَالْأُولَى. مَنْ عَاقَبَ أَبْنَاكَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى الصَّغِيرَةِ عُقُوبَةً
الْكَبِيرَةِ وَعَلَى الْهَفْوَةِ عُقُوبَةً الْأَصْرَارِ فَقَدْ تَنَاهَى فِي الظُّلْمِ.
وَمَنْ لَمْ يَفْرُقْ بَيْنَ الْأَسَافِلِ وَالْأَعَالِي وَالْأَدَانِي وَالْأَقَاصِي
فَقَدْ قَصَرَ. وَاللَّهُ لَقَدْ كُنْتُ أَكْرَهُ سَرَفَ الرِّضَى مَخَافَةَ أَنْ
يُؤَدِّيَ إِلَى سَرَفِ الْهَوَى فَمَا ظَنُّكَ بِسَرَفِ الْغَيْظِ وَغَلْبَةِ
الْغَضَبِ مِنْ طِبَاشٍ عَجُولٍ فَحَاشٍ وَمَعَهُ مِنَ الْخُرْقِ بِقَدَرِ
فِسْطِهِ مِنَ النَّهَابِ الْحُمْرَاءِ وَأَنْتَ رُوحٌ كَمَا أَنْتَ جِسْمٌ
وَكَذَلِكَ جِنْسُكَ وَنَوْعُكَ إِلَّا أَنَّ النَّأْثُرَ فِي الرِّقَاقِ أَسْرَعُ
وَضِدُّهُ فِي الْغِلَاطِ أَجْفَاءُ أَكْمَلُ وَلِذَلِكَ أَشَدَّ جَزَعِي عَلَيْكَ
مِنْ سُلْطَانِ الْغَيْظِ وَغَلْبَتِهِ. فَإِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَعْرِفَ مِقْدَارَ
الذَّنْبِ إِلَيْكَ مِنْ مِقْدَارِ عِقَابِكَ عَلَيْهِ فَانْظُرْ فِي عِلَّتِهِ وَفِي
سَبَبِ إِخْرَاجِهِ إِلَى مَعْدِنِهِ الَّذِي مِنْهُ نَجَمَ وَعُشْيُهُ الَّذِي مِنْهُ
دَرَجَ وَإِلَى جِهَةِ صَاحِبِهِ فِي التَّسْرِعِ وَالثَّبَاتِ وَإِلَى حِلِّهِ
عِنْدَ التَّعَرِّضِ وَفِطَّتِهِ عِنْدَ التَّوْبَةِ. فَكُلُّ ذَنْبٍ كَانَ سَبَبُهُ
ضَيْقَ صَدْرٍ مِنْ جِهَةِ الْفَيْضِ فِي الْمَقَادِيرِ أَوْ مِنْ طَرِيقِ

أَلَا نَفَقَ وَغَلَبَ طِبَاعَ الْحَمِيَّةِ مِنْ جِهَةِ الْخَفَوَةِ أَوْ مِنْ جِهَةِ
 اسْتِحْقَاقِهِ أَوْ كَانَ مُبْلَغًا عَنْهُ مَكْذُوبًا عَلَيْهِ وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ جَائِزًا
 فِيهِ غَيْرَ مُنْتَجِعٍ مِنْهُ فَإِذَا كَانَتْ ذُنُوبُهُ مِنْ هَذَا الشَّكْلِ فَلَيْسَ
 يَقِفُ عَلَيْهَا كَرِيمٌ وَلَا يَنْظُرُ فِيهَا حَلِيمٌ. وَلَسْتُ أُسَمِّيهِ بِكَثْرَةِ
 مَعْرُوفِهِ كَرِيمًا حَتَّى يَكُونَ عَقْلُهُ غَامِرًا بِعِلْمِهِ وَعِلْمُهُ غَالِبًا عَلَى
 طِبَاعِهِ كَمَا لَا أُسَمِّيهِ بِكَفِّ الْعِقَابِ حَلِيمًا حَتَّى يَكُونَ عَارِفًا
 بِمِقْدَارِ مَا أَخَذَ وَتَرَكَ. وَمَنْ وَجَدَتْ الذَّنْبَ بَعْدَ ذَلِكَ لَا
 سَبَبَ لَهُ إِلَّا الْبُغْضُ الْخُصُّ وَالنِّفَارُ الْغَالِبُ فَلَوْ لَمْ تَرْضَ
 لِصَاحِبِهِ بِعِقَابٍ دُونَ فَعْرِ جَهَنَّمَ لَعَذَرَكَ كَثِيرٌ مِنَ الْعُقَلَاءِ
 وَصَوَّبَ رَأْيَكَ عَالَمٌ مِنَ الْأَشْرَافِ. وَالْأَنَاءُ أَقْرَبُ مِنَ
 الْحَمْدِ وَأَبْعَدُ مِنَ الذَّمِّ وَأَنَايٌ مِنْ خَوْفِ الْعَجَلَةِ وَقَدْ قَالَ
 الْأَوَّلُ عَلَيْكَ يَا لَأَنَاءٍ فَإِنَّكَ عَلَى إِيقَاعِ مَا لَمْ تُوقِعْهُ أَقْدَرُ
 مِنْكَ عَلَى رَدِّ مَا قَدْ أَوقِعْتَهُ. وَلَيْسَ يُصَارِعُ الْغَضَبُ أَيَّامَ
 شَبَابِهِ شَيْءٌ إِلَّا صَرَعَهُ وَلَا يُنَارِعُهُ قَبْلَ انْتِهَائِهِ إِلَّا فَهَرَهُ
 وَإِنَّمَا بُخَالُ لَهُ قَبْلَ هَيْجِهِ فَتَى تَمَكَّنَ وَاسْتَفْعَلَ وَأَذَكِي
 نَارُهُ وَأَشْعَلَ ثُمَّ لَاقَى مِنْ صَاحِبِهِ قُدْرَةً وَمِنْ أَعْوَانِهِ سَعَاءًا
 وَطَاعَةً فَلَوْ اسْتَبَطَّنَتْهُ بِالنُّورَةِ وَأَوْجَرَتْهُ بِالْإِنْجِيلِ وَلَدَدَّتْهُ

يَا زُبَيْرُ وَأَفْرَغْتَ عَلَى رَأْسِهِ الْقُرْآنَ إِفْرَاغًا وَأَتَيْتَهُ بِأَدَمَ
 شَفِيعًا لَهَا أَقْصَرَ دُونَ أَقْصَى قُوَّتِهِ وَلَكِنْ يُسَكِّنُ غَضَبَ الْعَبْدِ
 إِلَّا ذِكْرَهُ غَضَبَ الرَّبِّ . فَلَا تَقِفْ حِفْظَكَ اللَّهُ بَعْدَ مُضِيِّكَ
 فِي عَنَابِي التَّهَامِ لِلْعَفْوِ عَنِّي وَلَا تُقْصِرْ عَنِ إِفْرَاطِكَ مِنْ
 طَرِيقِ الرَّحْمَةِ بِي وَلَكِنْ قِفْ وَفَقَّةً مِنْ يَتِيمِ الْغَضَبِ عَلَى
 عَقْلِهِ وَالشَّيْطَانِ عَلَى دِينِهِ وَيَعْلَمْ أَنَّ لِلْكَرَمِ أَعْدَاءَ وَيُهِسِكُ
 إِمْسَاكَ مَنْ لَا يُبْرِئِي نَفْسَهُ مِنَ الْهَوَى وَلَا يُبْرِئِي الْهَوَى مِنَ
 الْخَطَا . وَلَا تُنْكِرْ لِنَفْسِكَ أَنْ تَزِلَّ وَلِعَقْلِكَ أَنْ يَهْفُو فَقَدْ زَلَّ
 آدَمُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ خَلَقَهُ بِيَدِهِ . وَلَسْتُ أَسْأَلُكَ
 إِلَّا رَيْثَهَا تَسْكُنُ نَفْسُكَ وَيَرْتَدُّ إِلَيْكَ ذَهْنُكَ وَتَرَى الْحِلْمَ
 وَمَا يَجْلِبُ مِنَ السَّلَامَةِ وَطِيبِ الْأَحْذَوْنَةِ . وَاللَّهُ يَعْلَمْ
 وَكَفَى بِهِ عَلَيْهَا لَقَدْ أَرَدْتُ أَنْ أَفْدِيَكَ بِنَفْسِي فِي مَكَاتِبَائِي
 وَكُنْتُ عِنْدَ نَفْسِي فِي عِدَادِ الْمَوْتَى وَفِي حَيْزِ الْهَلَكَى فَرَأَيْتُ
 أَنَّ مِنَ الْخِيَانَةِ لَكَ وَمِنَ اللَّوْمِ فِي مُعَامَلَتِكَ أَنْ أَفْدِيَكَ
 بِنَفْسٍ مَيْتَةٍ وَأَنْ أُرِيكَ أَنِّي قَدْ جَعَلْتُ لَكَ أَنْفَسَ ذُخْرٍ
 وَالذُّخْرُ مَعْدُومٌ . وَأَنَا أَقُولُ كَمَا قَالَ أَخُو تَقِيْفٍ مَوَدَّةُ
 الْآخِ النَّالِدِ وَإِنْ أَخْلَقَ خَيْرٌ مِنْ مَوَدَّةِ الْآخِ الطَّارِفِ

وَإِنْ ظَهَرَتْ مَسَاعِيهِ وَرَأَتْ جِدَّتُهُ سَلَّمَكَ اللَّهُ وَسَلَّمَ
عَلَيْكَ وَكَانَ لَكَ وَمَعَكَ

وكتب بعضهم الى أمير

أَنَا مَنْ لَا يُحَاجُّكَ عَنْ نَفْسِهِ وَلَا يُغَالِطُكَ فِي جُرْمِهِ
وَلَا يُلْتَمِسُ رِضَاكَ إِلَّا مِنْ جِهَةِ عَفْوِكَ وَلَا يَسْتَعْطِفُكَ إِلَّا
بِالْإِقْرَارِ بِالذَّنْبِ وَلَا يَسْتَسِيلُكَ إِلَّا بِالْاعْتِرَافِ بِالزَّلَّةِ
وَقَالَ أَحْسَنُ بْنُ وَهْبٍ

مَا أَحْسَنَ الْعَفْوَ مِنَ الْقَادِرِ لَا سِيَّهَا عَنْ غَيْرِ ذِي نَاصِرٍ
إِنْ كَانَ لِي ذَنْبٌ وَلَا ذَنْبَ لِي فَمَا لَهُ غَيْرُكَ مِنْ غَافِرٍ
أَعُوذُ بِالْوَدِّ الَّذِي بَيْنَنَا أَنْ يَفْسُدَ الْأَوَّلُ بِالْآخِرِ

وكتب ابن مكرم الى بعض الرؤساء

نَبَتْ بِي غِرَّةُ الْحِدَاثَةِ فَرَدَّتْنِي إِلَيْكَ التَّجَرُّبَةُ وَقَادَتْنِي
الضَّرُورَةُ ثِقَةً بِإِسْرَاعِكَ إِلَيَّ وَإِنْ أَبْطَأْتُ عَنْكَ وَقَبُولِكَ
لِعُذْرِي وَإِنْ قَصَّرْتُ عَنْ وَاجِبِكَ وَإِنْ كَانَتْ ذُنُوبِي
سَدَّتْ عَلَيَّ مَسَالِكَ الصَّغْحِ عَنِّي فَرَاجِعْ فِي مَجْدِكَ وَسُودْدِكَ
وَإِنِّي لَا أَعْرِفُ مَوْفِقًا أَذِلُّ مِنْ مَوْفِقِي لَوْلَا أَنَّ الْخُاطِبَةَ فِيهِ
لَكَ وَلَا خُطَّةً أَدْنَى مِنْ خُطَّتِي لَوْلَا أَنَّهَا فِي طَلَبِ رِضَاكَ

وكتب أبو بكر الخوارزمي إلى أبي علي البجلي لما طال عتابه وكثرت
رفاهه إليه

لَوْ بَغَرَ الْمَاءُ حَلْفِي شَرِقُ

كُنْتُ كَالْغَصَّانِ بِالْمَاءِ أَغْصَارِي

كَيْفَ يَقْدِرُ ابْنُ اللَّهِ الشَّيْخُ عَلَى الدَّوَاءِ مَنْ لَا يَهْدِي
إِلَى أَوْجِهِ الدَّاءِ وَكَيْفَ يُدَارِي أَعْدَاءَهُ مَنْ لَا يَعْرِفُ
الْأَصْدِقَاءَ مِنَ الْأَعْدَاءِ وَكَيْفَ يُعَالِجُ عِلَّةَ الْفَرَحَةِ الْعَبِيَاءِ
أَمْ كَيْفَ يَسْرِي بِلَا دَلِيلٍ فِي الظُّلُمَاءِ أَمْ كَيْفَ يُخْرِجُ
الْهَارِبُ مِنْ بَيْنِ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ الْكَرِيمُ أَيْدَى اللَّهِ الشَّيْخُ
إِذَا قَدَّرَ غَفْرًا وَإِذَا أَوْثَقَ أَطْلَقَ وَإِذَا أَسْرَأُ عُنُقَ وَلَقَدْ
هَرَبْتُ مِنَ الشَّيْخِ إِلَيْهِ وَتَسَلَّحْتُ بِعَفْوِهِ عَلَيْهِ وَالْقَيْتُ رَبَّةَ
حَيَاتِي وَمَمَاتِي بِيَدِهِ فَلْيَذِفْنِي حِلَاوَةَ رِضَاهُ عَنِّي كَمَا أَذَانِي
مَرَارَةً اتَّقَامِهِ مِنِّي وَلْتُلْحَ عَلَى حَالِهِ غُرَّةُ عَفْوِهِ كَمَا لَاحَتْ
عَلَيْهَا مَوَاسِمُ غَضَبِهِ وَسَطْوِهِ وَلْيَعْلَمْ أَنَّ الْخَرَّ كَرِيمُ الظَّفَرِ
إِذَا نَالَ أَحَالَ وَأَنَّ اللَّئِيمَ لَثِيمُ الظَّفَرِ إِذَا نَالَ اسْتَطَالَ
وَلْيَغْنِمِ التَّجَاوُزَ عَنْ عَثَرَاتِ الْأَحْرَارِ وَلْيَنْتَهِزْ فُرْصَ
الْإِقْدَارِ وَلْيَحْمَدِ اللَّهَ الَّذِي أَقَامَهُ مُقَامَ مَنْ يُرْتَجَى وَيُخْشَى

وَرَكَّبَ نِصَابَهُ فِي رُتْبَةِ شَابِ الزَّمَانِ وَمَجْدَهَا فِتْيَ وَأَخْلَقَ
 الْعَالَمَ وَذَكَرَهَا طَرِيًّا فَجَعَلَهُ فِي الْهَيْلَادِ كَرِيمَهَا وَسَلِيلَهَا وَفِي
 الرُّتْبَةِ قَدْرَتَهَا وَجَلِيلَهَا وَلَبَعَثَ أَنَّهُ قَدْ هَابَهُ مَنْ اسْتَرَوْا لَمْ
 يُذْنِبِ إِلَيْهِ مَنْ اعْتَذَرَ وَأَنَّ مَنْ رُدَّ عَلَيْهِ عُذْرُهُ فَقَدْ أُخْرِجَ
 إِلَى الشُّجَاعَةِ بَعْدَ الْحَبْنِ وَأُخْرِجَ ذَنْبُهُ إِلَى صَحْنِ الْبَقِينِ
 مِنْ سُرَّةِ الظَّنِّ وَفَقَّ اللَّهُ الشَّيْخَ لَهَا بِحَفْظِ عَلَيْهِ قُلُوبِ
 أَوْلِيَائِهِ وَعَصَبَتِهِ مِمَّا يَزِيدُ بِهِ فِي عَدَدِ جَمَاجِمِ أَعْدَائِهِ
 وَلَيْسَ بَيْنَ الْمَوْلَاةِ وَالْمُعَادَاةِ إِلَّا لَقِيَّةٌ بِشِعَةٍ أَوْ لَفْظَةٌ
 قَدِ عَهِدَتْ

والمصحح إلى بعض أصفهائه

وَأَفَانِي كِتَابَكَ الْعَزِيزُ وَالنَّفْسُ نَارِعَةٌ إِلَى مَا يُزِيلُ
 نِفَارَهَا وَالْقَرِيجَةُ نَائِقَةٌ إِلَى مَا يَشْحَذُ غِرَارَهَا فَكَانَ رَوْضَةٌ
 بِاسْمَةِ الْكَمَائِمِ فَاتِحَةُ النَّسَائِمِ قَدَرَدَتْ عَلَى النَّفْسِ أَنْ يَسَاطَهَا
 وَأَحْيَتْ الْبَادِرَةَ فَاسْتَأْنَفَتْ نَشَاطَهَا فَأَنَامَتْهُ مَا بَيْنَ وَشْيِ
 بُحْبُلٍ طِرَازِ الْعَبْرِيَّةِ وَزُخْرَفٍ دُونَهُ نَضْرَةُ السَّابِرِيَّةِ
 تَنَاجِيْنِي مِنْهُ رَشَاقَةُ الْفَاطِ تَنْفُضُ قُدُودَ الْحَسَنِ وَغَضَاضَةُ
 أَنْفَاسٍ يَغَارُ مِنْهَا وَرَدُ الْحَبْنِ وَرِقَّةُ خِطَابِ يَشْفُ عَنْ

وَدِّ صَفِيٍّ وَلَطْفِ حَفِيٍّ وَكَرَمٍ وَفِيٍّ وَعَنْبٍ أَعَذَبَ مِنْ
الْمَاءِ الْفَرَّاحِ وَأَرْقَ مِنْ نَسَمَاتِ الصَّبَا فِي الصَّبَاحِ حَتَّى
لَقَدْ حَبَّبَ إِلَيَّ تَقْصِيرِي وَشَفَعَ عِنْدَ نَفْسِي فِي قَبُولِ مَعَاذِيرِي
عَلَى أَنَّ مَا عِنْدِي مِنَ الْوَلَاءِ لَا يَغْتَرِبُهُ مَعَاذُ اللَّهِ وَهَنْ وَلَا
يُخْلِفُهُ تَمَادِي زَمَنِ أَوْ تَرَامِي وَطَنِ وَلَكِنْ صُرُوفُ
الْأَحْدَاثِ قَدْ قَصَّرَتْ الْجُهْدَ وَصَرَفَتْ جَوَادَ الْعَزِيمَةِ عَنِ
الْقَصْدِ وَاللَّهُ يُعَلِّمُ أَنِّي لَوْ نَزَلْتُ عَلَى حُكْمِ نَوَازِلِ الدَّهْرِ
وَلَمْ أُدَافِعْ طَلَائِعَهَا بِمَا بَقِيَ مِنْ سَاقَةِ الصَّبْرِ لَهَا كَانَ فِي
هِمَّتِي إِلَّا كَسْرُ الْبِرَاعِ وَهَجْرُ الْعَايِرِ وَالرِّقَاعِ وَحَسَنِي
مِنَ الْعُذْرِ مَا أَعْرِفُهُ مِنْ حِلْيَةِ الْمَالُوفِ وَمَا أَلِفْتُهُ مِنْ
كَرَمِكَ الْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ أَسْأَلُ أَنْ يُنِيقَكَ لِي مِنَ الدَّهْرِ
نَصِيبًا وَيُبَتِّعَنِي بِلِقَائِكَ قَرِيبًا بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ

وله ايضا

بِمَ يَعْتَذِرُ إِلَيْكَ مَنْ لَا يَرَى لِنَفْسِهِ عُذْرًا وَكَيْفَ يَسْتَرْ
مِنْ عَنَبِكَ مَنْ لَا يَسْتَطِيعُ لِذَنْبِهِ سِتْرًا بَلْ كَفَانِي مِنَ الْعَنْبِ
تَعْنِيفُ نَفْسِي عَلَى مَا أَلْبَسْتُ عَلَيْهَا مِنْ تَبَعَةِ تَقْصِيرِي وَمَا
حَلَّتْ بِهِ مِنَ التَّفْرِيطِ بَيْنَهَا وَبَيْنَ مَعَاذِيرِي وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا

كَانَ تَقْصِيرِي شَيْئًا أَرَدْتُهُ وَلَا كَانَ تَقْرِيبِي أَمْرًا فَصَدْتُهُ
وَلَكِنَّهَا الْأَيَّامُ إِنَّ صَاحِبَتَهَا لَمْ تُصِيبْ وَإِنْ عَاتَبْتَهَا لَمْ
تُعْتَبْ فَلَقَدْ عَبَّرَتْ بِي هَذِهِ الْبَرْهَةُ كُلُّهَا وَأَنَا بَيْنَ شَوَاغِلٍ
لَا يَشْغُلُهَا عَنِّي شَاغِلٌ وَبَلَابِلٍ قَدْ أَخْلَطَ حَابِلُهَا بِأَلْبَابِلٍ
فَنَازَعَتْهَا هَذِهِ النَّهْزَةُ أَلْسِيرَةً أُجِدُّ فِيهَا صَلَةَ التَّذْكَرَةِ إِلَى
أَنْ يَمُنَّ اللَّهُ بِصِلَةِ الْحَبْلِ وَاجْتِمَاعِ الشَّمْلِ وَأَسْتَنْزِلُ
أَحْرَفًا مِنْ خَطِّكَ يَكْتَحِلُ بِهَا النَّاطِرُ وَيَأْنَسُ إِلَيْهَا الْخَاطِرُ
مَتَوَقِّعًا بَعْدَ ذَلِكَ أَنْ أَتَى بَيْنَ يَدَيِ مَوَدَّتِكَ مَذْكُورًا وَأَنْ
لَا يَكُونَ عَجْزِي لَدَيْكَ شَيْئًا مَنْظُورًا وَأَنْ تَجْزِيَ بِي عَلَى
عَادَةِ حِلْمِكَ إِلَى أَنْ يَجْمَعَ اللَّهُ الشَّتَيْتَيْنِ وَيُغْنِيَ الْعَيْنَ
عَنِ الْأَثَرِ بِالْعَيْنِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى

— ۰۰۰ —

فصل

في العتاب

وكتب أبو الفضل بدیع الزمان المهداني إلى أبي جعفر الميكالي
لِثْنِ سَاءَ لِي أَنْ نَلْتَمِني بِمَسَاءَةٍ لَقَدْ سَرَّنِي أَنْي خَطَرْتُ بِبَالِكَ
الْأَمِيرُ أَطَالَ اللَّهُ بِقَاءَهُ إِلَى آخِرِ الدُّعَاءِ فِي حَالِي

بِرِّهِ وَجَفَائِهِ مُنْفَضِلٌ وَفِي يَوْمِي إِدْنَائِهِ وَإِبْعَادِهِ مُسْنِنٌ
 وَهَيْئَتُهُ مِنْ حِمَانَا مَا يَجْلُهُ وَمِنْ عُرَانَا مَا يَجْلُهُ وَمِنْ أَعْرَاضِنَا
 مَا يَسْتَحْلُهُ بَلَّغَنِي أَنَّهُ أَدَامَ اللَّهُ عِزَّهُ اسْتِرَادَ صَنِيعَهُ فَكُنْتُ
 أَظُنِّي مُجْنِبًا عَلَيْهِ مُسَاءً إِلَيْهِ فَإِذَا أَنَا فِي قَرَارَةِ الذَّنْبِ
 وَمَشَارَةِ الْعُتْبِ وَلَيْتَ شِعْرِي أَيُّ مُحْظُورٍ فِي الْعِشْرَةِ حَضَرْتُهُ
 أَوْ مَفْرُوضٍ مِنَ الْخِدْمَةِ رَفَضْتُهُ أَوْ وَاجِبٍ فِي الزِّيَارَةِ
 أَهْمَلْتُهُ وَهَلْ كُنْتُ إِلَّا ضَيْفًا أَهْدَاهُ مَنْزِعٌ شَاسِعٌ وَأَذَاهُ
 أَمَلٌ وَاسِعٌ وَحَدَاهُ فَضْلٌ وَإِنْ قُلْ وَهْدَاهُ رَأْيٌ وَإِنْ
 ضَلَّ ثُمَّ لَمْ يُلْقِ إِلَّا فِي آلِ مِيكَالَ رَحْلُهُ وَلَمْ يَصِلْ إِلَّا بِهِمْ
 حَبْلُهُ وَلَمْ يَنْظُرْ إِلَّا فِيهِمْ شِعْرُهُ وَلَمْ يَقِفْ إِلَّا عَلَيْهِمْ
 شُكْرُهُ ثُمَّ مَا بَعْدَتْ صَحْبَةً إِلَّا دَنَتْ مَهَانَةً وَلَا زَادَتْ حُرْمَةً
 إِلَّا تَقَصَّتْ صِيَانَةً وَلَا تَضَاعَفَتْ مِنَّةٌ إِلَّا تَرَاجَعَتْ مَنْزِلَةٌ
 حَتَّى صَارَ وَابِلُ الْأَعْظَامِ فِطْرَةً وَعَادَ قَهِيصُ الْقِيَامِ
 صُدْرَةً وَدَخَلَتْ مَجْلِسُهُ وَحَوْلَهُ مِنَ الْأَعْدَاءِ كَنِيَّةٌ فَصَارَ
 ذَلِكَ التَّقَرُّبُ أَزْوَارًا وَذَلِكَ السَّلَامُ اخْتِصَارًا وَالْإِهْتِزَازُ
 إِيْمَاءً وَالْعِبَارَةُ إِشَارَةً وَحِينَ عَاتَبْتُهُ أَمَلٌ إِعْنَابُهُ
 وَكَاتَبْتُهُ أَنْتَظِرُ جَوَابَهُ وَسَأَلْتُهُ أَرْجُو إِجَابَهُ أَجَابَ بِالسُّكُوتِ

فَمَا أَزْدَدْتُ لَهُ إِلَّا وِلَاءَ وَعَلَيْهِ إِلَّا ثَنَاءَ لَا جَرَمَ أَنِّي الْيَوْمَ
 أَبْيَضُ وَجْهَ الْعَهْدِ وَاضِحُ حُجَّةِ الْوُدِّ طَوِيلُ لِسَانِ
 الْقَوْلِ رَفِيعُ حُكْمِ الْعُذْرِ وَقَدْ حَمَلْتُ فُلَانًا مِنَ الرِّسَالَةِ
 مَا تَجَافَى الْقَلَمُ عَنْهُ وَالْأَمِيرُ الرَّئِيسُ أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَهُ
 يُنْعِمُ بِالْإِصْغَاءِ لِمَا يُورِدُهُ مُوقَفًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ
 وله الى القاسم الكرجي

أَنَا أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَ الشَّيْخِ سَيِّدِي وَمَوْلَايَ وَإِنْ لَمْ
 أَتَقِ تَطَاوُلَ الْأَخْوَانِ إِلَّا بِالنَّطُولِ وَتَحَامُلَ الْأَحْرَارِ
 إِلَّا بِالتَّحْمُلِ أَحَاسِبُ الشَّيْخِ أَيَّدَهُ اللَّهُ عَلَى أَخْلَاقِهِ ضِنًّا
 بِمَا عَقَدْتُ يَدِي عَلَيْهِ مِنَ الظَّنِّ بِهِ وَالتَّقْدِيرِ فِي مَذْهَبِهِ
 وَلَوْلَا ذَلِكَ لَقُلْتُ فِي الْأَرْضِ حَبَالٌ إِنْ ضَاقَتْ ظِلَالُكَ
 وَفِي النَّاسِ وَاصِلٌ إِنْ رُئِثَ حِبَالُكَ وَأُؤَاخِذُهُ بِأَفْعَالِهِ
 فَإِنْ أَعَارَنِي أُذُنًا وَاعِيَةً وَنَفْسًا مُرَاعِيَةً وَقَلْبًا مُتَعِظًا
 وَرُجُوعًا عَنْ ذَهَابِهِ وَتُرُوعًا عَنْ هَذَا الْبَابِ الَّذِي يَفْرَعُهُ
 وَتُرُوعًا عَنِ الصُّعُودِ الَّذِي يَفْرَعُهُ فَرَشْتُ لِمَوَدَّتِهِ خِيَانَ
 صَدْرِي وَعَقَدْتُ عَلَيْهِ جَوَامِعَ خَصْرِي وَمَجَامِعَ عُيْرِي
 وَإِنْ رَكِبَ مِنَ التَّعَالِي غَيْرَ مَرْكَبِهِ وَذَهَبَ مِنَ التَّغَالِي

فِي غَيْرِ مَذْهَبِهِ أَفْطَعْتُهُ خِطَّةَ أَخْلَافِهِ وَوَلَّيْتُهُ جَانِبَ
إِعْرَاضِهِ وَأَنْكَفَأْتُ

لَا أَذُودُ الطَّيْرَ عَنْ شَجَرٍ قَدْ بَلَوْتُ الْهَرَّ مِنْ ثَمَرِهِ
فَإِنِّي وَإِنْ كُنْتُ فِي مُقَبَّلِ السِّنِّ وَالْعُمْرِ قَدْ حَلَبْتُ شَطْرِي
الْدَّهْرَ وَرَكِبْتُ ظَهْرِي الْبَرَّ وَالْبَحْرَ وَلَقِيتُ وَفَدَيْ الْخَيْرِ
وَالْشَّرِّ وَصَافَحْتُ يَدِي النَّفْعَ وَالضَّرَّ وَضَرَبْتُ إِبْطِي
الْعُسْرَ وَالْيُسْرَ وَبَلَوْتُ طَعْمِي الْحُلُوَّ وَالْهَرَّ وَرَضِعْتُ
ضَرْعِي الْعُرْفَ وَالنَّكْرَ فَهَاتَكَادُ الْأَيَّامُ تُرِينِي مِنْ أَعْمَالِهَا
غَرِيبًا وَتُسَمِّعُنِي مِنْ أَحْوَالِهَا عَجِيبًا وَلَقِيتُ الْأَفْرَادَ
وَطَرَحْتُ الْأَحَادَ فَهَارَأَيْتُ أَحَدًا إِلَّا مَلَأْتُ حَافَتِي سَمْعِهِ
وَبَصَرِهِ وَشَغَلْتُ حِزْزِي فِكْرِهِ وَنَظَرِهِ وَأَثَقَلْتُ كِفَتَهُ فِي
الْحَزَنِ وَكِفَتَهُ فِي الْوِزَنِ وَوَدَّ لَوْ بَادَرَ الْقَرْنَ صَحِيفَتِي
أَوْ لَقِيَ صَفِيفَتِي فَهَالِي صَغُرْتُ هَذَا الصِّغَرُ فِي عَيْنِهِ وَمَا الَّذِي
أَزْرَى بِي عِنْدَهُ حَتَّى أَحْتَجِبَ وَقَدْ قَصَدْتُهُ وَلَزِمَ أَرْضَهُ وَقَدْ
حَضَرْتُهُ أَنَا أَحَاسِيهِ أَنْ يَجْهَلَ قَدْرَ الْفَضْلِ أَوْ يَجْعَدَ فَضْلَ
الْعِلْمِ أَوْ يَنْتَطِي ظَهْرَ النَّبِيِّ عَلَى أَهْلِيهِ وَأَسْأَلُهُ أَنْ
يَخْتَصَّنِي مِنْ بَيْنِهِمْ بِفَضْلِ إِعْظَامِ إِنْ زَلَّتْ بِي مَرَّةً قَدَمٌ فِي

قَصْدِهِ وَكَأَنِّي بِهِ قَدْ غَضِبَ لِهَذِهِ الْخَاطِبَةِ الْمُتَحِفَّةِ وَالرُّثْبَةِ
الْمُتَحِفَّةِ وَهُوَ فِي جَنْبِ جَفَائِهِ يَسِيرُ فَإِنْ أَقْلَعَ عَنْ عَادَتِهِ
وَنَزَعَ عَنْ شَيْبَتِهِ فِي الْجَفَاءِ فَأَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَ الْأُسْتَاذِ
الْفَاضِلِ وَأَدَامَ عِزَّهُ وَتَأْيِيدَهُ

وكتب الجاحظ الى فليس المغربي

وَاللَّهُ يَا قَلِيبُ لَوْلَا أَنَّ كَبِيدِي فِي هَوَاكَ مَقْرُوحَةٌ
وَرَوْحِي بِكَ مَجْرُوحَةٌ لَسَاجَلْتُكَ هَذِهِ الْقَطِيعَةَ وَمَادَدْتُكَ
حَبْلَ الْمَصَارِمَةِ وَأَرْجُو أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُدِيلُ صَبْرِي مِنْ
جَفَائِكَ فَيُرْثِكَ إِلَى مَوَدَّتِي وَأَنْفُ الْقَلَى رَاغِمٌ فَقَدْ طَالَ
الْعَهْدُ بِالْإِجْمَاعِ حَتَّى كِدْنَا تَنَاسَرُ عِنْدَ الْإِلْتِقَاءِ

وكتب بعضهم

لَوْ كَانَتْ الشُّكُوكُ تُخْلِجُنِي فِي صِحَّةِ مَوَدَّتِكَ وَكَرِيمِ
إِخَائِكَ وَدَوَامِ عَهْدِكَ لَطَالَ عَنِّي عَلَيْكَ فِي تَوَاتُرِ كُنْيَ
وَإِحْبَاسِ جَوَابَاتِي عَنِّي وَلَكِنَّ الثَّقَةَ بِهَا تَقَدَّمَ عِنْدِي تَعَذُّرُكَ
وَتَحْسَنُ مَا يَقْبَحُ جَفَاؤُكَ وَاللَّهُ يُدِيمُ نِعْمَتَهُ لَكَ وَلَنَا بِكَ

وكتب آخر الى بعض إخوانه

أَلْهَمَكَ اللَّهُ مِنَ الرُّشْدِ بِحَسَبِ مَا مَنَحَكَ مِنَ الْفَضْلِ

لَوْ أَنَّ كُلَّ مَنْ نَازَعَ إِلَى الصَّرْمِ قَلَدْنَاهُ عِنَانَ الْهَجْرِ لَكُنَّا أَوْلَى
بِالذَّنْبِ مِنْهُ وَلَكِنْ تَرُدُّ عَلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ وَتَأْخُذُ لَهَا مِنْكَ

وكتب عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر ذي الجناحين

الى بعض إخوانه

أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ عَاقَبَنِي الشُّكُّ فِي أَمْرِكَ عَنْ عَزِيمَةِ الرَّأْيِ
فِيكَ أَبَدًا تَنِي بِلُطْفٍ عَنْ غَيْرِ خَبْرَةٍ وَأَعْتَبْتَهُ جَفَاءً مِنْ غَيْرِ
ذَنْبٍ فَأَطْمَعَنِي أَوْلُكَ فِي إِخَائِكَ وَأَبَاسِي أَخْرُكَ مِنْ
وَفَائِكَ فَسُبْحَانَ مَنْ لَوْ شَاءَ لَكَشَفَ مِنْ أَمْرِكَ عَنْ عَزِيمَةِ
الرَّأْيِ فِيكَ فَأَقَمْنَا عَلَى اتِّلَافٍ وَأَفْتَرَقْنَا عَلَى اخْتِلَافٍ

وكتب أحمد بن يوسف الى بعضهم

لَوْلَا حُسْنُ الظَّنِّ بِكَ أَعَزَّكَ اللَّهُ لَكَانَ فِي إِغْصَائِكَ
عَنِّي مَا يَقْبِضُنِي عَنِ الطَّلَبَةِ إِلَيْكَ وَلَكِنْ أَمْسَكَ بِرَمَقٍ مِنْ
الرَّجَاءِ عَلَيَّ بِرَأْيِكَ فِي رِعَايَةِ الْحَقِّ وَبَسْطِ يَدِكَ إِلَى
الَّذِي لَوْ قَبَضْتَهَا عَنْهُ لَمْ يَكُنْ لَهُ إِلَّا كَرْمُكَ مُذَكِّرًا
وَسُودَ دُكِّ شَافِعَا

وكتب العنابي الى بعض إخوانه

لَوْ أَعْنَصَمَ شَوْقِي إِلَيْكَ بِمِثْلِ سُلُوكِ عَنِّي لَمْ أَبْذُلْ وَجْهَ

الرَّغْبَةَ إِلَيْكَ وَلَمْ أَتَجَسَّمْ مَرَّارَةً فَمَادِيكَ وَلَكِنْ اسْتَخَفَّنَا
 صَبَابُنَا فَأَحْمَلْنَا قَسْوَتَكَ لِعَظِيمِ قَدْرِ مَوَدَّتِكَ وَأَنْتَ
 أَحَقُّ مِنْ أَقْنَصِ لِيَصِلَنَا مِنْ جَفَائِهِ وَلِشَوْقِنَا مِنْ إِبْطَائِهِ
 وَكُتِبَ أَبُو بَكْرٍ الْخَوَّارُ زِيَّ إِلَى صَدِيقٍ لَهُ لَمَّا تَخَلَّصَ مِنْ يَدِ مُحَمَّدٍ بْنِ أَبِي رَهْمٍ

كِتَابِي وَقَدْ خَرَجْتُ مِنَ الْبَلَاءِ خُرُوجَ السَّيْفِ مِنَ
 الْأَجَلَاءِ وَبُرُوزَ الْبَدْرِ مِنَ الظُّلُمَاءِ وَقَدْ فَارَقْتَنِي الْحَيَّةُ
 وَهِيَ مُفَارِقٌ لَا يُشْتَاقُ إِلَيْهِ وَوَدَّعْتَنِي وَهِيَ مُودِّعٌ لَا يُبْكِي
 عَلَيْهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَعَالَى عَلَى مِحْنَةٍ بَجَلِيهَا وَنِعْمَةٍ يُنِيلُهَا
 وَيُؤَلِّمُهَا كُنْتُ أَتَوَقَّعُ أَمْسَ كِتَابِ الشَّيْخِ بِالنَّسْلِيَةِ وَالْيَوْمَ
 بِالنَّهْنِيَةِ فَلَمْ يُكَاتِبْنِي فِي أَيَّامِ الْبُرْحَاءِ بِأَنْهَا غَبَّتْهُ وَلَا
 فِي أَيَّامِ الرِّخَاءِ بِأَنْهَا سَرَّتْهُ وَقَدْ أَعْتَذَرْتُ عَنْهُ إِلَى نَفْسِي
 وَجَادَلْتُ عَنْهُ فَلْيَ فَقُلْتُ أَمَا إِخْلَالُهُ بِالْأُولَى فَلَانَهُ شَغَلَهُ
 الْأَهْتَامُ بِهَا عَنِ الْكَلَامِ فِيهَا وَأَمَا تَغَافُلُهُ عَنِ الْآخِرَى فَلَانَهُ
 أَحَبَّ أَنْ يُؤَفِّرَ عَلَى مَرْتَبَةِ السَّابِقِ إِلَى الْإِبْتِدَاءِ وَيَقْتَصِرَ بِنَفْسِهِ
 عَلَى مَحَلِّ الْإِقْدَاءِ لِتَكُونَ نِعَمُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ عَلَيَّ مَوْفُورَةً مِنْ
 كُلِّ جِهَةٍ وَمَخْفُوفَةً بِي مِنْ كُلِّ رُبْنَةٍ فَإِنْ كُنْتُ أَحْسَنْتُ
 إِلَّا عِذَارَ عَنْ سَيِّدِي فَلْيَعْرِفْ لِي حَقَّ الْإِحْسَانِ وَلْيَكْتُبْ

إِلَيَّ بِالْإِسْتِعْسَانِ وَإِنْ كُنْتُ أَسَاثُ فَلْيُخَبِّرْنِي بِعُذْرِهِ فَإِنَّهُ
أَعْرَفُ مِنِّي بِسِرِّهِ وَلَبِئْزَ مِنْي بِأَنِّي حَارَبْتُ عَنْهُ قَلْبِي
وَأَعْتَذَرْتُ عَنْ ذَنْبِهِ حَتَّى كَانَهُ ذَنْبِي وَقُلْتُ يَا نَفْسِ اعْذِرِي
أَخَاكَ وَخُذِي مِنْهُ مَا أَعْطَاكَ فَمَعَ الْيَوْمَ غَدٌ وَالْعَوْدُ أَحْمَدُ

—o—

فَصْلٌ

فِي التَّصَلُّ

كُتِبَ ابْنُ الرُّومِيِّ إِلَى الْقَاسِمِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ

تَرْفَعُ عَنْ ظُلْمِي إِنْ كُنْتُ بَرِيئًا وَتَقْضِلُ بِالْعَفْوِ إِنْ
كُنْتُ مُسِيئًا فَوَاللَّهِ إِنِّي لَا أَطْلُبُ عَفْوَ ذَنْبٍ لَمْ أَجْنِهِ وَأَتَسِسُ
الْأَقَالَةَ مِمَّا لَا أَعْرِفُهُ لِنَزْدَادَ تَطَوُّلاً وَأَزْدَادَ تَذَلُّلاً وَأَنَا
أَعِزُّ حَالِي عِنْدَكَ بِكَرَمِكَ مِنْ وَاشْ بِكَيْدِهَا وَأَحْرُسُهَا
بِوَفَائِكَ مِنْ بَاغٍ يُجَاوِلُ إِفْسَادَهَا وَأَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ
يَجْعَلَ حَظِّي مِنْكَ بِقَدْرِ وُدِّي لَكَ وَمَحَلِّي مِنْ رَجَائِكَ بِحَيْثُ
أَسْتَحِقُّ مِنْكَ

وَكُتِبَ آخِرُهَا إِلَى بَعْضِهِمْ

أَنْتَ أَعَزُّكَ اللَّهُ أَعْلَمُ بِالْعَفْوِ وَالْعُقُوبَةِ مِنْ أَنْ تُجَازِيَنِي

بِالسُّوءِ عَلَى ذَنْبٍ لَمْ أَجْنِهِ بِيَدٍ وَلَا لِسَانٍ بَلْ جَنَّاهُ عَلَى لِسَانٍ
 وَاشٍ . فَأَمَّا قَوْلُكَ إِنَّكَ لَا تُسَهِّلُ سَبِيلَ الْعُذْرِ فَأَنْتَ أَعْلَمُ
 بِالْكَرَمِ وَأَرْعَى لِلْحَقُوفِ وَأَقْعَدُ بِالشَّرَفِ وَأَحْفَظُ لِدِمَّتِهِ مِنْ
 أَنْ تَرُدَّ يَدَ مُؤْمِلِكَ صِفْرًا مِنْ عَفْوِكَ إِذَا التَّسَهُ وَ مِنْ عَذْرِكَ
 إِذَا جَعَلَ فَضْلَكَ شَافِعًا فِيهِ وَذَرِيعَةً لَهُ

وكتب بديع الزمان الهمداني الى ابي علي بن مشكويه

وَيَا عَزَّزْ إِنْ وَاشٍ وَشَى بِي عِنْدَكُمْ
 فَلَا تَهْلِيهِ أَنْ تَقُولِي لَهُ مَهَلًا

كَمَا لَوْ وَشَى وَاشٍ بَعْرَةً عِنْدَنَا
 لَقُلْنَا تَزْحُخْ لَا قَرِيْبًا وَلَا أَهْلًا

بَلَّغْنِي أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَ الشَّيْخِ أَنْ عَقْرَبَ الشَّرَّ دَبَّتْ إِلَيْهِ
 بِأَحَادِيثَ لَمْ يُعْرِهَا الْحَقُّ نُورُهُ وَلَا الصِّدْقُ ظُهُورُهُ وَأَنَّهُ
 أَدَامَ اللَّهُ عِزَّهُ أُذُنَ لَهَا عَلَى مَجَالِ أُذُنِهِ وَفَسَحَ لَهَا فِنَاءَ ظَنِّهِ
 وَمَعَاذَ اللَّهِ أَنْ أَقُولَهَا وَأُسَخِّيزَ مَعْقُولَهَا بَلْ قَدْ كَانَ
 بَيْنِي وَبَيْنَ الشَّيْخِ الْفَاضِلِ عِنَابٌ لَا يَتَعَدَّى النَّفْسَ وَضَمِيرَهَا
 وَحَدِيثٌ لَا يَعْرِفُ الشُّفَّةَ وَسَبِيرَهَا وَوَحْشَةٌ يَكْشِفُهَا عِنَابُ
 لَحْظَةٍ كَعِتَابِ جَحْظَةٍ فَسُبْحَانَ مَنْ رَبَّى هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى

صَارَ أَمْرًا وَتَابَطَ شَرًّا وَأَوْجَبَ عُذْرًا وَأَوْحَشَ حُرًّا
وَسُجَّانَ مَنْ جَعَلَنِي فِي جَنْبِ الْعَدُوِّ أَشِيمُ بَارِقَتُهُ وَأَسْتَجْلِي
صَاعِقَتُهُ وَأَنَا الْمُسَاءُ إِلَيْهِ وَالْعَجْنِي عَلَيْهِ لَكِنْ مِنْ بُلِي
مِنَ الْأَعْدَاءِ بِمِثْلِ مَا بُلِيتُ وَرُمِي مِنَ الْحَسَدِ بِهَا رُمِيتُ
وَوَقَفَ مِنَ التَّوْحِدِ وَالْوَحْدَةِ حَيْثُ وَقَفْتُ وَأَجْمَعَ عَلَيْهِ
مِنَ الْمَكَارِهِ مَا وَصَفْتُ أَعْتَذَرَ مَظْلُومًا وَضَحِكَ مَشْتُومًا
وَلَوْلَا أَنَّ الْعُذْرَ إِفْرَارٌ بِمَا فِيلَ وَأَكْرَهُ أَنْ أَسْتَقِيلَ
لَبَسَطْتُ فِي الْأَعْتِذَارِ شَاذِرُونَ أَنَا وَدَخَلْتُ فِي الْأِسْتِقَالَةِ
مِيدَانًا لَكِنَّهُ أَمْرٌ لَمْ أُضَعِ أَوَّلَهُ فَلَمْ أَتَدَارِكْ آخِرَهُ وَلَعَلَّ
الْشَّيْخَ أَبَا مُحَمَّدٍ أَيَّدَهُ اللَّهُ يَوْمَ مِنَ الْأَعْتِذَارِ بِهَا قَعَدَعْتُهُ
الْفَلَمُ فَنِعْمَ رَأَيْدُ الْفَضْلِ هُوَ وَالسَّلَامُ



فَصْلٌ

فِي الْمَدْحِ وَالشُّكْرِ

كُتِبَ أَحْمَدُ بْنُ مُكْرَمٍ إِلَى أَحْمَدَ بْنِ الْمَدْبَرِ

إِنَّ جَمِيعَ أَكْفَائِكَ وَنُظَرَائِكَ يَتَنَازَعُونَ الْفَضْلَ فَإِذَا
أَنْتَهَوْا إِلَيْكَ أَقْرُوا لَكَ وَيَتَنَافَسُونَ الْمَنَازِلَ فَإِذَا بَلَغُوكَ

وَقَفُّوا دُونَكَ فَرَادَكَ اللَّهُ وَزَادَنَّا بِكَ وَفِيكَ وَجَعَلْنَا مِنْ
يَقْبَلُهُ رَأْيُكَ وَيَقْدِمُهُ اخْتِيَارُكَ وَيَقَعُ مِنَ الْأُمُورِ بِمَوْجِعِ
مُوافَقَتِكَ وَيَجْرِي فِيهَا عَلَى سَبِيلِ طَاعَتِكَ

وكتب بعضهم

إِنَّ مِنَ النِّعْمَةِ عَلَى الْمُتَّبِعِ عَلَيْكَ أَنْ لَا يَخَافَ الْإِفْرَاطَ
وَلَا يَأْتِي مِنَ التَّقْصِيرِ وَيَأْتِي مَنْ أَنْ تَلْحَقَهُ نَقِصَةُ الْكَذِبِ وَلَا يَنْتَهِي
بِوَالْمَدْحِ إِلَى غَايَةٍ إِلَّا وَجَدَ فَضْلَكَ تَجَاوَزَهَا

وكتب آخر إلى بعضهم

إِنِّي فِيهَا أَتَعَاظِي مِنْ مَدْحِكَ كَأَنِّي أَخْبِرُ عَنْ ضَوْءِ النَّهَارِ
الزَّاهِرِ وَالنَّهْرِ الْبَاهِرِ الَّذِي لَا يَخْفَى عَلَى كُلِّ نَاطِقٍ
وَأَيُّقُنْتُ أَنِّي حَيْثُ أَنْتَ بِي الْأَمَلُ مَنْسُوبٌ إِلَى الْعِزِّ مُقْصِرٌ
عَنِ الْغَايَةِ فَأَنْصَرَفْتُ مِنَ الثَّنَاءِ عَلَيْكَ إِلَى الدُّعَاءِ لَكَ
وَوَكَّلْتُ الْإِخْبَارَ عَنْكَ إِلَى أَعْلَمِ النَّاسِ بِكَ

وكتب ابو الفضل بديع الزمان الهمداني إلى الشيخ الإمام ابي
الطيب سهل

وَلَمَّا وَقَعَ بِخُرَّاسَانَ مَا وَقَعَ مِنْ حَرْبٍ وَجَرَى مَا جَرَى
مِنْ خَطْبٍ وَأَضْطَرَبَتِ الْأُمُورُ وَأَخْتَلَفَتِ السُّيُوفُ وَالْتَقَتِ

الْجَمُوعُ وَظَفِرَ مَنْ ظَفِرَ وَخَسِرَ مَنْ خَسِرَ كَتَبَنِي اللَّهُ فِي
 الْأَعْلَانِ مَقَامًا ثُمَّ أَلْهَمَنِي الْأَمْتِدَادَ عَنْ تِلْكَ الْبِلَادِ
 وَالْإِفْلَاحَ عَنْ تِلْكَ الْبِقَاعِ وَأَحْسَنَ اللَّهُ الدِّفَاعَ عَنْ
 خَيْرِ الْأَعْلَاقِ وَهُوَ الرَّاسُ بِمَا دُونَ الْأَعْرَاضِ وَهُوَ اللَّبَاسُ
 فَلَمْ تَجْزَعْ لِمَرَضِ الْحَالِ مَعَ سَلَامَةِ النُّفُوسِ وَلَمْ تُخَزَنْ
 لِدَهَابِ الْمَالِ مَعَ بَقَاءِ الرُّؤُوسِ وَسِرْنَا حَتَّى وَرَدْنَا
 عَرَصَةَ الْعَدْلِ وَسَاحَةَ الْفَضْلِ وَمَرْبَعَ الْحَمْدِ وَمَشْرَعَ
 الْحَمْدِ وَمَطْلَعَ الْجُودِ وَمَنْزِعَ الْأَصْلِ وَمَشْعَرَ الدِّينِ وَمَفْرَعَ
 الشُّكْرِ وَمَصْرَعَ الْفَقْرِ حَضْرَةَ الْمَلِكِ الْعَادِلِ أَبِي أَحْمَدَ
 خَلْفَ بْنِ أَحْمَدَ فَكَانَ مَا أَضَعْنَاهُ كَأَنَّا زَرَعْنَاهُ فَأَنْبَتَ
 سَبْعَ سَنَابِلَ وَكَانَ مَا فَقَدْنَاهُ كَأَنَّا أَفْرَضْنَاهُ هَذَا الْمَلِكُ
 الْعَادِلُ وَكَأَنَّمَا سَمِّيَ خَلْفًا لِيَكُونَ عَنْ كُلِّ فَائِتٍ خَلْفًا
 وَعَنْ كُلِّ مَا مَضَى عِوَضًا وَكَأَنَّمَا جِئْنَاهُ لِيُضَيِّقَ عَلَيْنَا الْعَالَمَ
 وَيَبْغِضَ إِلَيْنَا بَنِي آدَمَ فَيَجْعَلَ حَبْسَنَا سَجِسْتَانًا وَقَيْدَنَا
 الْإِحْسَانَ وَكَأَنَّمَا خُلِقَ لِلدُّنْيَا تَحْجِيلًا وَلِلْمُلُوكِ تَحْجِيلًا
 وَكَأَنَّ هَذَا الْعَالَمَ قَدْ أَحْسَنَ عَمَلًا فَجُعِلَ هَذَا الْمَلِكُ
 ثَوَابَهُ وَكَأَنَّ هَذَا الْمَلِكَ قَدْ أَذْنَبَ مَثَلًا فَجُعِلَ هَذَا الْعَالَمُ

عِقَابُهُ فَهُوَ الْجَرُّ يَهْشِي عَلَى رَجُلَيْنِ وَالْعَبْدُ يَتَصَوَّرُ فِي
 الْعَيْنِ وَالْعَدْلُ يَتَقَسَّمُ وَالْجُودُ يَتَجَسَّمُ وَالْجَرُّ يَتَكَلَّمُ
 فَلَمَّا التَّقِينَا فَرَشْتُ الْأَرْضَ بِيَدِي فَرَشًا وَتَقَشْتُ التُّرَابَ
 بِفِي تَقَشًا وَخَطَا إِلَى خَطَوَاتِ كَادَتِ الْأَرْضُ لَا تَسْعَاهَا
 وَكَادَتِ الْمَلَائِكَةُ تَرْفَعُهَا ثُمَّ إِنَّهُ زَيْفَ بَلْقِيَايَ وَفُودَ الْكَلَامِ
 كَمَا زَيْفَتْ بَلْقِيَاهُ مُلُوكَ الْأَنَامِ وَأَفْسَدَنِي عَلَى النَّاسِ مِنْ
 جَمِيعِ الْأَجْنَاسِ فَمَا أَرْضَى غَيْرُهُ أَحَدًا وَلَا أَجِدُ مِثْلَهُ
 أَبَدًا وَإِنْ طَلَبْتُ مَلِكًا فِي أَخْلَاقِهِ مِثِّي وَلَمْ أَلَاقِهِ
 أَوْ كَرِيمًا فِي جُودِهِ عُدِمْتُ قَبْلَ جُودِهِ فَحَرَسَ اللَّهُ
 سُلْطَانَهُ مِنْ مَلِكٍ وَسَّعَ أَرْزَاقِي فَضِيقَ أَخْلَاقِي وَأَغْلَى
 ثَمَنِي فَمَا يَشْتَرِينِي أَحَدٌ وَعَظَّمَ أَمْرِي فَمَا يَسْعُنِي بَلَدٌ وَهَذَا
 وَصْفُ إِنْ أَطْلَعْتُهُ طَالَ وَنَشَرَ الْأَذْيَالَ وَأَسْتَغْرِقَ
 الْفِرْطَاسَ بَلِ الْأَنْفَاسَ وَأَسْتَنْفِدَ الْأَعْمَارَ بَلِ الْأَعْصَارَ
 وَلَمْ يَبْلُغِ الْمِئْشَارَ وَأَفْنَى الْأَفْلَامَ بَلِ الْكَلَامَ وَلَمْ
 يَبْلُغِ النَّهَامَ

وكتب الحسن بن وهب إلى بعضهم

مَنْ شَكَرَكَ عَلَى دَرَجَةٍ رَفَعْتَهُ إِلَيْهَا أَوْ ثَرَوَةٍ أَفْزَرْتَهُ

عَلَيْهَا فَإِنَّ شُكْرِي لَكَ عَلَى مُهِجَةٍ أَحْيَيْتَهَا وَحُشَاشَةٍ أَبْقَيْتَهَا
وَرَمَقٍ أَمْسَكْتَ بِهِ وَقُتْ بَيْنَ التَّلَفِ وَبَيْنَهُ فَلِكُلِّ نِعْمَةٍ مِنْ
نِعَمِ الدُّنْيَا حَدِّتْنِي إِلَيْهِ وَمَدَى يُوقِفُ عِنْدَهُ وَغَايَةَ مِنَ الشُّكْرِ
يَسْمُو إِلَيْهَا الطَّرْفُ خَلَا هَذِهِ النِّعْمَةَ الَّتِي قَدْ فَاقَتْ الْوَصْفَ
وَأَطَالَتِ الشُّكْرَ وَتَجَاوَزَتْ قُدْرَهُ وَأَنْتَ مِنْ وَرَاءَ كُلِّ غَايَةٍ
رَدَدْتَ عَنَّا كَيْدَ الْعَدُوِّ وَأَرْغَمْتَ أَنْفَ الْحَسُودِ فَتَحْنُ نَجًّا
مِنْكَ فِيهَا إِلَى ظِلِّ ظَلِيلٍ وَكَفِّ كَرِيمٍ فَكَيْفَ بِشُكْرِ الشَّاكِرِ
وَأَيْنَ يَبْلُغُ جُهْدُ الْمُجْتَهِدِ

وكتب ابو الفضل الميكالي الى بعضهم من رساله

فَأَمَّا الشُّكْرُ الَّذِي أَعَارَنِي رَدَاءَهُ وَقَلَّدَنِي طَوْقَهُ وَسَنَاءَهُ
فَهَيَّاتِ أَنْ يَنْسَبَ إِلَّا إِلَى عَادَاتِ فَضْلِهِ وَإِفْضَالِهِ أَوْ
يَسِيرِ إِلَّا تَحْتَ رَايَاتِ عُرْفِهِ وَنَوَالِهِ وَهُوَ ثَوْبٌ لَا يَجْلَى إِلَّا
بِذِكْرِهِ طِرَازُهُ وَأَسْمُهُ حَقِيقَتُهُ وَلِسَوَاهُ مَجَازُهُ وَلَوْ أَنَّهُ حِينَ
مَلَكَ رَفِي بِأَيْدِيهِ وَأَنْجَزَ وَسْعِي عَنْ حُقُوقِ مَكَارِمِهِ وَمَسَاعِيهِ
خَلَّى لِي مَذْهَبَ الشُّكْرِ وَمِيدَانَهُ وَلَمْ يُجَاذِبْنِي زِمَامُهُ وَعِنَانَهُ
لَتَعَلَّقْتُ فِي بُلُوغِ بَعْضِ الْوَاجِبِ بِعُرْوَةِ طَمَعٍ وَنَهَضْتُ
فِيهِ وَلَوْ عَلَى وَهْنٍ وَظَلَعٍ وَلَكِنَّهُ يَا بِي إِلَّا أَنْ يَسْتَوْلِيَ عَلَى

أَمَدِ الْفَضَائِلِ وَيَسْنَمُ ذَرَى الْغَوَارِبِ مِنْهَا وَالْكَوَاهِلِ فَلَا
يَدْعُ فِي الْعَجْدِ غَايَةً إِلَّا سَبَقَ إِلَيْهَا فَارْطًا وَتَخَلَّفَ سِوَاهُ
عَنْهَا حَسِيرًا سَافِطًا لِنُكُونِ الْعَالِي بِأَسْرِهَا مَجْمُوعَةً فِي
مِلْكِهِ مَنْظُومَةً فِي سِلْكِهِ خَالِصَةً لَهُ مِنْ دَعْوَى الْقَسِيمِ
وَشَرِكِهِ

فَصْلٌ

فِي الْعِبَادَةِ

كُتِبَ بَعْضُهُمْ إِلَى صَدِيقٍ لَهُ

كَيْسَتْ حَالِي أَكْرَمَكَ اللَّهُ فِي الْأَغْنِيَامِ بِعِلَّتِكَ حَالَ
الْمُشَارِكِ فِيهَا بِأَنْ يَنَالَنِي نَصِيبٌ مِنْهَا وَأَسْلَمَ مِنْ أَكْثَرِهَا
بَلْ أَجْتَمَعَ عَلَيَّ مِنْهَا أَنِّي مُخْصُوصٌ بِهَا دُونَكَ مُؤْتَمٌّ مِنْهَا بِهَا
يُؤْلِمُكَ فَاسْأَلُ اللَّهَ الَّذِي جَعَلَ عَافِيَتِي فِي عَافِيَتِكَ أَنْ
يُخْصِنِي بِهَا فِيكَ فَإِنَّهَا شَامِلَةٌ لِي وَلَكَ

وَكُتِبَ بَعْضُهُمْ

لَكِنْ تَخَلَّفْتُ عَنْ عِبَادَتِكَ بِالْعُذْرِ الْوَاضِحِ مِنَ الْعِلَّةِ مَا
أَغْنَى قَلْبِي ذِكْرَكَ وَلَا لِسَانِي فَحْصًا عَنْ خَبْرِكَ وَمُحِبِّكَ يُحِبُّ

أَنْ تَنْقَسَمَ جَوَارِحُهُ وَصَبَكَ وَإِنْ زَادَ فِي أَلَمِهَا أَلَمُكَ وَأَنْ
تَصِلَ بِهِ أَحْوَالُكَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَلَمَّا بَلَغَنِي إِفَاقَتُكَ
كَتَبْتُ مُهَيَّئًا بِالْعَافِيَةِ مُعْفِيًا مِنَ الْجَوَابِ إِلَّا بَخْبَرِ السَّلَامَةِ
إِنْ شَاءَ اللَّهُ

وكتب بعضهم

إِنَّ الَّذِي يَعْلَمُ حَاجَتِي إِلَى بَقَائِكَ قَادِرٌ عَنِ الْمُدَافَعَةِ
عَنْ حَوْبَائِكَ فَلَوْ قُلْتُ إِنَّ الْحَقَّ قَدْ سَقَطَ عَنِّي فِي عِبَادَتِكَ
لَأَنِّي عَلِيلٌ بَعَلَّتْكَ لِقَامُ بِذَلِكَ شَاهِدٌ عَدْلٌ فِي ضَمِيرِكَ وَأَثَرٌ
بَادٍ فِي حَالِي لِغَيْبَتِكَ وَأَصْدَقُ الْخَبَرِ مَا حَقَّقَهُ الْأَثَرُ وَأَفْضَلُ
الْقَوْلِ مَا كَانَ عَلَيْهِ دَلِيلٌ مِنَ الْفِعْلِ

وكتب ابن الرومي الى بعضهم

أُذِنَ لِلَّهِ فِي شِفَائِكَ وَتَلَقَّى دَاعَاكَ بِدَوَائِكَ وَمَسَحَ
بِيَدِ الْعَافِيَةِ عَلَيْكَ وَوَجَّهَ وَفَدَ السَّلَامَةَ إِلَيْكَ وَجَعَلَ
عَلَيْكَ مَاحِيَةً لِذُنُوبِكَ مُضَاعِفَةً لثَوَابِكَ

وكتب ابو بكر الخوارزمي الى تلميذه له

وَصَلَ كِتَابُكَ يَا سَيِّدِي فَسَرَّنِي نَظْرِي إِلَيْهِ ثُمَّ غَمَّنِي
أُطْلَاعِي عَلَيْهِ لِمَا تَضَمَّنَهُ مِنْ ذِكْرِ عِلَّتِكَ جَعَلَ اللَّهُ أَوَّلَهَا

كَفَّارَةً وَآخِرَهَا عَافِيَةً وَلَا أَعْدَمَكَ عَلَى الْأُولَى أَجْرًا وَعَلَى
 الْآخِرَى شُكْرًا وَبِوُدِّي لَوْ قَرُبَ عَلَيَّ مُتَنَاوِلُ عِيَادَتِكَ
 فَأَحْبَبْتُ عَنْكَ بِالْتَّعَهُدِ وَالْمُسَاعَدَةِ بَعْضَ أَعْبَاءِ عِلَّتِكَ
 فَلَقَدْ خَصَّنِي مِنْ هَذِهِ الْعِلَّةِ فِسْمٌ كَفِيسِكَ وَمَرَضٌ قَلْبِي
 فِيكَ لِمَرَضِ جِسْمِكَ وَأُظُنُّ أَنِّي لَوْ لَيْتُكَ عَلِيلًا لَا نَصَرْتُ
 عَنْكَ وَأَنَا أَعْلُ مِنْكَ فَإِنِّي بِحَمْدِ اللَّهِ تَعَالَى جَلَدٌ عَلَى
 أَوْجَاعِ أَعْضَائِي غَيْرُ جَلَدٍ عَلَى أَوْجَاعِ أَصْدِقَائِي يَشُو
 عَنِّي سَهْمُ الدَّهْرِ إِذَا رَمَانِي وَيَنْفُذُ فِي إِذَا رَمَى إِخْوَانِي
 فَأَقْرَبُ سِهَامِهِ مِنِّي أَبْعَدُ سِهَامِهِ عَنِّي كَمَا أَنَّ أَبْعَدَهَا عَنِّي
 أَقْرَبُهَا مِنِّي شَفَاكَ اللَّهُ وَعَافَاكَ وَكَفَانِي فِيكَ الْعُدُورَ
 وَكَفَاكَ وَرَفَعَ جَنْبِكَ وَغَفَرَ ذَنْبَكَ وَأَمَّنَ سِرْبَكَ
 وَشَرَحَ قَلْبَكَ وَأَعْلَى كَعْبِكَ



فَصْلٌ

فِي الْإِهْدَاءِ

كتبه شعيب بن حميد الى بعض اهل السلطان في يوم النبروز

أَيُّهَا السَّيِّدُ الشَّرِيفُ عِشْتَ أَطْوَلَ الْأَعْمَارِ بِزِيَادَةٍ مِنْ

الْعُذْرُ مَوْصُولَةٌ بِفَرَائِضِهَا مِنَ الشُّكْرِ لَا يَنْقُضِي حَقَّ نِعْمَةٍ
 حَتَّى يُجَدِّدَ لَكَ أُخْرَى وَلَا يَهْرُ بِكَ يَوْمٌ إِلَّا كَانَ مُقْصِرًا
 عَمَّا بَعْدَهُ مُوفِيًا عَمَّا قَبْلَهُ. إِنِّي تَصَقَّيْتُ أَحْوَالَ الْأَتْبَاعِ الَّذِينَ
 يَجِبُ عَلَيْهِمُ الْهَدَايَا إِلَى السَّادَةِ وَالنَّهْسُ النَّاسِي بِهِمْ فِي
 الْإِهْدَاءِ وَإِنْ قَصَرْتُ بِي الْحَالُ عَنِ الْوَاجِبِ فَوَجَدْتُ أَنِّي
 إِنْ أَهْدَيْتُ نَفْسِي فِيهِ مِلْكٌ لَكَ لَأَحْظُ فِيهَا لِغَيْرِكَ. وَرَمَيْتُ
 بِطَرَفِي إِلَى كَرَامَتِي مَالِي فَوَجَدْتُهَا مِنْكَ فَإِنْ كُنْتُ أَهْدَيْتُ
 مِنْهَا شَيْئًا فَإِنِّي لَمْ أَهْدِ مَالَكَ إِلَيْكَ. وَتَزَعْتُ إِلَى مَوَدَّتِي فَوَجَدْتُهَا
 خَالِصَةً لَكَ قَدِيمَةً غَيْرَ مُسْتَحْدَثَةٍ فَرَأَيْتُ إِنْ جَعَلْتُهَا هَدِيَّتِي
 أَنِّي لَمْ أَجِدْ لِهَذَا الْيَوْمِ الْجَدِيدِ بَرًّا وَلَا لَطْفًا. وَلَمْ أُمِيزْ
 مَنَزَلَةً مِنْ شُكْرِي بِمَنَزَلَةٍ مِنْ نِعْمَتِكَ إِلَّا كَانَ الشُّكْرُ مُقْصِرًا
 عَنِ الْحَقِّ وَالنِّعْمَةُ زَائِدَةً عَلَى مَا تَبْلُغُهُ الطَّاقَةُ فَجَعَلْتُ الْأَعْتِرَافَ
 بِالْتَّقْصِيرِ عَنِ حَقِّكَ هَدِيَّةً إِلَيْكَ وَالْإِفْرَارَ بِالْتَّقْصِيرِ عَمَّا
 يَجِبُ لَكَ بَرًّا أَوْصَلُ بِهِ إِلَيْكَ وَقُلْتُ فِي ذَلِكَ

إِنْ أَهْدَيْتُ مَالًا فَهُوَ وَاهِبُهُ وَهُوَ الْحَقِيقُ عَلَيْهِ بِالشُّكْرِ
 أَوْ أَهْدَيْتُ شُكْرِي فَهُوَ مُرْتَبِنٌ بِجَهْلِ فِعْلِكَ آخِرَ الدَّهْرِ
 وَالشَّمْسُ تَسْتَغْنِي إِذَا طَلَعَتْ أَنْ تَسْتُضِيَ بِسُنَّةِ الْبَدْرِ

وكتب ابراهيم بن المهدي الى صديق له

لَوْ كَانَتْ أَلْتَحْفَةُ عَلَى حَسَبِ مَا يُوجِبُهُ حَقُّكَ لَا خُفَّ بِنَا
أَدْنَى حَقُوقِكَ وَلَكِنَّهَا عَلَى قَدَرٍ مَا يُخْرِجُ مِنَ الْوَحْشَةِ وَيُوجِبُ
الْأَنْسَ وَقَدْ بَعَثْتُ بِكَذَا وَكَذَا

فصل

في النہائی

كتب ابو الفضل بن العبد الى عضد الدولة يهتئ بولد بن

أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَ الْأَمِيرِ الْأَجَلِ عَضُدِ الدَّوْلَةِ وَأَدَامَ
عِزَّهُ وَتَأَيَّدَهُ وَعُلُوَّهُ وَتَهَيَّدَهُ وَبَسْطَتَهُ وَتَوَطَّيَّدَهُ وَظَاهَرَ
أَهْلَهُ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ مَزِيدُهُ وَهَنَّاؤُهُ بِمَا أَحْظَاهُ بِهِ عَلَى قُرْبِ الْبِلَادِ
مِنْ تَوْفُرِ الْأَعْدَادِ وَتَكْثُرِ الْأِمْدَادِ وَتَشْرِ الْأَوْلَادِ وَأَرَاهُ
مِنَ النَّجَابَةِ فِي الْبَيْنِ وَالْأَسْبَاطِ مَا أَرَاهُ مِنَ الْكَرَمِ فِي الْأَبَاءِ
وَالْأَجْدَادِ وَلَا أَخْلَى عَيْنَهُ مِنْ قُرَّةٍ وَنَفْسَهُ مِنْ مَسْرُورَةٍ
وَمُتَجِدِّ نِعْمَةٍ وَمُسْتَأْنَفِ مَكْرَمَةٍ وَزِيَادَةٍ فِي عَدَدِهِ وَفَسَحٍ
فِي أَمْدِهِ حَتَّى يَبْلُغَ غَايَةَ مَهْلِهِ وَيَسْتَغْرِقَ نِهَايَةَ أَمَلِهِ وَيَسْتَوْفِيَ
مَا بَعْدَ حُسْنِ ظَنِّهِ وَعَرَفَهُ اللَّهُ السَّعَادَةَ فِيمَا بَشَّرَ بِهِ عَبْدُهُ مِنْ

طُلُوعِ بَدْرَيْنِ هُمَا أُنْبَعَثَا مِنْ نُورِهِ وَاسْتَنَارَا مِنْ دُورِهِ
وَحَفَا بِسَرِيرِهِ وَجَعَلَ وَفْدَهُمَا مُتَلَاثِمَيْنِ وَوَرُدَّهُمَا تَوَامِينِ
بَشِيرَيْنِ بَتَّاهِرِ النِّعَمِ وَتَوَافُرِ الْقِسَمِ وَمُؤَذِّنِينَ بِتَرَادُفِ
بَنِينَ يُشْرِقُ بِنُورِهِمْ أَفْقُ الْعَلَاءِ وَيَنْتَهِي بِهِمْ أَمَدُ النَّهَاءِ
إِلَى غَايَةِ تَفُوتِ غَايَةِ الْأَحْصَاءِ

وكتب أبو الفضل بديع الزمان المهداني إلى طاهر الداودي بهشة بولود
حَقًّا لَقَدْ أَنْجَزَ الْأَقْبَالَ وَعَدَهُ وَوَافَقَ الطَّالِعُ سَعْدَهُ
وَإِنَّ الشَّارِقَ لَفِيهَا بَعْدَهُ وَحَبَّذَا الْأَصْلُ وَفَرَعُهُ وَبُورِكُ
الْغَيْثِ وَصَوْبُهُ وَأَنْبَعُ الرُّوضِ وَنُورُهُ وَحَبَّذَا سَمَاءُ أَطْلَعَتْ
فَرَقْدًا وَغَايَةً أَبْرَزَتْ أَسَدًا وَظَهَرَ وَافَقَ سَنَدًا وَذَكَرَ يَقِي
أَبَدًا وَمَجْدٌ يُسَمَّى وَلَدًا وَشَرَفٌ لِحِمَةٍ وَسَدَى

أُنْجَبَ كُلٌّ مِنْ وَالِدَيْهِ بِهِ إِذْ نَجَلَاهُ فَنِعْمَ مَا نَجَلَا
فَالْفَيَّاهُ شِهَابٌ ذَكَاءٌ وَبَدْرٌ عَلَاءُ

وَوَجَدَاهُ ابْنَ جَلَا أَيْضَ يُدْعَى الْجَفَلَى
لِيُثْلِهَ أَوْ لَا فَلَا إِذَا النَّدِي أَحْفَلَا

وكتب بعضهم بهني صديقاً له بالقدوم من سفر

أَهْنِي سَيِّدِي وَنَفْسِي بِمَا بَسَّرَ اللَّهُ مِنْ قُدُومِهِ سَالِمًا وَأَشْكُرُ

اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ شُكْرًا دَائِمًا غِيَّةُ الْمَكَارِمِ مَقْرُونَةٌ بِغِيَّةِكَ
وَأَوْبَةُ النِّعَمِ مَوْصُولَةٌ بِأَوْبَتِكَ فَوَصَلَ اللَّهُ تَعَالَى قُدُومَكَ
مِنَ الْكِرَامَةِ بِأَضْعَافٍ مَا قَرَنَ بِهِ مَسِيرَكَ مِنَ السَّلَامَةِ

وكتب بعضهم تهنئة بالنبروز

أَقْبَلَ النَّبْرُوزُ إِلَى سَيِّدِنَا نَاشِرًا حُلَّةَ الْإِلَهِيِّ اسْتَعَارَهَا مِنْ
شَيْئِهِ وَمُبْدِيًا حِلْيَةَ الْإِلَهِيِّ أَخَذَهَا مِنْ سَجِيَّتِهِ وَمُسْتَضْحِيًا مِنْ
أَنْوَارِهِ مَا أَكْتَثَرَهُ مِنْ مَحَاسِنِ فَضْلِهِ وَإِكْرَامِهِ وَمِنْ
أَنْظَارِهِ مَا أَقْتَبَسَهُ مِنْ جُودِهِ وَإِنْعَامِهِ وَمَوْكِدًا لِلْوَعْدِ
بِطُولِ بَقَائِهِ حَتَّى يَهْلَ الْعُمُرُ وَيَسْتَغْرِقَ الدَّهْرُ فَلَا زَالَ
يَلْبَسُ الْأَيَّامَ وَيُجْلِيهَا وَهُوَ جَدِيدٌ وَيَقْطَعُ مَسَافَةَ نَحْسِهَا وَهُوَ
سَعِيدٌ وَلَا زَالَ أَمْرًا نَاهِيًا قَاهِرًا عَالِيًا تَهَيَّأَ الْأَعْيَادُ
بِمُصَادَقَةِ سُلْطَانِهِ وَتَسْتَفِيدُ الْفَخَّاسِينَ مِنْ رِيَاضِ إِحْسَانِهِ

— ❦ —

فصل

في الاستنارة

كتب الوزير الكاتب أبو الفضل بن حسداي إلى عبد الرحمن بن طاهر
مَحَلَّكَ أَعَزَّكَ اللَّهُ فِي طَيِّ الْأَجْوَانِحِ ثَابِتٌ وَإِنْ نَزَحَتْ

الدَّارُ وَعِيَانُكَ فِي أَحْنَاءِ الصُّلُوعِ بَادٍ وَإِنْ شَحَطَ الْمَزَارُ
 فَالْنَّفْسُ فَائِزَةٌ مِنْكَ بِتَمَثُّلِ الْخَاطِرِ بِأَوْفَرِ الْحَظِّ وَالْعَيْنُ
 نَازِعَةٌ إِلَى أَنْ تَمْتَعَ مِنْ لِقَائِكَ بِظَفْرِ الْحَظِّ فَلَا عَائِدَةَ
 أَسْبَغُ بَرْدًا وَلَا مَوْهَبَةَ أُسُوعٍ وَرَدًا مِنْ تَفَضُّلِكَ بِأَخْشَوْفٍ
 إِلَى مَا نَسِيَ يَتِمُّ بِمُشَاهَدَتِكَ الْإِثْمَانُ وَيَتَّصِلُ بِمَحَاضِرَتِكَ
 أَنْتِظَامُهُ وَلَكَ فَضْلُ الْإِجْمَالِ بِالْإِمْتِنَاعِ مِنْ ذَلِكَ بِأَعْظَمِ
 الْأَمَالِ وَحَسْبِيَ مَا تَحَقَّقُهُ مِنْ بَزَائِي وَتَشَوُّفِي وَتَتَبُّعُهُ مِنْ
 تَطْلُعِي وَتَوَفِّي وَقَدْ تَمَكَّنَ الْأَرْتِيَاخُ بِأَسْخِكَامِ الثَّقَةِ
 وَاعْتَرَضَ الْإِنْتِزَاجُ بِأَرْتِقَابِ الصِّلَةِ وَأَنْتَ وَصَلَ اللَّهُ سَعْدَكَ
 بِسَمَاحَةِ شَيْبِكَ وَبَارِعِ كَرَمِكَ تُنْشِئُ لِلْمُؤَانِسَةِ عَهْدًا
 وَتُورِي بِالْمُكَارَمَةِ زَنْدًا وَتَقْتَضِي بِالْمُشَارَكَةِ شُكْرًا حَافِلًا
 وَحَمْدًا لَا زِلْتَ مَهْنًا بِالسُّعُودِ الْمُقْتَبِلَةِ مُسَوِّغًا أَجِلَاءَ
 غُرِّ الْأَمَانِي الْمُتَهَلِّلَةِ بِمِنْهَ وَكَرَمِهِ

وكتب الوزير الكاتب أبو القاسم بن السقاط إلى صديقه له

يَوْمَنَا أَعَزَّكَ اللَّهُ يَوْمٌ قَدْ ثَقِبَتْ شَمْسُهُ بِقِنَاعِ الْغَمَامِ
 وَذَهَبَتْ كَأْسُهُ بِشُعَاعِ الْهِدَامِ وَنَحْنُ مِنْ فِطَارِ الْوَسْمِ
 فِي رِدَاءِ هَدْيٍ وَمِنْ نَضِيرِ النُّوَارِ عَلَى نَظِيرِ النُّصَارِ

وَمِنْ بَوَاسِمِ الزَّهْرِ فِي لَطَائِمِ الْعِطْرِ وَمِنْ غُرِّ النَّدْمَانِ
 بَيْنَ زَهْرِ الْبُسْتَانِ وَمِنْ حَرَكَاتِ الْأَوْتَارِ خِلَالَ نَغَمَاتِ
 الْأَطْيَارِ وَمِنْ سَفَاةِ الْكُؤُوسِ وَمُعَاطِي الْمُدَامِ بَيْنَ
 مُشْرِقَاتِ الشُّمُوسِ وَعَوَاطِي الْأَرَامِ فَرَأَيْكَ فِي مُصَافِحَةِ
 الْأَقْفَارِ وَمُنَافِحَةِ الْأَنْوَارِ وَأَجْيَلَاءِ غُرْرِ الظُّبَاءِ الْجَوَازِي
 وَاتِّقَاءِ دُرْرِ الْغِنَاءِ الْحِجَازِي مُوَفَّقًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى

وكتبه صاحب ابن عباد الى صديقي له

نَحْنُ يَا سَيِّدِي فِي مَجْلِسٍ غَنِيٍّ إِلَّا عَنْكَ شَاكِرٍ إِلَّا مِنْكَ
 قَدْ تَفَتَّحَتْ فِيهِ عَيُونُ النَّرْجِسِ وَتَوَرَّدَتْ خُدُودُ الْبَنْفَسِ
 وَفَاحَتْ مَجَامِرُ الْأَنْجُجِ وَفُتِنَتْ فَأَرَاتُ النَّارِجِ وَأَنْطَلَقَتْ
 أَلْسُنُ الْعِيدَانِ وَقَامَتْ خُطْبَاءُ الْأَطْيَارِ وَهَبَّتْ رِيَّاحُ الْأَفْدَاحِ
 وَتَفَتَّتْ سُوقُ الْأَنْسِ وَقَامَ مُنَادِي الطَّرَبِ وَأَمَدَّ سَحَابُ
 النَّدَى فَمَجِيئَانِي إِلَّا مَا حَضَرَتْ فَقَدْ أَبَتْ رَاحُ مَجْلِسِنَا أَنْ تَصْفُوَ
 إِلَّا أَنْ نَتَنَاوَلَهَا يُمْنًا وَأَقْسَمَ غِنَاؤُهُ أَنْ لَا يَطِيبَ حَتَّى
 تَعِيَهُ أَذْنَاكَ فَخُدُودُ نَارِنِجِهِ قَدْ أَحْمَرَّتْ خَجَلًا لَا يُبَاطِلُكَ
 وَعَيُونُ نَرْجِسِهِ قَدْ حَدَقَتْ تَأْمِيلًا لِلْفَنَائِكَ

وكتب ابو الطيب المنبجي الى صديق له كان يزوره ايام اعتلاله
وانقطع عنه عند ابلاله

وَصَلَّنِي وَصَلَكَ اللَّهُ مُعْتَلًّا وَقَطَعَنِي مُبِلًّا فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ لَا
تُكَدِّرَ الصِّحَّةَ عَلَيَّ وَلَا تُحِبِّبَ الْعِلَّةَ إِلَيَّ فَعَلْتَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ

—ooo—

فصل

في الوصاة

كتب المجاحظ

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ فَلَانًا أَسْبَابُهُ مُتَّصِلَةٌ بِنَا يَلْزِمُنَا ذِمَامُهُ وَبُلُوغُ
مُوَافَقَتِهِ مِنْ أَيْدِيكَ عِنْدَنَا وَأَنْتَ لَنَا مَوْضِعُ الثِّقَةِ مِنْ مَكَافَاتِهِ
فَأَوْلْنَا فِيهِ مَا يُعْرِفُ بِهِ مَوْقِعُنَا مِنْ حُسْنِ رَأْيِكَ وَيَكُونُ
مُكَافَاةً لِحَقِّهِ عَلَيْنَا

وكتب عبد الحميد بن يحيى الى بعضهم

حَقُّ مُوَصِّلِ كِتَابِي عَلَيْكَ كَحَقِّهِ عَلَيَّ إِذْ جَعَلَكَ مَوْضِعًا
لِأَمْلِهِ وَرَأَيْ أَهْلًا لِحَاجَتِهِ وَقَدْ أُنْجِزَتْ حَاجَتُهُ فَصَدِّقْ أَمْلَهُ

وكتب ابو بكر الخوارزمي الى صديق له

الْأَيَّامُ أَيْدِكَ اللَّهُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ تَرَاجِمَةٌ لِي عَنْ صِحَّةٍ وَفَائِكَ
وَشُهُودٌ عِنْدِي عَلَى صَدِّقِ إِخَائِكَ وَأَقْلُ حُقُوفِكَ عَلَيَّ

يُلْزِمُنِي أَنْ لَا أُشْغَلَ لِسَانِي بِغَيْرِ شُكْرِكَ وَلَا قَلْبِي إِلَّا بِذِكْرِكَ
وَلَوْ تَجَاوَزَ طَبَقَاتُ أَهْلِ مَوَدَّتِكَ فِي مِيدَانِ الْهَيْئَةِ وَتَنَازَعُوا
خَصَلَ الْأَنْسِ وَالنِّقَةِ رَجَوْتُ أَنْ أَكُونَ سَابِقًا لَيْسَ لَهُ
سَابِقٌ وَلَا يُذَكِّرُ مَعَهُ لَاحِقٌ وَأَنْ تُجَلِّيَ الْغَايَةَ مِنِّي عَنْ مُحِبَّةِ
مُرَبَّاتٍ بِالْوَفَاءِ وَعَنْ شُكْرِ مُرْضِعٍ بِالْدُعَاءِ وَقَدْ بَلَغَنِي خَيْرُ
سَعْيِكَ لِفُلَانٍ فِي الْعَمَلِ الَّذِي هُوَ دُونَ قَدْرِهِ وَإِنْ كَانَ
فَوْقَ أَعْمَالِ عَصْرِهِ فَشَكَرْتُكَ عَنْهُ وَإِنْ كَانَ بِشُكْرِكَ
أَوْفَى وَأَمْلَى وَبِإِيفَائِكَ حَقَّكَ أَحَقَّ وَأَوْلَى وَأَرَدْتُ أَنْ
أَكِلَ شُكْرَكَ إِلَيْهِ وَلَا أَتَطَلَّلَ فِيهِ عَلَيْهِ فَكَرِهْتُ أَنْ
تُطَوِّى صَحِيفَةَ الشُّكْرِ وَلَمْ يَجْرِ لِي فِيهَا اسْمٌ وَأَنْ تُخْتَمَ جَرِيدَةُ
الْمُشَارَكَةِ وَلَمْ يَكُنْ لِي فِيهَا قِسْمٌ فَذَكَرْتُكَ لَكَ وَأَنْتَ لَهُ
أَذْكُرُ وَشَكَرْتُكَ عَنْهُ وَهُوَ لَكَ مِنِّي أَشْكُرُ عَلَى أَنِّي أُرْغَبُ
بِذَلِكَ الْخُرْجِ عَنِ التَّلَطُّحِ بِأَوْضَارِ الْأَعْمَالِ فَإِنَّهَا مَزَالِقُ
أَقْدَامِ الرِّجَالِ ضَيَّابِهِ عَنْ تَخَالِيطِ الْأَيَّامِ وَصَيَّانَةِ
لِحَاظِهِ عَنِ مُدَانَسَةِ الْأَوْهَامِ وَنِعْمَتِكَ عَلَيْهِ مُتَسَبِّحَةً بَيْنِي وَبَيْنَهُ
بَلْ أَكْثَرُهَا لِي دُونَهُ فَمَا ظَنُّكَ بِعَارِفَةٍ وَاحِدَةٍ تُكْسِبُكَ
شُكْرَيْنِ وَتَسْعِيدُكَ لَكَ حُرَيْنِ وَجَدِيرَيْنِ هَطَلَتْ عَلَيْهِ

سَحَابُ عَيْنَيْكَ وَرَفَرَتْ حَوْلَهُ أَجْنَةُ رِعَايِكَ أَنْ يَنْبُو
عَنْهُ سَيْفُ الزَّمَانِ مَثْلُومًا وَيَرْجِعَ عَنْ سَاحِلِهِ عَسْكَرُ
الزَّمَانِ مَهْزُومًا وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَسْأَلُ أَنْ لَا يَحْرِمَكَ نِعْمَةً
يَهْدِي إِلَيْكَ بِهَا عُنُقُ وَدُودٍ وَمِنَّةٌ تَقْفُ عَنْكَ عَيْنَ حَسُودٍ
بَيْنَهُ وَكَرَمِهِ

وكتب الحسن بن وهب إلى مالك بن طوق في ابن أبي الشيص

كِتَابِي إِلَيْكَ خَطَطْتُهُ بِسَمْنِي وَفَرَّغْتُ لَهُ ذَهْنِي فَمَا
ظَنُّكَ بِحَاجَةٍ هَذَا مَوْقِعُهَا مِنِّي أَتُرَانِي أَقْبَلُ الْعُذْرَ فِيهَا
أَوْ أَقْصِرُ فِي الشُّكْرِ عَلَيْهَا وَأَبْنُ أَبِي الشَّيْصِ قَدْ عَرَفْتَهُ وَنَسَبَهُ
وَصِفَاتِهِ وَلَوْ كَانَتْ أَيْدِينَا تَنْبَسِطُ بِرِّهِ مَا عَدَانَا إِلَى غَيْرِنَا
فَأَكْتَفِ بِهَذَا مِنَّا



فصل

في النكوى

كتب أبو بكر الخوارزمي إلى صاحب ديوان الحضرة وقد طُوب
أبو بكر بحضور الديوان فلم يفعل

هَذَا أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَ الشَّيْخِ الرَّئِيسِ حَالُ نَيْسَابُورَ وَأَهْلِهَا
بَلْ حَالِي وَحَالُ الْأَحْرَارِ فِيهَا

وَأَصْبَحَ أَقْوَامٌ يَقُولُونَ مَا أَشْهَوْنَا

وَغَابَ أَبُو عَمْرٍو وَغَابَتْ رَوَاحِلُهُ

وَقَدْ كُنْتُ آوِي مِنَ الشَّيْخِ أَيَّامَ مُقَامِهِ بِهَذِهِ الْجَنْبَةِ إِلَى كَنْفِ

رَحِيبٍ وَجَنَابٍ خَصِيبٍ وَبَابٍ وَاسِعٍ وَنَائِلٍ شَائِعٍ

وَوَجْهِ إِذَا نَظَرْتُ إِلَيْهِ قَرَأْتُ نُسخَةَ الْكَرَامِ فِي وَجْهِهِ

تَلَمَعَ أَثَارُ الْكَرَمِ بِنُورِ أَسَارِيرِهِ وَتُعْرِفُ بُشْرَى النَّجَاحِ فِي

تَبَاسِيرِهِ وَفَمٍ يَشِيرُنِي بِإِتْسَامِهِ قَبْلَ أَنْ يَشِيرَنِي بِكَلَامِهِ

وَيُجِيبُنِي بِاللُّجْجِ بِإِشَارَتِهِ قَبْلَ أَنْ يُتَرْجِمَ بِعِبَارَتِهِ وَإِذَا

رَأَيْتُهُ رَأَيْتُ بُخْتِي فَذَاقْتُ الْإِلَى فِي مَعْرِضِ الْكَمَالِ وَطَالَعَ

سَعْدِي فَذَ طَلَعَ عَلَيَّ بِنَيْلِ الْأَمَالِ عَنْ يَمِينِي الْأَجْمَالِ

وَعَنْ يَسَارِي الْأَجْلَالِ فَأَغْدُو إِلَى بَابِهِ يَقْدُمُنِي الْأَمَلُ وَالرَّجَاءُ

وَأَرْوَحُ عَنْهُ فَيُشِيعُنِي الشُّكْرُ وَالْدُّعَاءُ وَأَحْبِلُ حَوَائِجِي مِنْهُ

عَلَى جَبَلِ الْحُبُودِ الَّذِي لَا تُحَرِّكُهُ الْهَطَالِبُ وَلَا تُثْقِلُ عَلَيْهِ

الرَّغَبَاتُ وَالرَّغَائِبُ بَلْ عَلَى بَحْرِهِ الَّذِي لَا يَنْزِفُهُ الْأَسْتِقَاءُ

وَلَا تُكَدِّرُهُ الدَّلَائِلُ وَلَا يَرَى قَعْرَهُ وَلَا يَدْرِكُ غَوْرَهُ

وَأِنَّهَا يَصْبِرُ عَلَى حَوَائِجِ النَّاسِ وَيَلْتَذُّ سَمْعُهُ بِاسْتِمَاعِ

صَوْتِ رَحَى الْأَضْرَاسِ مَنْ وُلِدَ فِي طَالِعِ السَّخَاءِ وَغُذِيَ

فِي حُجُورِ الْكَرَمَاءِ وَفُرِعَ سَمْعُهُ مِنْ دُصْبَاهُ بِأَصْوَاتِ الْأَدْبَاءِ
 وَالشُّعْرَاءِ وَمُرِنَ عَلَى الْبَذْلِ وَالْعَطَاءِ
 وَالثِقَلُ لَيْسَ مُضَاعَفًا لِمَطِيَّةٍ إِلَّا إِذَا مَا كَانَ وَهْمًا بَارِزًا
 حَتَّى إِذَا مَا كَادَتْ غُصُونُ أَمَالِي تَرِفُ بَعْدَ مَا يَسْتِ
 وَوُجُوهُ مَطَالِي تَضْحَكُ بَعْدَ مَا عَبَسَتْ رَمَنِي الْأَيَّامُ بِفِرَاقِ
 الشَّيْخِ فَأَخَذَجَ رَجَائِي الْحَامِلُ وَجَفَّ ضَرْعُ أَمَلِي الْحَافِلِ
 وَسَكَتَ لِسَانِي الْقَائِلُ وَفَتَرْتُ قُتُورَ التَّاجِرِ بَارَ مَتَاعُهُ
 وَغَابَ مِتْنَاعُهُ وَقُلْتُ لَوْ أَرَادَ اللَّهُ بِالْأَدَبِ خَيْرًا لَمَا غَابَ
 مَنْ كَانَ يَجْمَعُ شَمْلَهُ وَيُكْرِمُ أَهْلَهُ وَيَعْرِفُ فَضْلَهُ وَفَضْلُهُ
 وَلَوْ أَنْصَفْتُ الْأَدَبَ بَعْدَ غَيْبَةِ الشَّيْخِ لَرَبَيْتُهُ مَرَّتَيْنِ الْأَمْوَاتِ
 وَلَاقَيْتُ عَلَيْهِ مَا تَمَّ الْهَمَاتِ وَمَحَوْتُ أَسْمَهُ مِنْ جَرِيدَةٍ
 الْحَيَاةِ هَذَا وَقَدْ وَرَدَ عَلَى عَمَلِ الْخُرَاجِ مَنْ لَا أُطْرُقُهُ بِحَرْمَةٍ
 وَلَا أَتَنَاوُلُهُ بِطَرْفِ ذَرِيْعَةٍ أَوْ وَسِيلَةٍ وَكَأَنِّي بِهِ وَقَدْ
 حَشَدَنِي فِي جُهْلَةٍ الْعَامَةِ وَأَدْخَلَنِي فِي غِيَارِ سَائِرِ الرَّعِيَّةِ
 وَأَوْقَعَنِي عَلَى جِسْرِ قُدَّامَةِ الْخُسْرَانِ وَخَلَفَهُ الْهَوَانُ وَفَجَعَنِي
 بِدُرِّيْهِمَاتٍ جُبِعَتْ بِتَقَحُّمِ الْمَهَالِكِ وَأَخْتِرَاقِ الْمَسَالِكِ
 وَالْمَهَالِكِ وَدَنَانِيرَ قَطَعَتِ الْفِقَارَ وَخَاضَتِ الْجَحَارَ

وَنَاطَحَتِ الْمَحَوِّدَاتُ وَالْأَفْدَارُ فَإِنْ بَدَلْتُهَا أَبْرَزْتُ وَخَرًّا
طَالَمَا كَانَ مَخْزُونًا وَإِنْ مَنَعْتُهَا أَبْذَلْتُ عِرْضًا لَمْ يَزَلْ
مَصُونًا عَلَى أَنِّي أَحْبَبْتُ عَلَى الْجَمَالِ التَّجَبُّلَ وَأَوْثَرُ الْبَذْلِ
عَلَى التَّبَذْلِ وَأَنْشِدُ شِعْرًا حَنَانِيكَ بَعْضُ الشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ
بَعْضِ وَمَا أَيْسَرَ دَوَاءَ هَذَا الدَّاءِ لَوْ طَاوَعَنِي نَفْسِي الْعَاصِيَةَ
وَتَابَعَنِي رَجُلِي الْآبِيَةُ فَدَخَلْتُ الدِّيُونَ وَصَانَعْتُ الزَّمَانَ
وَفَتَحْتُ جِرَابَ النِّفَاقِ وَالرِّثَاءِ وَأَغْلَقْتُ بَابَ الْحِفَاطِ وَالْوَفَاءِ
وَلَكِنِّ النَّظَرَ إِلَى عَيْنِ الشَّمْسِ أَيْسَرُ عَلَيَّ وَأَهْوَنُ عَلَى عَيْنِي
مِنْ أَنْ أَنْظُرَ إِلَى هَذَا الصَّدْرِ وَقَدْ جَلَسَ فِيهِ غَيْرُ ذَلِكَ
الْبَدْرِ وَإِنِّي لَا غَارُ عَلَى الْكَرَمِ كَمَا يُغَارُ عَلَى الْحَرَمِ
وَأَجْلُ بِالْمَرَاتِبِ كَمَا يَخْلُ غَيْرِي بِالْمَكَاسِبِ وَأَسْتَحْيِي
إِعْنِي أَنْ أَفْتَحَهَا عَلَى الصَّغِيرِ وَقَدْ جَلَسَ مَجْلِسَ الْكَبِيرِ
لَا أَتْلَانِي اللَّهُ بِعَجَائِلِ الْغِيَرَةِ وَلَا أَقَامَنِي فِي مَقَامَاتِ
الْعُمَةِ وَالْحَبِيرَةِ فَإِنْ أَتْلَانِي بِذَلِكَ وَجَدَنِي ضَيْقَ سَاحَةِ
الصَّدْرِ قَرِيبَ غَوْرِ الصَّبْرِ كَثِيرَ الْمُبَارَاةِ قَلِيلَ الْمُدَارَاةِ
هَذِهِ أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَ الشَّيْخِ حَالِي فَهَلْ لِي عِنْدَهُ فَرَجٌ أَرْتَجِيهِ
أَوْ نَظَرٌ أَنْجِبُ فِيهِ وَهَلْ يَجْرِكُ لَفْظَةً مِنَ الْفَاطِيهِ أَوْ لِحْظَةً

مِنْ أَمَحَاطِهِ يَرُدُّ بِهَا عَلَى وَجْهِ مَا تَصَبَّ مِنْ مَائِهِ وَعَلَى
عِرْضِي مَا ذَهَبَ مِنْ بَهَائِهِ وَلَعَمْرِي إِنَّ حَاجَتِي إِلَى السَّجِّ
فِي هَذَا الْخَرَجِ صَغِيرَةٌ وَلَكِنِّي لَا أَسْتَغْفِرُ مِنْهُ يَسِيرًا كَمَا لَا
أَسْتَغْطِمُ مِنْهُ كَبِيرًا وَأَعْلَمُ أَنَّ الْخُرَّ يَسَعُ الدَّفِيقَ بِفِطْنَتِهِ
وَالْحَبْلِيلَ بِهَيْمَتِهِ وَإِنْ أَبْطَأَ عَنِّي كِتَابُهُ بِالْفَرَجِ خَشِيتُ أَنْ
يَسْرِيَ فِي السُّمِّ الْعَرَبِيِّ إِلَى أَنْ يَصِلَ إِلَيَّ التَّزْيَاقُ الْبَطِيءُ
أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ أَنْ يَكُونَ دَائِي تَقْدًا وَدَوَائِي وَعَدَا

وكتب الوزير الكاتب ابو المطرف بن الدباغ الى ابن حسداي

كِتَابِي وَأَنَا كَمَا تَدْرِيهِ غَرَضٌ لِلْأَيَّامِ تَرْمِيهِ وَلَكِنِّي
غَيْرُ شَاكٍ مِنْ أَلَامِهَا لِأَنَّ قَلْبِي فِي أَغْشِيَةِ مِنْ سِهَامِهَا
فَالنَّصْلُ عَلَى مِثْلِهِ يَقَعُ وَالتَّالِمُ بِهَذِهِ الْحَالَةِ قَدْ أَرْتَعَ
كَذَلِكَ التَّقْرِيعُ إِذَا تَتَابَعَ هَانَ وَالْمُخْطَبُ إِذَا أَشْتَدَّ لَانَ
وَالْحَوَادِثُ تَنْعَكِسُ إِلَى أَضْدَادِهَا إِذَا تَنَاهَتْ فِي أَشْتِدَادِهَا
وَتَزَايَدَتْ عَلَى أَمَادِهَا

وكتب عبد الحميد بن مجي الى اهله وهو منهزم مع مروان

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَعَلَ الدُّنْيَا مَخْفُوفَةً بِالْكَرْهِ
وَالسُّرُورِ فَهَنْ سَاعِدَهُ أَلْمَحْظُ فِيهَا سَكَنَ إِلَيْهَا وَمَنْ عَصَتْهُ

بِنَابِهَا ذَمَّهَا سَاخِطًا عَلَيْهَا وَشَكَاهَا مُسْتَزِيدًا لَهَا وَقَدْ كَانَتْ
 أَذَاتِنَا أَفَاوِيقَ اسْتَحْلَيْنَاهَا ثُمَّ جَمَعَتْ بِنَا نَافِرَةً وَرَمَحْنَا مُوَلَّةً
 فَمَلَحَ عَذِبُهَا وَخَشَنَ لَيْبُهَا فَأَبْعَدَتْنا عَنِ الْأَوْطَانِ وَفَرَّقَتْنا
 عَنِ الْإِخْوَانِ فَالْدَّارُ نَارُحَةٌ وَالطَّيْرُ بَارِحَةٌ وَقَدْ كُنْتُ
 وَالْأَيَّامُ تَزِيدُنَا مِنْكُمْ بَعْدًا وَإِلَيْكُمْ وَجْدًا فَإِنْ تَنِمَ
 الْبَلِيَّةُ إِلَى أَقْصَى مَدَّتِهَا يَكُنْ آخِرُ الْعَهْدِ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَا وَإِنْ بَلَغْنَا
 ظُفْرَ جَارِحٍ مِنْ أَظْفَارِ مَنْ يَلِيكُمْ تَرْجِعْ إِلَيْكُمْ بِذُلِّ الْأَسَارِ
 وَالذُّلُّ شَرُّ جَارٍ نَسْأَلُ اللَّهَ الَّذِي يُعِزُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَذِلُّ
 مَنْ يَشَاءُ أَنْ يَهَبَ لَنَا وَلَكُمْ أَلْفَةَ جَامِعَةٍ فِي دَارِ أَمْنِهِ
 تَجْمَعُ سَلَامَةُ الْأَبْدَانِ وَالْأَدْيَانِ فَإِنَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ
 وَأَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ

وكتب الأمير ابو الفضل الميكالي من رسالته

إِنَّمَا أَشْكُو إِلَيْكَ زَمَانًا سَلَبَ ضِعْفَ مَا وَهَبَ وَفَجَعَ
 بِأَكْثَرِ مِمَّا مَتَّعَ وَأَوْحَشَ فَوْقَ مَا آنَسَ وَعَنَّفَ فِي نَزْعِ مَا
 أَلَسَ فَإِنَّهُ لَمْ يَذُقْنَا حَلَاوَةَ الْإِجْتِمَاعِ حَتَّى جَرَعْنَا مَرَارَةَ
 الْفِرَاقِ وَلَمْ يَمْتَعِنَا بِأَنْسِ الْإِلْتِقَاءِ حَتَّى غَادَرَنَا رَهْنُ
 التَّلَهْفِ وَالْإِسْتِيَاقِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَعَالَى عَلَى كُلِّ حَالٍ يَسُوهُ

وَيَسُرُّ وَيَحْلُو وَيَهْرُ وَلَا أَيَّاسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ فِي إِبَاحَةِ
صُنْعٍ يَجْعَلُ رُبْعَهُ مُنَاحِي وَيَقْصِرُ مَدَّةَ الْبِعَادِ وَالْتِرَاحِي
فَالْأَحْظُ الزَّمَانُ بَعَيْنٍ رَاضٍ وَيُقْبَلُ إِلَيَّ حَظِي بَعْدَ إِعْرَاضِ
وَأَسْتَأْنِفُ بَعِزَّتِهِ عَيْشًا عَذْبَ الْهَوَارِدِ وَالْمَنَاهِلِ مَأْمُونِ
الْأَفَاتِ وَالْغَوَائِلِ



فصل

في التعازي

كتب أبو الفضل بدیع الزمان المہداني إلى أبي عامر عدنان بن محمد الضبي
إِذَا مَا الدَّهْرُ جَرَّ عَلَى أَنْاسٍ ذَلَالِهِ أَنَاخَ بِآخِرِينَا
فَقُلْ لِلشَّامِتِينَ بِنَا أَفِيقُوا سِلَفِي الشَّامِتُونَ كَمَا لَقِينَا
أَحْسَنُ مَا فِي الدَّهْرِ عُمُومُهُ بِالنَّوَائِبِ وَخُصُوصُهُ بِالرَّغَائِبِ
فَهُوَ يَدْعُو أُنْجَفَلَ إِذَا سَاءَ وَبُخْصٌ بِالنِّعْمَةِ إِذَا سَاءَ
فَلْيَفَكِّرِ الشَّامِتُ فَإِنْ كَانَ أَفْلَتَ فَلَهُ أَنْ يَشْمِتَ وَلْيَنْظُرِ
إِلَى نَسَانٍ فِي الدَّهْرِ وَصُرُوفِهِ وَالْمَوْتِ وَصُنُوفِهِ مِنْ
فَاتِحَةِ أَمْرِهِ إِلَى خَاتِمَةِ عُمُرِهِ هَلْ يَجِدُ لِنَفْسِهِ أَثْرًا فِي نَفْسِهِ
أَمْ لِنَدِيرِهِ عَوْنًا عَلَى تَصْوِيرِهِ أَمْ لِعَمَلِهِ تَقْدِيمًا لِأَمَلِهِ

أَمْ لِحِيلِهِ تَأْخِيرًا لِأَجَلِهِ كَلَّابِلٌ هُوَ الْعَبْدُ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا
مَذْكُورًا خُلِقَ مَقْهُورًا وَرُزِقَ مَقْدُورًا فَهُوَ بِحَيَا جَبْرًا
وَبِهَلِكُ صَبْرًا وَلَيْتَأَمَّلِ الْمَرْءُ كَيْفَ كَانَ قَبْلًا فَإِنْ كَانَ
الْعَدَمُ أَصْلًا وَالْوُجُودُ فَضْلًا فَلْيَعْلَمْ الْمَوْتُ عَدْلًا
وَالْعَاقِلُ مَنْ رَفَعَ مِنْ جَوَابِ الدَّهْرِ مَا سَاءَ بِمَا سَرَّ
لِيَذْهَبَ مَا نَفَعَ بِمَا ضَرَّ فَإِنْ أَحَبَّ أَنْ يَحْزَنَ فَلْيَنْظُرْ يَمِينَهُ
هَلْ يَرَى إِلَّا مِخْنَةً ثُمَّ لِيَعْطِفْ يَسْرَةً هَلْ يَرَى إِلَّا حَسْرَةً
وَمِثْلُ الشَّيْخِ الرَّئِيسِ أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَهُ مَنْ تَبَطَّنَ هَذِهِ
الْأَسْرَارَ وَعَرَفَ هَذِهِ الدِّيَارَ فَأَعَدَّ لِنَعِيبِهَا صَدْرًا لَا
يَمْلَأُهُ فَرَحًا وَلِبُوسِهَا قَلْبًا لَا يُطِيرُهُ تَرَحًا وَصَحْبَ الْبَرِيَّةِ
بِرَأْيٍ مَنْ يَعْلَمُ أَنَّ لِلْمَيِّتَةِ رَحَى وَلَقَدْ نَعِيَ إِلَيَّ أَبُو قَبِيصَةَ
قَدَسَ اللَّهُ رُوحَهُ وَبَرَّدَ ضَرْبَهُ فَعَرِضْتُ عَلَيَّ أَمَالِي فَعُودًا
وَأَمَالِي سُودًا وَبَكَيْتُ وَجُودَ الشَّيْخِ بِمَا يَمْلِكُ وَضَحِكْتُ
وَشَرَّ الشَّدَائِدِ مَا يُضْحِكُ وَعَاضَضْتُ الْأَصْبَعَ حَتَّى أَفْنَيْتُهُ
وَذَمَمْتُ الْمَوْتَ حَتَّى تَهَنَيْتُهُ وَالْمَوْتُ أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَهُ
الشَّيْخُ الرَّئِيسُ خَطَبٌ قَدْ عَظُمَ حَتَّى هَانَ وَأَمْرٌ قَدْ خَشِنَ
حَتَّى لَانَ وَنُكْرٌ قَدْ عَمَّ حَتَّى صَارَ عُرْفًا وَالْدُّنْيَا قَدْ تَنَكَّرَتْ

حَتَّى صَارَ الْمَوْتُ أَخْفَ خُطُوبِهَا وَخَبِثَتْ حَتَّى صَارَ أَقْلٌ
عُيُوبِهَا وَلَعَلَّ هَذَا السَّهْمُ قَدْ صَارَ آخِرَ مَا فِي كَيْفَانَتِهَا وَأَنْكَى مَا
فِي خِزَانَتِهَا وَنَحْنُ مَعَاشِرَ النَّبِّ نَتَعَلَّمُ الْأَدَبَ مِنْ أَقْوَالِهِ
وَالْجَبِيلَ مِنْ أَعْمَالِهِ فَلَا نُخْشِئُهُ عَلَى الْجَبِيلِ وَهُوَ الصَّبْرُ
وَلَا نُرْغِبُهُ فِي الْجَبِيلِ وَهُوَ الْأَجْرُ فَلَيْزَ فِيهَا رَأْيُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ

والمصحح بعزي احد اصدقائه بنسب له توفي ايام الوباء

أَسْبَاحُ تَرُوحٍ وَنَحْيٍ وَآجَالٌ تُسَيِّ وَتَغْنَدِي وَأَنْفَاسٌ
تَقْطَعُ مِنْ دُونِهَا حُزْنًا وَأَسْفَا وَعِبْرَاتٌ تَنْقَطِرُ وَجَدًّا وَلَهْفًا
وَمَا عَدَّتِ الْأَقْدَارُ إِلَى أَسْتِزَافٍ مَدْمَعٍ وَلَا أَرَادَتْ
الْأَيَّامُ إِبْلَامَ مُوجَعٍ إِنَّمَا هِيَ سَنَةٌ أَلْخَلَقَ كَوْنٌ يَلِيهِ زَوَالٌ
وَعَقْدٌ يَسْبِقُهُ انْخِلَالٌ وَإِنْ لِكُلِّ شَيْءٍ أَجَلًا مَوْقُوتًا وَإِنْ
لِكُلِّ أَجَلٍ سَبَبًا مَقْدُورًا وَإِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي كُلِّ ذَلِكَ شَاهِدٌ
يَسْمَعُ لَاهِيًا وَيُبْصِرُ سَاهِيًا وَلَيْسَ فِي يَدِهِ أَنْ يَسْتَرِدَّ مَاضِيًا
وَلَا أَنْ يَرُدَّ آتِيًا وَلَقَدْ وَدِدْتُ أَنْ أُعْزِيكَ لَوْلَا مَا يُغَالِبُنِي
عَلَى الْعِزَاءِ مِنْ كَيْدِ حَرَى وَمُفْلَةٍ شَكْرَى وَزَفْرَةٍ نَتْرَى
ثُمَّ وَدِدْتُ أَنْ أَسْتَبْكِيكَ لَوْلَا أَنِّي بَكَيْتُ حَتَّى لَمْ أَدْعُ فِي
الْبُكَاءِ مِنْ وَادٍ وَأَحْبَبْتُ لِيَالِي بِالنُّوحِ حَتَّى مَا بِالْجَهْمِ سَهَادٌ

ثُمَّ لَمْ يَزِدْنِي الْبُكَاءَ عَلَى سُقْمِ جَسَدِي وَلَمْ يَزِدْنِي النَّوْحَ
عَلَى صَفَرِ يَدَيَّ إِلَّا مِنْ كَيْدِي فَإِنَّ الْأَفْدَارَ سِهَامٌ إِذَا
أَنْطَلَقَتْ لَمْ تُرَدِّ وَإِنَّ الْمُنْطَلِعَ إِلَى الْفَائِتِ لَطَوِيلُ شُقَّةِ
الْكَيْدِ وَإِنَّ الْخُطُوبَ لَهِيَ فِيَّ وَإِنَّمَا تَتَفَاوَتُ عِنْدَ الْجَلْدِ
وَإِنَّ الْحَصَى عِنْدَ الْحَزْوِ عِثْقَةٌ ثَقِيلَةٌ

وَضَخْمٌ الصَّفَا عِنْدَ الصَّبْرِ خَفِيفٌ

وَإِنِّي لَا رَجُو فِي عَقْلِكَ وَحِلْمِكَ أَنَّكَ قَدْ صِرْتَ مِنْ جَانِبِ
الْعَزَاءِ ثُمَّ أَحْمَدُ اللَّهَ عَلَى نَجَاتِكَ إِنَّ لَنَا فِي بَقَائِكَ الْعِوَضَ
وَالنَّاسَاءَ فَلَقَدْ قَلْبَتِ الْقُلُوبَ عَلَى جَهْرَاتٍ لَا تَذَرِي أَيْهَا
أَذْكَى ضِرَامًا ثُمَّ أَوْرَدَتْهَا مِنْ سَلَامَتِكَ مَا رَأَتْ الشَّكْوَى
بَعْدَهُ ظُلْمًا وَالنَّظْمُ حَرَامًا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ
الْمَسْئُولُ فِي إِطَالَةِ بَقَائِكَ قُرَّةَ لِلْعُيُوبِ وَجَبْرًا لِلْخَاطِرِ
الْحَزُونِ بِهِنَّ وَكَرَمِهِ

والمصحح أيضا الى صديق له جوابا عن كتاب ينعي اليه فيه احد
انسابه ويعزيه بنسبه له

وَرَدَّ كِتَابُكَ بِتَجَادُبِهِ طَرَفَانِ مِنْ نَعْيٍ وَتَعْزِيَةٍ وَيَضْرِبُ
عَلَيْهِ لَوْنَانِ مِنْ شَجْوٍ وَتَسْلِيَةٍ فَمَنْ لِي بِعَبْرَتَيْنِ تَجْرِي إِحْدَاهُمَا

وَتَرَقَّأُ الْآخَرَى وَمَنْ لِي بِقَلْبَيْنِ يَذُوبُ أَحَدُهُمَا جَزَعًا
وَيَجْمَدُ الْآخَرُ صَبْرًا بَلْ كَيْفَ يَصْبِرُ جَرِيحٌ ضَرَبَهُ الدَّهْرُ
بِسَيْفَيْنِ وَجَرَعَهُ الْبَلَوَى بِكَاسَيْنِ فَمَزَجَ عِبْرَةً بِعِبْرَةٍ
وَتَابَعَ حَسْرَةً إِثْرَ حَسْرَةٍ وَبَاتَ لَا يَجِدُ إِلَى الصَّبْرِ دَلِيلًا وَلَا
يَهْتَدِي إِلَى الْعِزِّ سَبِيلًا وَلَكِنَّ الْأَمْرَ فَوْقَ مَا تُجْرِي الْحُفُونُ
وَمَا تُشِيرُ الشُّجُونُ وَأَمْرُ اللَّهِ وَافِعٌ لَا يَدْفَعُهُ دَافِعٌ وَالْدَّمْعُ
لَا يُسَبِّغُ غُصَّةً وَالْوَجْدُ لَا يُزِيلُ كُرْبَةً

وَإِذَا حَصَلَتْ مِنَ السِّلَاحِ عَلَى الْبُكَاءِ

فَحَشَاكَ رُغْتَ بِهِ وَخَدَّكَ تَفَرُّعُ

فَمَا لَنَا إِلَّا السَّعْيُ وَرَأَى مَا نَدَّ مِنَ الصَّبْرِ نَكْرُهُ عَلَيْهِ النَّفْسُ وَإِنْ
كَانَ أَحَدَ الْمُرَيْنِ وَالْإِنْجَاءِ إِلَى الرِّضَى بِالْمَكْتُوبِ نُدَاوِي
بِهِ الْقَلْبَ وَإِنْ كَانَ أَحَدَ الدَّاعِينَ وَحَسْبُنَا اللَّهُ وَكِيلًا

وكتب ابو بكر الخوارزمي الى كثير بن احمد بعزيه بانه له

نَحْنُ مَعَاشِرُ أَوْلِيَاءِ الشَّيْخِ وَمُحِبِّي أَعْبَاءِ نِعْمَتِهِ وَالْمَتَسِّبِينَ
بِسِمَةِ كَلِمَتِهِ إِذَا صَدِثَتْ قَرَائِنُنَا وَفَسَدَتْ أَذْهَانُنَا
جَلَوْنَاهَا بِجِبَالِ سِنِهِ وَغَسَلْنَاهَا وَضْرَ التَّغْيِيرِ بِاتِّبَاعِ طَرِيقَتِهِ
وَسُسْنَا أَنْفُسَنَا بِهَا نَرَاهُ وَتَعَلَّمْنَاهُ مِنْ سِيَاسَتِهِ لِيُظَانَّتِهِ نَحْمُ

لِرِعِيَّتِهِ وَإِذَا كَانَتْ أَحْمَالُ هَذِهِ فَمِنْ أَحْمَالٍ أَنْ نَبِيعَ
عَلَى الشَّيْخِ مَا اشْتَرَيْنَاهُ مِنْهُ وَأَنْ نَحْلُبَ إِلَيْهِ مَا جَلَبْنَاهُ عَنْهُ
وَأَنْ نُقِيمَ أَنْفُسَنَا مَقَامَ الْمُعَلِّمِينَ وَنُقِيمَهُ مَقَامَ الْمُتَعَلِّمِينَ
وَأَنْ نَحْمِلَ إِلَيْهِ مَوَاعِظَ بَذَلَهُ كَلَامِهِ مِنْهَا أَرْبَعُ وَبِدَاعُهُ
تَوْفِيعَاتِهِ مِنْهَا أَبَدُ وَلَكِنْ لَا بُدَّ لِلْحُبِّ أَنْ يَنْطِقَ لِسَانُهُ
وَقَلَمُهُ بِمَا يَرْجُمُ بِهِ عَنْ وَدَائِعِ صَدْرِهِ وَيُعِيرُ عَنْ نِيَّتِهِ وَسِرِّهِ
وَلَا بُدَّ لِمَنْ شَارَكَ رَبِّبَهُ فِي أَيَّامِ الرِّخَاءِ وَالْمَوَاهِبِ مِنْ
أَنْ يُشَارَكَهُ فِي أَيَّامِ الْغُومِ وَالْمَصَائِبِ لِيَكُونَ قَدْ خَدَمَهُ
فِي النَّوْبَتَيْنِ وَتَصَرَّفَ مَعَهُ عَلَى الْحَالَتَيْنِ وَأُثْبِتَ اسْمُهُ فِي
جَرِيدَةِ الشُّرَكَاءِ الْمُسَاهِبِينَ مَرَّتَيْنِ وَبَلَّغَنِي خَيْرُ الْمُصِيبَةِ
فَأَغْنَمْتُ بِهَا غَمَيْنِ وَتَفَذْتُ إِلَى سِهَامِ الْفَجِيعَةِ مِنْ طَرِيقَيْنِ
أَمَّا إِحْدَاهُمَا فَهِيَ أَنِّي أَغَارُ عَلَى هَذِهِ الْجَنَّةِ الْكَرِيمَةِ وَعَلَى
هَذِهِ الدَّوْلَةِ الْمُسْتَقِيمَةِ مِنْ أَنْ تَفْذَ فِيهَا رَمِيَّةُ الزَّمَانِ
أَوْ تَتَنَاوَلَهَا يَدٌ مِنْ أَيْدِي النُّصَانِ وَأَمَّا الثَّانِيَةُ فَهِيَ أَنِّي
عَلِمْتُ أَنَّ الْفَجِيعَةَ إِذَا لَمْ تُحَارَبْ بِجَيْشِ الْبُكَاءِ وَلَمْ تُقَاتَلْ
بِالْإِذَاعَةِ وَالْإِسْتِكَاءِ تَضَاعَفَ دَاوُهَا وَزَادَتْ أَعْبَاؤُهَا
وَإِنَّمَا الْغَمُّ تَرْيَافُهُ الْمُبَائِثَةُ وَالْمَوْتُ خَرَقُ رَفْوِهِ التَّسْلِيَةُ

وَالْتَعَزِيَّةُ قَالَ ذُو الرُّمَّةِ

لَعَلَّ أَنْحِدَارَ الدَّمْعِ يُعْقِبُ رَاحَةً

مِنَ الْوَجْدِ أَوْ يَشْفِي نَحْيَ الْبَلَابِلِ

وَإِذَا كَانَ لَا بُدَّ مِنْ عَيْنٍ تُصِيبُ طَرَفًا مِنْ أَطْرَافِ

الْكَمَالِ وَلَا بُدَّ مِنْ عُوذَةٍ يُعَوِّذُ بِهَا وَجْهَ الْجَمَالِ فَلَا نَ

تَكُونُ الْوَافِقَةُ فِي الصَّغِيرِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَكُونَ فِي الْكَبِيرِ

فَأُحْمَدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ فِي طَيِّ الْحِنَةِ مَنَحَةً وَمَزَجَ بِاللَّتْرِحَةِ

فُرْحَةً فَسَتَرَعُورَةً مِنْ حَيْثُ سَلَبَ أَنْسَا وَنَزَهَةً وَكَفَى

مَوْوَنَةً مِنْ حَيْثُ جَلَبَ فَحِيعَةً وَأَبْقَى الْكَبِيرَ الْكَثِيرَ مِنْ

حَيْثُ أَخَذَ صَغِيرَةً وَاحِدَةً وَجَبَلَ وَالِدًا مِنْ حَيْثُ أَثْكَلَ

وَالِدَةً وَهَكَذَا تَكُونُ مَصَائِبُ الْمُهْلِيلِينَ الْعَجُودِينَ فَإِنَّ

الدَّهْرَ إِذَا سَاءَ هُمْ فِي الْقَلِيلِ أَحْسَنَ إِلَيْهِمْ فِي الْكَثِيرِ

وَإِذَا كَاشَفَهُمْ فِي الْخَفِيِّ الْمَسْتُورِ صَانَعَهُمْ فِي الْجَلِيِّ الْمَشْهُورِ

وَالْمَدَائِيرُ أَمْثَالُنَا فَإِنَّهَا تَكُونُ مَحْتَمَةً صَافِيَةً صَرَفًا وَخَالِصَةً

بِحُجَّتِهَا وَالدَّهْرُ يَعْلَمُ أَيْنَ الزُّبُونِ وَمَنِ الْمَغْبُوتُ وَأَنَا

أَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَجْعَلَ الْمُسَوِّفَةَ لَوَالِدِيهَا فَرَطًا وَأَجْرًا

وَكَنْزًا مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ وَذُخْرًا وَأَنْ يَحْشُرَهَا شَفِيعًا تُقْبَلُ

شَفَاعَتُهُ وَتُقْضَى فِيهِ وَالِدَيْهِ وَأَهْلُ بَيْتِهِ حَاجَتُهُ وَيَعْوِضَ
عَنْهَا الشَّيْخُ أَخَالَهَا سَوِيَّ الْخَلْقِ وَالْخُلُقِ شَرِيفَ الْفِعْلِ
وَالْعِرْقِ لِيَسْتَوْفِيَ الشَّيْخُ فِي يَوْمِهِ أَجْرَ الصَّابِرِينَ وَفِي غَدِهِ
جَزَاءَ الشَّاكِرِينَ وَلِيَكُونَ قَدْ قَضَى اللَّهُ تَعَالَى حَقَّ الرُّبُوبِيَّةِ
مِنْ طَرَفِي الْعُبُودِيَّةِ وَأَنْ تَكُونَ هَذِهِ الْحَادِثَةُ خَاتِمَةَ
حَوَادِثِ الزَّمَانِ وَسَاقَةَ عَسَاكِرِ النُّصَانِ فَلَا يَرَى بَعْدَهَا
فِي تِلْكَ الدَّارِ الشَّرِيفَةِ إِلَّا مَوْهَبَةً مَسْطَرَفَةً وَفَائِدَةً مُسْتَجِدَّةً
مُسْتَأْنَفَةً حَتَّى يَشْتَغَلَ بِالتَّهَانِي عَنِ النَّعَازِي وَبِالْمَدَاحِ
عَنِ الْمَرَاتِي

وَكُتِبَ عَبْدُ الْحَمِيدِ بْنُ بَجِي عَنْ مَرْوَانَ إِلَى هِشَامٍ يَعْزِيهِ بِأَمْرِهِ
مِنْ حَظَايَاهُ

إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَمْنَعَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْسَبَتِهِ وَقَرَبَتِهِ
إِمْتَاعًا مُدَّةً إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَلَمَّا تَبَيَّنَتْ لَهُ مَوَاهِبُ اللَّهِ
وَعَارِيَتُهُ قَبَضَ إِلَيْهِ الْعَارِيَةَ ثُمَّ أَعْطَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ
الشُّكْرِ عِنْدَ بَقَائِهَا وَالصَّبْرِ عِنْدَ ذَهَابِهَا أَنْفَسَ مِنْهَا فِي
الْمُنْقَلَبِ وَأَرْجَحَ فِي الْهَيْزَانِ وَأَسْنَى فِي الْعِوَضِ فَأَلْحَمَهُ اللَّهُ
رَبَّ الْعَالَمِينَ وَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ

وكتب ابو اسحق الصائغ الى محمد بن العباس بعزيه بطل
 الدنيا اطل الله بقاء الرئيس اقدار ترد في اوقاتها
 وقضايا تجري الى غاياتها ولا يرد منها شيء عن مده ولا
 يصد عن مطلبه ومنحاه فهي كالسهم التي تثبت في
 الأغراض ولا ترجع بالاعتراض ومن عرف ذلك
 معرفة الرئيس لم يأسر عند الزيادة ولم يقنط عند
 الهزيمة وأمن أن يستخف أحد الطرفين حكمه ويستنزل
 أحد الأمرين حزمه ولم يدع أن يوطن نفسه على النازلة
 قبل نزولها ويأخذ الأهبة للحالة قبل حلولها وأن
 يجاور الخير بالشكر ويساور المحنة بالصبر فتخير فائدة
 الأولى عاجلاً ويستهرى عائدة الأخرى أجلاً وقد
 نفذ من قضاء الله تعالى في المولى الجليل قدراً الحديث
 سناً ما أرمض وأقض وأفلق وأمض ومسني من التألم
 له ما بحق على مثلي من توالث أيدي الرئيس إليه
 ووجبت مشاركته في المليم عليه فإننا لله وإننا إليه
 راجعون وعند الله من نخسبه غصنا ذوى وشهاباً خبا
 وفرعاً دال على أصله وخطياً أنبتة وشجيرة وإياه أسأل

أَنْ يَجْعَلَهُ لِلرَّئِيسِ فَرَطًا صَالِحًا وَذُخْرًا عَبِيدًا وَأَنْ يَنْفَعَهُ
 يَوْمَ الدِّينِ حَيْثُ لَا يَنْفَعُ إِلَّا مِثْلُهُ بَيْنَ النَّبِيِّينَ بِجُودِهِ
 وَمَجْدِهِ وَلَكِنْ كَانَ الْمُصَافُ بِهِ عَظِيمًا وَالْمَحَادِثُ فِيهِ
 جَسِيمًا لَقَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْهِ وَإِلَى الرَّئِيسِ فِيهِ أَمَّا إِلَيْهِ
 فَإِنَّ اللَّهَ نَزَّهَهُ بِالْإِخْتِرَامِ عَنِ اقْتِرَافِ الْأَثَامِ وَصَانَهُ
 بِالْإِخْضَارِ عَنِ مُلَابَسَةِ الْأَوْزَارِ فَوَرَدَ دُنْيَاهُ رَشِيدًا
 وَصَدَرَ عَنْهَا سَعِيدًا تَقَى الصَّحِيفَةَ مِنْ سَوَادِ الذُّنُوبِ بَرِيءًا
 السَّاحَةَ مِنْ دَرَنِ الْعُيُوبِ لَمْ تُدَسَّسْهُ الْخَبَائِرُ وَلَمْ تَعْلُقْ
 بِهِ الصَّغَائِرُ وَالْكِبَائِرُ فَذَرَفَ اللَّهُ عَنْهُ دَفِيقَ الْحِسَابِ
 وَأَسْهَمَ لَهُ الثَّوَابَ مَعَ أَهْلِ الصَّوَابِ وَأَمَحَقَهُ بِالصَّادِقِينَ
 الْفَاضِلِينَ فِي الْمَعَادِ وَبَوَّاهُ حَيْثُ فَضَّلَهُمْ مِنْ غَيْرِ سَعْيٍ
 وَاجْتِهَادٍ وَأَمَّا الرَّئِيسُ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَهَا اخْتَارَ ذَلِكَ
 قَبْضَهُ قَبْلَ رُؤُوبِهِ عَلَى الْحَالَةِ الَّتِي تَكُونُ مَعَهَا الرِّقَّةُ
 وَمُعَايِنَتِهِ عَلَى الْحَالَةِ الَّتِي تَنْصَاعِفُ عِنْدَهَا الْحُرْقَةُ وَحِمَاهُ
 مِنْ فِتْنَةِ الْمُرَافِقَةِ لِيَرْفَعَهُ عَنْ جَزَعِ الْمَفَارِقَةِ وَكَانَ هُوَ
 الْمُبْتَقَى لِدُنْيَاهُ وَالْوَاجِدَ الذَّخِيرَةَ لِأَخْرَافِهِ وَعَزِيْزُهُ
 عَلَى أَنْ أَقُولَ قَوْلَ الْمُهَوَّنِ لِلْأَمْرِ مِنْ بَعْدِهِ وَلَا

أَوْفَى التَّوَجُّعِ عَلَيْهِ وَاجِبَ فَقْدِهِ فَهُوَ لَهُ سُلَالَةٌ وَمِنْهُ بَضْعَةٌ
وَلَكِنَّ ذَلِكَ طَرِيقُ التَّسْلِيَةِ وَسَبِيلُ التَّعْزِيَةِ وَالْمَنْحَجُ
الْمَسْلُوكُ فِي مُخَاطَبَةِ مِثْلِهِ مِمَّنْ يَقْبَلُ مَنَفَعَةَ الذِّكْرِ وَإِنْ
أَغْنَاهُ الْإِسْتَبْصَارُ وَلَا يَأْتِي وَرُودُ الْمَوْعِظَةِ وَإِنْ كَفَاهُ
الْإِعْتِبَارُ وَاللَّهُ تَعَالَى يَبْقِي الرَّئِيسَ الْهَاصِبَ وَبُعِيدَهُ مِنَ
النَّوَائِبِ وَيَرْعَاهُ بِعَيْنِهِ الَّتِي لَا تَنَامُ وَتَجْعَلُهُ فِي حِمَاهُ الَّذِي
لَا يُرَامُ وَيُغْفِيهِ مَوْفُورًا غَيْرَ مُنْقَصٍ وَيَقْدِمُنَا إِلَى السُّوءِ
أَمَامَهُ وَإِلَى الْحُذُورِ قُدَّامَهُ وَيَبْدَأُ بِي مِنْ بَيْنِهِمْ فِي هَذِهِ
الدَّعْوَةِ إِذْ كُنْتُ أَرَاهَا مِنْ أَسْعَدِ أَحْوَالِي وَأَعْدَهَا مِنْ
أَبْلَغِ أَمَانِي وَأَمَالِي

والمصحح إلى صديق له

مَنْ عَلِمَ أَنَّ الْقَضَاءَ وَافِعٌ وَأَنَّ الْأَعْمَارَ رَهَائِنُ
الْمَصَارِعِ فَلَمْ يَصْحَبْ دَهْرَهُ عَلَى غِرَّةٍ وَلَمْ يَغْتَرَّ مِنْ
الْأَقْدَارِ بِفِتْرَةٍ لَمْ تَكْبُرْ عَلَيْهِ الرَّزِيَّةُ إِذَا أَغْنَاكَ وَلَمْ
يُطْمِئِنَّ إِلَى السَّلَامَةِ وَإِنْ طَالَتْ فَإِنَّ لِلدَّهْرِ رَقْدَةً وَهَبَةً
وَإِنَّ لِلْبَالِي كَمَنَةً وَوَثْبَةً وَمِثْلَكَ مَنْ أَدْرَكَ مَبَادِي
الْأُمُورِ وَمَصَايِرَهَا وَعَرَفَ مَوَارِدَ الْحَيَاةِ وَمَصَادِيرَهَا وَإِنَّمَا

الْمَوْتُ طَوْرٌ مِنْ أَطْوَارِ الْوُجُودِ وَآخِرُ أَعْمَالِ الْحَيَاةِ فِي
 الْمَوْجُودِ وَلَا أَزِيدُكَ عِلْمًا بِالْكَوْنِ وَشَرَائِعِهِ وَالْكَائِنِ
 وَطَبَائِعِهِ إِنَّمَا هِيَ ذِكْرِي لِمَنْ فَجَّئَهُ الرُّزْءُ فَشَغَلَهُ وَحَلَّ
 بِسَاحَتِهِ الْقَضَاءُ فَأَذْهَلَهُ وَحَسَنِي مِنَ التَّعْزِيَةِ عَلَيَّ بِمَا عِنْدَكَ
 مِنْ مَوَارِدِ الْعِلْمِ الْمُبَاحِ وَمِنْ النَّاسِيَةِ مَا تَعْلَمُهُ مِنْ حَالِ
 مَنْ بَخَّاطِبِكَ وَهُوَ سَائِلُ الْجِرَاحِ وَمَا أَخْلَقَنِي بِأَنْ أَقُولَ
 إِنَّ رُزْءَكَ هَذَا قَدْ زَادَنِي شَجْنًا عَلَى أَشْجَانِي وَنَكَأَ مَا تَمَائَلُ
 مِنْ قُرْحَةٍ أَحْزَانِي وَلَكِنِّي قَدْ صَبَّرْتُ الدَّهْرَ إِلَى حَالٍ لَا
 تَعْمَلُ فِيهَا حَالٌ وَلَا أَبَالِي مَعَهَا بِسِلْمٍ وَلَا قِتَالٍ فَكُنَّا نَمَّا
 إِيَّايَ عَنَى أَبُو الطَّيِّبِ حَيْثُ قَالَ

رَمَانِي الدَّهْرُ بِالْأَرْزَاءِ حَتَّى فُؤَادِي فِي غِشَاءٍ مِنْ نِبَالٍ
 فَصِرْتُ إِذَا أَصَابَنِي سِهَامٌ تَكَسَّرَتِ النَّصَالُ عَلَى النَّصَالِ
 عَلَى أَنَّ الْمَرْءَ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ مِنْ نَفْسِهِ مُعَزٍّ لَمْ يَزِدْهُ كَلَامُ
 الْمُعْزِّينَ عَلَى إِذْكَارِ مُصَابِهِ وَتَجْدِيدِ لَوْعَتِهِ وَأَكْثَابِهِ
 وَهَذَا أَمْتَحَانُ الرِّجَالِ وَمَوْطِنُ الصَّبْرِ وَالْإِحْسَامِ
 وَالْمَرْءُ بِأَعَزِّ مَا لَدَيْهِ يُعْتَمَنُ وَالصَّبْرُ عَلَى مِقْدَارِ الْهِمَمِ
 وَالنِّطْنِ وَإِنَّ الْأَحْزَانَ مَعْقُودَةٌ أَطْرَافُهَا بِالْعِزَاءِ مَوْصُولَةٌ

أَوَاخِرُهَا بِالنَّاسَاءِ فَأَجْعَلِ الْآخِرَةَ الْأُولَى وَلَا تُبْلَغِ
 الدَّهْرَ مِنْ نَفْسِكَ مَا مُوَلَا وَاللَّهُ أَسْأَلُ أَنْ يُقَيِّضَ لَنَا
 بِسَلَامَتِكَ عِوَضًا كَرِيمًا وَيَصُونَ بَيْنَكُمْ وَالْه مِنْ كُلِّ كَارِثَةٍ
 سَلِيمًا وَيُفْرِغَ عَلَى قُلُوبِكُمْ صَبْرًا جَمِيلًا وَعَلَى مَنْ قَدَّمَ
 عَفْوًا عَمِيمًا بِرَحْمَتِهِ وَلَطْفِهِ

—••••—

فصل

في الخطب

خطبة للإمام علي

أَوْصِيَكُمْ عِبَادَ اللَّهِ وَنَفْسِي بِتَقْوَى اللَّهِ وَلَزُومِ طَاعَتِهِ
 وَتَقْدِيمِ الْعَمَلِ وَتَرْكِ الْأَمَلِ فَإِنَّهُ مَنْ فَرَّطَ فِي عَمَلِهِ لَمْ
 يَنْتَفِعْ بِشَيْءٍ مِنْ أَمَلِهِ أَيْنَ النَّعْبُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ الْمُتَعَمِّمُ
 لِحَجِّ النَّجَارِ وَمَفَاوِزِ الْفِغَارِ يَسِيرُ مِنْ وَرَاءِ أَنْجِيَالِ
 وَعَالِمِ الزِّمَالِ يَصِلُ الْغُدُوَّ بِالرَّوَّاحِ وَالْمَسَاءَ بِالصَّبَاحِ
 فِي طَلَبِ مُحَنَرَاتِ الْأَرْبَاحِ هَجَمَتْ عَلَيْهِ مَنِيَّتُهُ فَعَظُمَتْ
 بِنَفْسِهِ رَزِيَّتُهُ فَصَارَ مَا جَمَعَ بُورًا وَمَا أَكْتَسَبَ غُرُورًا
 وَوَافِيَ الْقِيَامَةَ مُحْسُورًا أَيُّهَا اللَّاهِي الْغَارُ بِنَفْسِهِ كَأَنِّي بِكَ

وَقَدْ أَتَاكَ رَسُولُ رَبِّكَ لَا يَقْرَعُ لَكَ بَابًا وَلَا يَهَابُ لَكَ
 حِجَابًا وَلَا يَقْبَلُ مِنْكَ بَدِيلًا وَلَا يَأْخُذُ مِنْكَ كَفِيلًا وَلَا
 يَرْحَمُ لَكَ صَغِيرًا وَلَا يُوقِرُ فَيْكَ كَبِيرًا حَتَّى يُؤَدِّيكَ إِلَى
 قَعْرِ مُظْلِمَةٍ أَرْجَاؤُهَا مُوْحِشَةٌ كَفَعَلِهِ بِالْأُمَمِ الْخَالِيَةِ
 وَالْقُرُونِ الْمَاضِيَةِ أَيْنَ مَنْ سَعَى وَاجْتَهَدَ وَجَمَعَ وَعَدَّدَ
 وَبَنَى وَشَبَّدَ وَزَخَرَفَ وَنَجَّدَ وَبِالْقَلِيلِ لَمْ يَقْنَعْ وَبِالْكَثِيرِ
 لَمْ يُمَتِّعْ أَيْنَ مَنْ قَادَ الْجُنُودَ وَنَشَرَ الْبُنُودَ أَضْحَوْا رُفَاتًا
 تَحْتَ النَّظَرِ أَمْوَانًا وَأَنْتُمْ بِكَاسِهِمْ شَارِبُونَ وَلِسَبِيلِهِمْ
 سَالِكُونَ عِبَادَ اللَّهِ فَانْقُوا اللَّهَ وَرَافِقِيهِ وَأَعْمَلُوا لِلْيَوْمِ
 الَّذِي تَسِيرُ فِيهِ الْحَيَالُ وَتَشَقُّو السَّمَاءَ بِالْغَمَامِ وَتَطَابِرُ
 الْكُتُبُ عَنِ الْأَيْمَانِ وَالشَّمَائِلِ فَأَيُّ رَجُلٍ يَوْمَئِذٍ تَرَكَ
 أَقَائِلَهُ هَؤُلَاءِ أَفْرَأُ كِتَابِيَّةً أَمْ يَا لَيْتَنِي لَمْ أَوْتَ كِتَابِيَّةً نَسَّالُ
 مَنْ وَعَدْنَا بِإِقَامَةِ الشَّرَائِعِ جَنَّتْهُ أَنْ يَقِينَا سَخَطَهُ إِنَّ أَحْسَنَ
 الْحَدِيثِ وَأَبْلَغَ الْمَوْعِظَةِ كِتَابُ اللَّهِ الَّذِي لَا يَأْنِيهِ الْبَاطِلُ
 مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَبِيدٍ

خطبة للحجاج حين ولّاه عبد الملك بن مروان العراق وامره ان

يخبر الناس الى المهلب في حرب الازارقة

أَنَا ابْنُ جَلَا وَطَلَّاعُ الثَّنَائَا مَتَى أَضَعَ الْعِمَامَةَ تَعْرِفُونِي

صَلِيبُ الْعُودِ مِنْ سَلَفِي نِزَارٍ كَصَلِّ السِّيفِ وَصَاحُ الْحَبِينِ
 وَمَاذَا تَبَغَّبِ الشُّعْرَاءُ مِنِّي وَقَدْ جَاوَزْتُ حَدَّ الْأَرْبَعِينَ
 أَخُو خَمْسِينَ مُجْتَمِعَ أَشْدِي وَتَجِدُنِي مَدَاوِرَ الشُّؤْنِ
 أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَحْمِلُ الشَّرَّ بِحِمْلِهِ وَأَحْذُوهُ بِنَعْلِهِ وَأَجْزِيهِ
 بِمِثْلِهِ وَإِنِّي لَأَرَى ابْصَارًا طَامِحَةً وَأَعْنَاقًا مُتَطَاوِلَةً
 وَرُؤُوسًا قَدْ أُيْنَعَتْ وَحَانَ فِطَانُهَا وَإِنِّي لَصَاحِبُهَا
 كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى الدِّمَاءِ بَيْنَ الْعِمَائِمِ وَالْحَيِّ تَتَرَفَّقُ
 هَذَا أَوَانُ الْحَرْبِ فَأَشْتَدِّي زَيْمٌ

قَدْ لَفَّهَا اللَّيْلُ بِسَوَاقٍ حُطَرِ

لَيْسَ بِرَاعِبٍ إِبِلٍ وَلَا غَنَمٍ

وَلَا بِجَزَّارٍ عَلَى ظَهْرٍ وَضَمٍ

قَدْ لَفَّهَا اللَّيْلُ بِعَصَلِيبٍ أَرْوَعَ خَرَّاجٍ مِنَ الدَّوِيِّ

مُهَاجِرٍ لَيْسَ بِأَعْرَابِيٍّ

قَدْ شَمَّرَتْ عَنْ سَافِهَا فَشَدُّوا مَا عَلَيَّ وَأَنَا شَيْخٌ جَلْدُ

وَالْقَوْسُ فِيهَا وَتَرٌّ عِرْدُ مِثْلُ ذِرَاعِ الْبَكْرِ أَوْ أَشَدُّ

إِنِّي وَاللَّهِ يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ وَمَعْدِنَ الشِّقَاقِ وَالنِّفَاقِ وَمَسَاوِي

الْأَخْلَاقِ لَا يُغْمِزُ جَانِبِي كَتَغْمَازِ التَّيْنِ وَلَا يَقَعُّعُ لِي

بِالسِّنَانِ وَلَقَدْ فُرِزْتُ عَنْ ذَكَاءٍ وَفُتِّشْتُ عَنْ تَجْرِبَةٍ وَأُجْرِبْتُ
 مَعَ الْعَايَةِ وَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ نَذَرَ كِنَانَتَهُ ثُمَّ عَجَمَ عِيدَانَهَا
 فَوَجَدَنِي أَمْرَهَا عُودًا وَأَشَدَّهَا مَكْسِرًا فَوَجَّهَنِي إِلَيْكُمْ
 وَرَمَاكُمْ بِي فَإِنَّهُ قَدْ طَالَهَا أَوْضَعُكُمْ فِي الْقَيْنِ وَسَنَتُمْ سُنَنَ
 الْبَغْيِ وَسَعَيْتُمْ فِي الضَّلَالَةِ وَأَنْتُمْ اللَّهُ لَا تُحَوِّنُكُمْ لِحَوْ الْعَصَا
 وَلَا فَرَعَنْكُمْ فَرَعَ الْهَرَوَةِ وَلَا عَصَبَكُمْ عَصَبَ السَّلَهِ
 وَلَا ضَرْبَكُمْ ضَرْبَ عَرَابِ الْإِبِلِ أَمَا وَاللَّهِ لَا أَعِدُّ إِلَّا وَفَيْتُ
 وَلَا أَخْلُقُ إِلَّا فَرَيْتُ وَإِيَّايَ وَهَذِهِ الزَّرَافَاتِ وَالْجَمَاعَاتِ
 وَقَالَ وَقِيلَ وَمَا يَقُولُونَ وَفِيمَ أَنْتُمْ وَاللَّهِ لَتَسْتَقْبِلُنَّ عَلَى
 طَرِيقِ الْحَقِّ أَوْ لَا دَعْنُ لِكُلِّ رَجُلٍ مِنْكُمْ شُغْلًا فِي جَسَدِهِ مَنْ
 وَجَدْتُهُ بَعْدَ ثَالِثَةِ مِنْ بَعَثِ الْمُهَلَّبِ سَفَكَتُ دَمَهُ وَأَنْتُمْ هَبْتُ
 مَالَهُ وَهَدَمْتُ مَنْزِلَهُ

وله ايضا بعد وقعة دبر الجهاجم

يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ اسْتَبَطَنَكُمْ فَخَالَطَ
 اللَّحْمَ وَالْدَّمَ وَالْمَسَامِعَ وَالْأَطْرَافَ وَالْأَعْضَادَ وَالشِّفَاهُ ثُمَّ
 مَضَى إِلَى الْأَنْفَاحِ وَالْأَصْوَاحِ ثُمَّ أَرْتَجَعَ فَعَشَّشَ ثُمَّ بَاضَ
 وَفَرَّخَ فَحَشَاكُمْ شِقَاقًا وَنِفَاقًا وَإِنْ أَشْعَرَكُمْ خِلَافًا اتَّخَذْتُمُوهُ

دَلِيلًا تَتَّبِعُونَهُ وَقَائِدًا تُطِيعُونَهُ وَمُؤَامِرًا تَسْتَشِيرُونَهُ
 وَكَيْفَ تَنْفَعُكُمْ تَجْرِبَتُهُ أَوْ تَعْظُمُكُمْ وَقَعَتُهُ أَوْ يَحْجِزُكُمْ
 إِسْلَامُهُ أَوْ يَرُدُّكُمْ إِيَّاهُ أَلَسْتُمْ أَصْحَابِي بِالْأَهْوَارِ حَيْثُ
 رُمْتُمُ الْمَكْرَ وَسَعَيْتُمُ بِالْغَدْرِ وَأَسْتَجَبْتُمُ لِلْكَفْرِ وَظَنَنْتُمْ
 أَنَّ اللَّهَ يَخْذُلُ دِينَهُ وَخِلَافَتَهُ وَأَنَا أَرْمِيكُمْ بِطَرْفِي وَأَنْتُمْ
 تَنْسُلُونَ لِيَوَاذِ وَتَنْهَزُمُونَ سِرَاعًا يَوْمَ الزَّوَايَةِ وَمَا يَوْمُ
 الزَّوَايَةِ بِهَا كَانَ فَشَلُّكُمْ وَتَنَازُعُكُمْ وَتَخَاذُلُكُمْ وَبِرَاءَةُ اللَّهِ
 مِنْكُمْ وَنُكُوصُ وَلِيِّهِ عَنْكُمْ إِذْ وَلَّيْتُمْ كَالْأَيْلِ الشَّوَارِدِ
 إِلَى أَوْطَانِهَا النَّوَارِعِ إِلَى أَعْطَانِهَا لَا يَسْأَلُ الْمَرْءُ مِنْكُمْ
 عَنْ أَخِيهِ وَلَا يَلْوِي الشَّيْخُ عَلَى بَنِيهِ حَتَّى عَضَّكُمْ السِّلَاحُ
 وَقَصَمَتْكُمْ الرِّمَاحُ وَيَوْمَ دَبَرِ الْجَمَاجِمِ وَمَا دَبَرُ الْجَمَاجِمِ
 بِهِ كَانَتْ الْمَعَارِكُ وَالْمَلَاحِمُ بِضَرْبِ يَزِيدُ اللَّهُمَّ عَنْ
 مَقِيلِهِ وَيُذْهِلُ الْخَلِيلَ عَنْ خَالِيلِهِ يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ أَهْلَ
 الْكَفَرَاتِ وَالْفَجَرَاتِ وَالْغَدَرَاتِ بَعْدَ الْخِثَرَاتِ وَالثَّوَرَةِ
 بَعْدَ الثَّوَرَاتِ إِنْ بُعِثْتُمْ إِلَى نُغُورِكُمْ غَلَلْتُمْ وَخِثْتُمْ وَإِنْ
 أَمِيتُمْ أَرْجَفْتُمْ وَإِنْ خِثْتُمْ نَاقَفْتُمْ لَا تَذْكُرُونَ نِعْمَةً وَلَا
 تَشْكُرُونَ نِعْمَةً يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ هَلِ اسْتَخَفَّكُمْ نَاصِثٌ أَوْ

أَسْتَغْوَاكُمْ غَاوٍ أَوْ اسْتَغْزِكُمْ عَاصٍ أَوْ اسْتَنْصِرْكُمْ ظَالِمٌ
أَوْ اسْتَعْصِدْكُمْ خَالِجٌ إِلَّا وَتَقْتُمُوهُ وَأَوْيْتُمُوهُ وَعَزَّزْتُمُوهُ
وَاتَصَرْتُمُوهُ وَرَضِيتُمُوهُ وَأَرْضِيتُمُوهُ يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ هَلْ
شَغَبَ شَاغِبٌ أَوْ نَعَبَ نَاعِبٌ أَوْ نَعَقَ نَاعِقٌ أَوْ زَفَرَ زَافِرٌ
إِلَّا كُنتُمْ أَتْبَاعُهُ وَأَنْصَارُهُ يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ أَلَمْ تَنَهَكُمُ
الْمَوَاعِظُ أَلَمْ تَزَجُرْكُمْ الْوَفَائِحُ يَا أَهْلَ الشَّامِ إِنَّمَا أَنَا
لَكُمْ كَالظَّلِيمِ الذَّابِّ عَنْ فِرَاحِهِ يَنْفِي عَنْهَا الْمَدْرَ وَيُبَاعِدُ
عَنْهَا الْحَجَرَ وَيَكْنِهَا مِنَ الْمَطَرِ وَيَحْبِئُهَا مِنَ الصَّبَابِ
وَيَحْرُسُهَا مِنَ الذُّبَابِ يَا أَهْلَ الشَّامِ أَنْتُمْ الْحِجَّةُ وَالرِّدَاءُ
وَأَنْتُمْ الْعُدَّةُ وَالْحِذَاءُ

ولعنة بن ابي سفيان

يَا أَهْلَ مِصْرَ قَدْ طَالَتْ مُعَاتِبَتُنَا إِيَّاكُمْ بِأَطْرَافِ
الرَّمَاكِ وَطُبَاتِ السُّيُوفِ حَتَّى صِرْنَا شَجَى فِي لَهَاكُم مَّا تُسِيغُهُ
حُلُوفُكُمْ وَأَقْدَاءَ فِي أَعْيُنِكُمْ مَّا تَطْرِفُ عَلَيْهَا جَفُونُكُمْ
أَفَحِينَ اسْتَدَّتْ عُرَى الْحَقِّ عَلَيْكُمْ عَقْدًا وَاسْتَرْخَتْ عَقْدُ
الْبَاطِلِ مِنْكُمْ حَلًّا أَرْجَفْتُمْ بِالْخَلِيفَةِ وَأَرْدَنْتُمْ تَهْوِينَ الْخِلَافَةِ
وَحُضِنْتُمْ الْحَقَّ إِلَى الْبَاطِلِ وَأَقْدَمْتُمْ عَهْدَكُمْ بِهِ حَدِيثٌ

فَارْتَجُوا أَنْفُسَكُمْ إِذَا خَسِرْتُمْ دِينَكُمْ فَهَذَا كِتَابُ أَمِيرِ
 الْمُؤْمِنِينَ بِالنَّخْبَةِ السَّارِ عَنْهُ وَالْعَهْدِ الْقَرِيبِ مِنْهُ وَعَلَمُوا
 أَنَّ سُلْطَانَنَا عَلَى أَيْدَانِكُمْ دُونَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْلِحُوا لَنَا مَا
 ظَهَرَ وَتَكَلَّمُوا إِلَى اللَّهِ فِيهَا بَطْنٌ وَأَظْهِرُوا خَيْرًا وَإِنْ
 أَضْمَرْتُمْ شَرًّا فَإِنَّكُمْ حَاصِدُونَ مَا أَنتُمْ زَارِعُونَ وَعَلَى اللَّهِ
 أَنْ تَوَكَّلُوا بِهِ أَتَسْتَعِينُ

وله ايضا

يَا حَامِلِي الْأَمِّ أَنْفُوفٍ رُكِبَتْ بَيْنَ الْأَمِّ أَعْيُنٍ إِنَّمَا قَلَمْتُ
 أَظْفَارِي عَنْكُمْ لِيَلِينَ مَسِيَّ إِيَّاكُمْ وَسَأَلْتُكُمْ صَلَاحَكُمْ إِذَا
 كَانَ فَسَادُكُمْ رَاجِعًا عَلَيْكُمْ فَأَمَّا إِذَا أَبَيْتُمْ إِلَّا الطَّعْنَ عَلَى
 الْوَلَاةِ وَالْتِنَقُصَ لِلْسَّلَفِ فَوَاللَّهِ لَا قُطْعَانَ عَلَى ظُهُورِكُمْ
 بَطُونِ السَّيَاطِ فَإِنْ حَسَبْتُمْ دَاءَكُمْ وَإِلَّا فَالْسَيْفُ مِنْ
 وَرَائِكُمْ وَلَسْتُ أَبْجُلَ عَلَيْكُمْ بِالْعُقُوبَةِ إِذَا جُدْتُمْ بِالْمَعْصِيَةِ
 وَلَا أُوَيْسِكُمْ مِنْ مُرَاجَعَةِ الْحُسْنَى إِنْ صِرْتُمْ إِلَى الْإِنِّي هِيَ
 أَبْرُ وَأَنْتَى

وَيُنْسَبُ إِلَى سَحْبَانَ وَائِلَ

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الدُّنْيَا دَارُ مَهْرٍ وَالْآخِرَةُ دَارُ مَقَرٍّ

فَخَذُوا مِنْ مَمَرِكُمْ لِمَمَرِكُمْ وَلَا تَهْتِكُوا أَسْرَارَكُمْ عِنْدَ مَنْ لَا تَخْفَى عَلَيْهِ أَسْرَارُكُمْ وَأَخْرِجُوا مِنَ الدُّنْيَا قُلُوبَكُمْ قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنْهَا أَبْدَانُكُمْ فِيهَا حَبِيتُمْ وَلِغَيْرِهَا خُلِقْتُمْ الْيَوْمَ عَمَلٌ بِلَا حِسَابٍ! وَغَدًا حِسَابٌ بِلَا عَمَلٍ إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا أَهْلَكَ قَالَ النَّاسُ مَا تَرَكَ! وَقَالَتِ الْمَلَائِكَةُ مَا قَدَّمَ فَقَدَّ مَوَابِعُضًا يَكُونُ لَكُمْ قَرْضًا وَلَا تَتْرَكُوا كَلًّا يَكُونُ عَلَيْكُمْ كَلًّا

— ۰۰۰ —

فصل

في الذم والنطبعة

كتبه أبو الفضل بن العميد إلى أبي عبد الله الطبري

وَصَلَ كِتَابُكَ فَصَادَفَنِي قَرِيبَ الْعَهْدِ بِالْإِنْطِلَاقِ مِنْ عَنَتِ الْفِرَاقِ وَوَافَقَنِي مُسْتَرِجِحَ الْأَعْضَاءِ وَالْحُجُوجِ مِنْ جَوَى الْأَسْتِيَاقِ فَإِنَّ الدَّهْرَ جَرَى عَلَى حُكْمِهِ الْمَأْلُوفِ فِي تَحْوِيلِ الْأَحْوَالِ وَمَضَى عَلَى رَسْمِهِ الْمَعْرُوفِ فِي تَبْدِيلِ الْأَشْكَالِ وَأَعْتَقَنِي مِنْ مَخَالِكَ إِعْنَاقًا لَا تَسْتَحِقُّ بِهِ وَلَا وَابِرَآئِي مِنْ عَهْدَتِكَ بَرَاءَةً لَا تَسْتَوْجِبُ مَعَهَا دَرَكًَا وَلَا أَسْتَنْتَاءَ وَنَزَعَ مِنْ عُنِّي رِبْقَةَ الدَّلِّ فِي إِخَائِكَ بِيَدَيَّ

جَفَانِكَ وَرَشَّ عَلَى مَا كَانَ يُضْرَمُ فِي ضَمِيرِي مِنْ نِيرَانِ
 الشُّوقِ بِالسُّلُوقِ وَشَنَّ عَلَى مَا كَانَ يَلْتَهَبُ فِي صَدْرِي مِنْ
 الْوَجْدِ مَاءَ الْيَأْسِ وَمَسَحَ أَعْشَارَ قَلْبِي فَلَأَمَ فُطُورِي
 بِجَهِيلِ الصَّبْرِ وَشَعَبَ أَفْلَازَ كَيْدِي فَلَأَحَمَ صُدُوعَهَا بِحُسْنِ
 الْعِزَاءِ وَتَغْلَغَلَ فِي مَسَالِكِ أَنْفَاسِي فَعَوَّضَ عَنِ النَّزَاعِ
 إِلَيْكَ نُزُوعًا عَنْكَ وَمِنْ الذَّهَابِ فِيكَ رُجُوعًا دُونَكَ
 وَكَشَفَ عَنْ عَيْنِي ضَبَابَاتِ مَا أَلْقَاهُ الْهَوَى عَلَى بَصَرِي
 وَرَفَعَ عَنْهَا غَيَابَاتِ مَا سَدَّ لَهُ الشُّكُّ دُونَ نَظْرِي حَتَّى
 حَذَرَ النِّقَابَ عَنْ صَفَحَاتِ شَيْمِكَ وَسَفَرَ عَنْ وُجُوهِ خَلِيقَتِكَ
 فَأَذْهَبَ فَقَدْ أَلْقَيْتُ حَبْلَكَ عَلَى غَارِبِكَ وَرَكَدْتُ إِلَيْكَ
 ذِمَّ عَهْدِكَ

وله اليو ايضا من رسالة

وَهَبْنِي سَكْتٌ لِدَعْوَاكَ سَكُوتٌ مُتَعَجِّبٌ وَرَضِيْتُ رَضَى
 مُنْخَطِطٍ أَيْرَضَى الْفَضْلُ أَجْذَابَكَ بِأَهْدَائِهِ مِنْ يَدَيِ أَهْلِيهِ
 وَأَصْحَائِهِ وَأَحْسَبُكَ لَمْ تُزَاحِمِ خُطَابَهُ حَتَّى أَنْشَدَكَ
 لَوْ بِأَبَانَيْنِ جَاءَ بِخُطْبَاهَا ضَرَجَ مَا أَنْفُ خَاطِبٍ بِدَمٍ
 وَلَيْتَ شِعْرِي بِأَيِّ حَلِيٍّ تَصَدَّيْتُ لَهُ وَأَنْتَ لَوْ تَوَجَّجْتَ

بِالثَّرْيَا وَتَقَلَّدَتْ فِلَادَةَ الْفَلَكَ وَتَمَنَّطَتْ بِمِنْطَقَةِ الْحُجُورَاءِ
وَتَوَشَّحَتْ بِالْحَجَرَةِ لَمْ تَكُنْ إِلَّا عَطْلًا وَلَوْ تَدَثَّرْتَ أَنْوَارَ
الرَّبِيعِ الزَّاهِرِ وَأَسْرَجْتَ فِي جَبِينِكَ غُرَّةَ الْبَدْرِ الْبَاهِرِ
مَا كُنْتَ إِلَّا غَفْلًا لَا سِيَّهَا مَعَ قَلْبِهِ وَفَائِكَ وَضَعْفِ إِخَائِكَ
وِظْلَمَةِ مَا بُصِرَهُ مِنْ خِصَالِكَ وَنَرَاكُمُ الدُّجَى فِي ضَلَالِكَ
وَقَدْ نَدِمْتُ عَلَى مَا كَانَ مِنِّي إِلَيْكَ وَلَكِنْ أَيْ سَاعَةٍ مَنَدَمٍ
بَعْدَ إِفْنَاءِ الزَّمَانِ فِي أَبْدَائِكَ وَتَصَفِّي حَالَاتِ الدَّهْرِ
فِي أَخْيَارِكَ وَبَعْدَ تَضْيِيعِ مَا غَرَسْتُهُ وَتَقْوِيضِ مَا أَسَّسْتُهُ
فَإِنَّ الْوُدَادَ غَرَسَ إِذَا لَمْ يُوَافِقْ ثَرَى ثَرِيًّا وَمَاءَ رَوِيًّا لَمْ
يُرْجَ زَكَاؤُهُ وَلَمْ يَجِرْ مَأْوُهُ وَلَمْ يَنْفَعِ أَزْهَارُهُ وَلَمْ تُجْنِ
نِهَاؤُهُ وَلَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ مَلَكْتُ الضَّلَالَ فَيَا دِي حَتَّى
أَشْكَلَ عَلَيَّ مَا بَحْنَجُ إِلَيْهِ الْمُتَمَارِجَانِ وَلَا يَسْتَعْنِي عَنْهُ
الْمُنَاكِفَانِ وَهِيَ مُهَازِجَةُ طَبَعٍ وَمُوَافَقَةُ شَكْلِ وَخَلْقِ
وَمُطَابَقَةُ خَيْمٍ وَخَلْقِ وَمَا وَصَلْنَا حَالَ جَمْعَتَنَا عَلَى أَثِلَافٍ
وَحَمَنَّا مِنْ أَخِلَافٍ وَنَحْنُ فِي طَرْفٍ ضِدِّينَ وَبَيْنَ
أَمْرَيْنِ مُتَبَاعِدَيْنِ وَإِذَا حَصَلَتْ الْأَمْرُ وَجَدْتَ أَدْنَى مَا
بَيْنَنَا مِنَ الْبِعَادِ أَكْثَرُ مِمَّا بَيْنَ الْوَهَادِ وَالنَّجَادِ وَأَبْعَدَ

مِمَّا بَيْنَ الْبَيَاضِ وَالسَّوَادِ وَأَيْسَرُ مَا بَيْنَنَا مِنَ النِّفَارِ أَكْثَرُ
مِمَّا بَيْنَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْإِعْلَانِ وَالْإِسْرَارِ

وكتبه ابو الفضل بدیع الزمان الهمداني من رسالة الى ابي نصر

ابن المرزبان

كُنْتُ أَطَالَ اللَّهُ بِقَاءِ سَيِّدِي وَمَوْلَايَ فِي قَدِيمِ الزَّمَانِ
أَتَمَّنِي لِلْكِتَابِ الْخَيْرِ وَأَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُدِرَّ عَلَيْهِمْ أَخْلَافَ
الرِّزْقِ وَيَهْدِلَهُمْ أَكْنَافَ الْعَيْشِ وَيُوطِّئَهُمْ أَعْرَافَ
الْعَبْدِ وَيُؤْتِيَهُمْ أَصْنَافَ الْفَضْلِ وَيُرَكِّبُهُمْ أَكْنَافَ الْعِزِّ
وَقُصَارَايَ أَنْ أَرْغَبَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي أَنْ لَا يُنِيلَهُمْ فَوْقَ
الْكِفَايَةِ وَلَا يَهْدِلَهُمْ فِي حَبْلِ الرِّعَايَةِ فَشَدَّ مَا يَطْغُونَ
لِلنِّعْمَةِ يَنَالُونَهَا وَالْدَّرَجَةَ يَعْلُونَهَا وَسَرَعَ مَا يَنْظُرُونَ مِنْ
عَالٍ بِمَا يَنْظُمُونَ مِنْ حَالٍ وَيَجْمَعُونَ مِنْ مَالٍ وَتُسَيِّمُ
أَيَّامُ الدُّنْيَةِ أَوْقَاتَ الْخُشُوعِ وَأَزْمَانُ الْعُدُوبَةِ سَاعَاتِ
الصَّعُوبَةِ وَالْكِتَابِ مَزِيَّةٌ فِي هَذَا الْبَابِ فَبَيْنَاهُمْ فِي
الْعُطْلَةِ إِخْوَانٌ كَمَا أَنْتَظِمُ السَّهْطُ وَفِي الْعُزْلَةِ أَعْوَانٌ كَمَا
أَنْفَرَجُ الْمَشْطُ حَتَّى لَحْظُهُمُ الْحُجْدُ لِحْظَةً حَقِيقًا بِمَنْشُورِ عِمَالَةٍ
أَوْ صَكِّ جِعَالَةٍ فَيَعُودُ عَامِرٌ وَدَهُمْ خَرَابًا وَيَنْقَلِبُ شَرَابٌ

عَهْدِهِمْ سَرَابًا فَمَا عَلَتْ أُمُورُهُمْ حَتَّى أَسْبَلَتْ سَتُورَهُمْ
وَلَا غَلَتْ قُدُورُهُمْ إِلَّا خَلَتْ بُدُورُهُمْ وَلَا اتَّسَعَتْ
دُورُهُمْ إِلَّا ضَاقَتْ صُدُورُهُمْ وَلَا أَوْفَدَتْ نَارُهُمْ إِلَّا
انْطَفَأَ نُورُهُمْ وَلَا زَادَ مَالُهُمْ إِلَّا تَقَصَّ مَعْرُوفُهُمْ وَلَا
وَرِمَتْ أَكْيَاسُهُمْ إِلَّا وَرِمَتْ أَنْوْفُهُمْ وَلَا صَلَحَتْ أَحْوَالُهُمْ
إِلَّا فَسَدَتْ أَفْعَالُهُمْ وَلَا حَسُنَتْ حَالُهُمْ إِلَّا قُبِحَتْ خِلَالُهُمْ
وَلَا فَاضَ جَاهُهُمْ إِلَّا غَاضَتْ مِيَاهُهُمْ وَلَا لَانَتْ بُرُودُهُمْ
إِلَّا صَلَبَتْ حُدُودُهُمْ وَلَا عَلَتْ جُدُودُهُمْ إِلَّا سَفَلَ جُودُهُمْ
وَلَا طَالَتْ أَيْدِيهِمْ إِلَّا أَقْصُرَتْ أَيَْادِيهِمْ وَقُصَّارَى أَحَدِهِمْ
مِنَ الْعَبْدِ أَنْ لَا يُخْرِجَ مَالَهُ مِنْ عَهْدَةِ خَاتَمِهِ إِلَّا يَوْمَ مَاتِهِ
فَهُوَ يَجْمَعُ لِحَادِثِ حَيَاتِهِ أَوْ وَارِثِ مَمَاتِهِ يَسْلُكُ فِي الْغَدْرِ
كُلَّ طَرِيقٍ وَيَبِيعُ بِالذِّرْهِمِ أَلْفَ صَدِيقٍ

فصل

في الدعاء

قال أعرابي

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَاجْلِدْ بَارِدًا وَالنَّفْسُ رَطْبَةٌ وَاللِّسَانُ

مُنْطَلِقٌ وَالصَّحْفُ مَنْشُورَةٌ وَالْأَقْلَامُ جَارِيَةٌ وَالتَّوْبَةُ
مَقْبُولَةٌ وَالتَّضَرُّعُ مَرْجُوٌّ قَبْلَ أَنْ الْفَرَاقِ وَحَشَلُ
النَّفْسِ وَعَكَزَ الصَّدْرُ وَتَزَبَّلَ الْأَوْصَالِ وَتُصُولُ
الشَّعْرِ وَأَجْنِيفُ الثَّرَابِ وَقَبْلَ أَنْ لَا أَقْدِرَ عَلَى اسْتِغْفَارِكَ
حِينَ يَفْنَى الْأَجَلُ وَيَنْقَطِعُ الْعَمَلُ أَعْنِي عَلَى الْمَوْتِ
وَكُرْبَتِهِ وَعَلَى الْتَبَرِ وَغُمَّتِهِ وَعَلَى الْمِيزَانِ وَخِفَّتِهِ وَعَلَى
الصِّرَاطِ وَزَلَّتِهِ وَعَلَى يَوْمِ النِّيَامَةِ وَرَوْعَتِهِ إِغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً
لَا تُغَادِرُ ذَنْبًا وَلَا تَدْعُ كَرْبًا اغْفِرْ لِي جَمِيعَ مَا أَفْتَرَضْتُ
عَلَيَّ وَلَمْ أُؤَدِّهِ إِلَيْكَ اغْفِرْ لِي جَمِيعَ مَا تَبْتُ إِلَيْكَ مِنْهُ
ثُمَّ عُدْتُ فِيهِ يَا رَبِّ تَظَاهَرْتُ عَلَى مِنْكَ النِّعَمُ وَتَدَارَكَتْ
عِنْدَكَ مِنِّي الذُّنُوبُ فَلَكَ الْحَمْدُ عَلَى النِّعَمِ الَّتِي تَظَاهَرَتْ
وَأَسْتَغْفِرُكَ لِلذُّنُوبِ الَّتِي تَدَارَكَتْ وَأَمْسَيْتَ عَنْ عَذَابِي غَنِيًّا
وَأَصْبَحْتُ إِلَى رَحْمَتِكَ فَقِيرًا اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ نَجَاحَ
الْأَمَلِ عِنْدَ انْقِطَاعِ الْأَجَلِ اللَّهُمَّ اجْعَلْ خَيْرَ عَمَلِي مَا
وَلِيَ أَجَلِي اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ الَّذِينَ إِذَا أُعْطِيَتْهُمْ شَكَرُوا
وَإِذَا ابْتَلَيْتَهُمْ صَبَرُوا وَإِذَا أذْكَرْتَهُمْ ذَكَرُوا وَاجْعَلْ لِي
قَلْبًا تَوَّابًا أَوْ أَبًا لَا فَاحِرًا وَلَا مُرْتَابًا اجْعَلْنِي مِنَ الَّذِينَ إِذَا

أَحْسِنُوا أَرْكَادُوا وَإِذَا أَسَاءُوا أَسْتَغْفِرُوا اللَّهُمَّ لَا تُحَقِّقْ
 عَلَيَّ الْعَذَابَ وَلَا تَقْطَعْ بِي الْأَسْبَابَ أَدْعُوكَ دُعَاءَ ضَعِيفٍ
 عَمَلُهُ مُتَظَاهِرَةٌ ذُنُوبُهُ ضَمِينٌ عَلَى نَفْسِهِ دُعَاءَ مَنْ بَدَنُهُ
 ضَعِيفٌ وَمُتَهُ عَاجِزَةٌ قَدْ أَنْتَهَتْ عِدَّتُهُ وَخَلَّتْ جِدَّتُهُ
 وَتَمَّ ظِمْمُوهُ اللَّهُمَّ لَا تُخَيِّبْنِي وَأَنَا أَرْجُوكَ وَلَا تُعَذِّبْنِي وَأَنَا
 أَدْعُوكَ أَلْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى طَوْلِ النَّسِيبَةِ وَإِسَاغَةِ الرِّيقِ
 وَتَأْخِرِ الشَّدَائِدِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى حِلِّهِ بَعْدَ عِلْمِهِ وَعَلَى
 عَفْوِهِ بَعْدَ قُدْرَتِهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا يُودِي قَتِيلَهُ وَلَا
 يَخْجِبُ سَائِلُهُ وَلَا يُرَدُّ رَسُولُهُ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْفَقْرِ
 إِلَّا إِلَيْكَ وَمِنَ الذَّلِّ إِلَّا لَكَ وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أَقُولَ زُورًا
 أَوْ أَغْشَى فُجُورًا أَوْ أَكُونَ بِكَ مَغْرُورًا وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ
 شِمَاتَةِ الْأَعْدَاءِ وَعُضَالِ الدَّاءِ وَخِيَةِ الرَّجَاءِ وَزَوَالِ
 النِّعْمَةِ

وقال أعرابي غيره

اللَّهُمَّ إِنَّ أَسْتَغْفِرِي إِيَّاكَ مَعَ كَثْرَةِ ذُنُوبِي لِلْوَمِّ
 وَإِنَّ تَرْكِي الْأَسْتَغْفَارَ مَعَ مَعْرِفَتِي بِسَعَةِ رَحْمَتِكَ لَعَجْزٌ إِلَهِي
 كَمْ تَحَبَّبْتَ إِلَيَّ بِنِعْمَتِكَ وَأَنْتَ غَنِيٌّ عَنِّي وَكَمْ أَتَبَغَّضُ

إِلَيْكَ بِذُنُوبِي وَأَنَا فَقِيرٌ إِلَيْكَ سُبْحَانَ مَنْ إِذَا تَوَعَّدَ عَفَا
وَإِذَا وَعَدَ وَفَى

وقال آخر

اللَّهُمَّ إِنَّ ذُنُوبِي إِلَيْكَ لَا تَضُرُّكَ وَإِنَّ رَحْمَتَكَ
إِلَيَّ لَا تَنْقُصُكَ فَأَغْفِرْ لِي مَا لَا يَضُرُّكَ وَهَبْ لِي مَا لَا
يَنْقُصُكَ

— — —

فصل

في القول عند الوقوف على القبور

قالت أعرابية

وَاللَّهِ يَا بَنِيَّ لَقَدْ غَذَوْتُكَ رَضِيعًا وَفَقَدْتُكَ سَرِيعًا
وَكَاثَهُ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الْحَالَيْنِ مَدَّةٌ أَلْتَذُّ بِعَيْشِكَ فِيهَا فَأَصْبَحْتَ
بَعْدَ النَّصَارَةِ وَالْغُصَارَةِ وَرَوْتَنِي الْحَيَاةَ وَالنَّسَمَ مِنْ طِيبِ
رَوَائِحِهَا تَحْتَ ظِلِّبَاتِي الْثَرَى جَسَدًا هَامِدًا. وَرُفَاتًا سَحِيقًا
وَصَعِيدًا جُرْزًا أَيُّ بَنِيٍّ لَقَدْ سَحَبْتَ الدُّنْيَا عَلَيْكَ أَذْيَالَ
الْفَنَاءِ وَأَسْكَنْتَكَ دَارَ الْبَلَى وَرَمْتَنِي بَعْدَكَ نَكْبَةً الرَّدَى أَيُّ
بَنِيٍّ لَقَدْ أَسْفَرَ لِي عَنْ وَجْهِ الدُّنْيَا صَبَاحَ دَاجٍ ظَلَامُهُ أَيُّ

رَبِّ وَمِنْكَ الْعَدْلُ وَمِنْ خُلُقِكَ الْجُودُ وَهَبْتَهُ لِي قُرَّةَ عَيْنٍ
 فَلَمْ تُبَتِّعْنِي بِهِ كَثِيرًا بَلْ سَلَبْتَنِيهِ وَشَيْكًا ثُمَّ أَمَرْتَنِي بِالصَّبْرِ
 وَوَعَدْتَنِي عَلَيْهِ الْأَجْرَ فَصَدَّقْتُ وَعَدَكَ وَرَضَيْتُ قَضَاءَكَ
 اللَّهُمَّ أَرْحَمْ غُرْبَتَهُ وَأَنْسِ وَحْشَتَهُ وَأَسْرِ عَوْرَتَهُ يَوْمَ
 تَنْكَسِفُ الْهَنَاتُ وَالسَّوَاتُ أَيُّ بَنِي إِبْنِي قَدْ تَزَوَّدْتُ
 لِسَفَرِي فَلَيْتَ شِعْرِي مَا زَادَكَ لِبُعْدِ طَرِيقِكَ وَيَوْمَ
 مَعَادِكَ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ لَهُ الرِّضَى بِرِضَايَ عَنْهُ أَيُّ
 بَنِي أَسْتَوْدِعُكَ مَنْ أَسْتَوْدِعُكَ فِي أَحْسَائِي جَنِينًا
 وَتُكَلِّمُ الْوَالِدَاتِ مَا أَمْضَى حَرَارَةَ قُلُوبِهِنَّ وَأَفْلَقَ
 مَضَاجِعِهِنَّ وَأَطْوَلَ لَيَالِهِنَّ وَأَقْصَرَ نَهَارِهِنَّ وَأَقْلَّ أَنْسِهِنَّ
 وَأَشَدَّ وَحْشَتِهِنَّ وَأَبْعَدَهُنَّ مِنَ السُّرُورِ وَأَقْرَبَهُنَّ مِنَ
 الْأَحْزَانِ

وقالت امرأة الاحنف بن قيس

لِلَّهِ دَرْكٌ مِنْ مَجْنٍ فِي جُنِّ وَمُدْرَجٌ فِي كَفْنٍ نَسَّالُ
 الَّذِي فَجَعْنَا بِمَوْتِكَ وَأَهْلَانَا بِفَقْدِكَ أَنْ يَجْعَلَ سَبِيلَ
 الْخَيْرِ سَبِيلَكَ وَدَلِيلَ الرُّشْدِ دَلِيلَكَ وَأَنْ يُوسِّعَ لَكَ فِي
 قَبْرِكَ وَيَغْفِرَ لَكَ يَوْمَ حَشْرِكَ فَوَاللَّهِ لَأَقْدُ كُنْتُ فِي

الْحَافِلِ شَرِيفًا وَعَلَى الْأَرَامِلِ عَطُوفًا وَلَقَدْ كُنْتَ فِي الْحَيِّ
 مُسَوِّدًا وَإِلَى الْخَلِيفَةِ مُوفِدًا وَلَقَدْ كَانُوا لِقَوْلِكَ مُسْتَعِيبِينَ
 وَلِرَأْيِكَ مُتَّبِعِينَ لَقَدْ عِشْتَ حَبِيدًا مَوْدُودًا وَمُتَّ سَعِيدًا
 مَفْقُودًا

وقال حيان بن سلى على قبر عامر بن الطفيل

إِنَّمَا ظَلَمَّا يَا أَبَا عَلِيٍّ فَقَدْ كُنْتَ تَشْنُ الْغَارَةَ وَتَحْيِي
 الْجَارَةَ سَرِيعًا بِوَعْدِكَ بَطِيئًا بِوَعِيدِكَ وَكُنْتَ لَا تَضِلُّ
 حَتَّى يَضِلَّ النُّجْمُ وَلَا تَهَابُ حَتَّى يَهَابَ اللَّيْثُ وَلَا تَعْطَشُ
 حَتَّى يَعْطَشَ الْبَعِيرُ وَكُنْتَ خَيْرَ النَّاسِ حِينَ لَا تَطُنُّ نَفْسُ
 بِنَفْسٍ خَيْرًا

خَاتَمَةٌ

في الوصف

فَقَرَّ جَارِيَةٌ عَلَى السِّنَةِ الْبُلْغَاءِ فِي صِفَاتِ شَتَّى

في وصف البلدان

بَلَدَةٌ كَأَنَّهَا صُورَةُ جَنَّةٍ أُلْخِلَتْ مَنَقُوشَةً فِي عُرْضِ الْأَرْضِ *
 بَلَدَةٌ كَأَنَّ مَحَاسِنَ الدُّنْيَا مَجْمُوعَةً فِيهَا وَمَحْصُورَةٌ فِي نَوَاحِيهَا *
 بَلَدَةٌ تَرَاهُهَا عَنَبٌ وَحَصْبًا وَهَآءِثِقٌ وَهَآءِثِقٌ وَهَآءِثِقٌ وَهَآءِثِقٌ *
 رَحِيقٌ * بَلَدَةٌ مَعْشُوقَةٌ أَلْسَكُنَى رَحْبَةُ الْمَثْوَى كَوَكْبِهَا
 يَقْظَانُ وَجُوهَهَا عُرْيَانٌ يَوْمَهَا غَدَاةٌ وَلَيْلَهَا سَحَرٌ * بَلَدَةٌ
 وَاسِعَةُ الرُّقْعَةِ طَيِّبَةُ الْبُغْعَةِ وَاسِطَةُ الْبِلَادِ وَسْرَتَهَا وَوَجْهَهَا
 وَغَرَّتَهَا

في وصف الفلاع

قَلْعَةٌ حَلَقَتْ بِالنَّجْوِ تَنَاجِي السَّمَاءَ بِأَسْرَارِهَا * قَلْعَةٌ
 تَنُوشِحُ بِالْغُيُومِ وَتَجْبَلِي النُّجُومَ * قَلْعَةٌ مَتْنَاهِيَّةٌ فِي الْحَصَانَةِ
 مُمْتَنِعَةٌ عَنِ الطَّلَبِ وَالطَّالِبِ مَنْصُوبَةٌ عَلَى أَضْبِقِ
 الْمَسَالِكِ وَأَوْعَرِ الْمَنَاصِبِ لَمْ تَزِدْهَا إِلَّا يَامُ إِلَّا نَبُو

أَعْطَافٍ وَأَسْتِصْعَابَ جَوَانِبَ وَأَطْرَافٍ قَدْ مَلَّ الْمُلُوكُ
حِصَارَهَا فَفَارَقُوهَا عَنْ طِمَاحٍ مِنْهَا وَشِمَاسٍ وَسَمِيتِ
الْحَيُوشُ ظِلِّهَا فَغَادَرَتْهَا بَعْدَ قُنُوطٍ وَيَاسٍ فَمَيَّ حَتَّى لَا
يَرَاعَ وَمَعْنَلٍ لَا يُسْتَطَاعُ كَأَنَّ الْأَيَّامَ صَاحَتْهَا عَلَى الْإِعْغَاءِ
مِنَ الْخَوَادِثِ وَالْبَيَاسِ عَاهَدَتْهَا عَلَى التَّسْلِيمِ مِنَ الْقَوَارِعِ

في وصف الدور

دَارُ قَرَارٍ تُوسِعُ الْعَيْنَ قُرَّةً وَالنَّفْسَ مَسْرَةً كَأَنَّ
بَانِيَهَا أَسْتَسْلَفَ الْجَنَّةَ فَعَجَّلَتْ لَهُ * دَارٌ نَحْجَلُ مِنْهَا الدُّورُ
وَتَنْقَاصُ عَنْهَا الْقُصُورُ إِنْ مَاتَ صَاحِبُهَا مَغْفُورًا لَهُ فَقَدْ
أَنْتَقَلَ مِنْ جَنَّةٍ إِلَى جَنَّةٍ * دَارٌ قَدْ أَقْتَرَنَ الْيَمَنُ بِمِنَاهَا
وَالْيُسْرُ بِسِرَاهَا الْحُجُومُ مِنْهَا فِي حَضَرٍ وَالْعِيُونُ عَلَى
سَفَرٍ * دَارٌ دَارٌ بِالسَّعْدِ نَجْمُهَا وَفَازَ بِالْحُسْنِ سَهْمُهَا
بِخْدُمِهَا الدَّهْرُ وَيَأْوِيهَا الْبَدْرُ وَيَكْنُفُهَا النَّصْرُ هِيَ مَرْتَعُ
النَّوَاطِرِ وَمَتْنَفَسُ الْخَوَاطِرِ أَخَذَتْ أَدْوَانَ الْجِنَانِ
وَضَحِكَتْ مِنَ الْعَبَرِيِّ الْحِسَانِ

في وصف الدبار الخالية

دَارٌ كَيْسَتْ إِلَيْهَا وَتَعَطَّلَتْ مِنَ الْحَلِيِّ صَارَتْ مِنْ

أَهْلَهَا خَالِيَةً بَعْدَ مَا كَانَتْ بِهِمْ خَالِيَةً قَدْ أَنْفَدَ الْبَيْزُ سُكَّانَهَا
وَأَقْعَدَ حَيْطَانَهَا * دَارَهُ شَاهِدُ الْيَأْسِ مِنْهَا يَنْطِقُ وَحَبْلُ
الرَّجَاءِ فِيهَا يَقْصُرُ كَأَنَّ عُمْرَانَهَا يُطْوَى وَخَرَابُهَا يُنْشَرُ
أَرْكَانَهَا فَيَأْتِ وَيَقْعُدُ وَحَيْطَانُهَا رُكْعٌ وَسُجُودٌ

بَكَتْ دَارُهُمْ مِنْ بَعْدِهِمْ فَتَهَلَّلَتْ
دُمُوعِي فَأَيَّ الْفَجَائِعِ عَيْنِ الْيَوْمِ
أَمْسَتَعْبِرًا بِيَكِّي عَلَى اللَّهِ وَاللَّيْلِ
أَمْ الْآخِرَ بِيَكِّي شَجْوَهُ فِيهِمْ

في وصف ايام الربيع

يَوْمٌ جَلَالِيْبُ غَيُومِهِ رِوَاقٌ وَأَرْضِيَّةُ نَسِيمِهِ رِقَاقٌ *
يَوْمٌ سَمَاءُ وَهْ فَاخِيَّةٌ وَأَرْضُهُ طَاوُوسِيَّةٌ * يَوْمٌ مَهْسَكُ السَّمَاءِ
مَعْصَرُ الْهَوَاءِ مُعْبَرُ الرُّوضِ مُصْنَدِلُ الْمَاءِ * يَوْمٌ
تَبَسَّمَ عَنْهُ الرَّبِيعُ وَتَبَرَّجَ عَنْهُ الرُّوضُ الْهَرِيعُ * يَوْمٌ كَانَ
سَمَاءُهُ مُخِذٌ تَبَاكِي وَأَرْضُهُ عُرُوسٌ تَنْجَلِي * يَوْمٌ دَجَنُ
عَاكِفٍ وَقَطْرُهُ وَآكِفٌ

في وصف الرياض

رَوْضَةٌ رَقَّتْ حَوَاشِيهَا وَتَأَنَّقَتْ وَاشِيهَا * رَوْضَةٌ كَالْعُقُودِ

الْمُنْظَمَةُ عَلَى الْبُرُودِ الْمُسَمَّيَةِ * رَوْضَةٌ قَدْ رَاضَتْهَا كَفَتْ
 الْمَطَرِ وَدَجَّجَتْهَا أَيْدِي النَّدَى * رِيَاضٌ كَالْعَرَائِسِ فِي
 حَلِيِّهَا وَزَخَارِفِهَا وَالْقِيَانِ فِي وَشِيِّهَا وَمَطَارِفِهَا بِاسِطَةٌ
 زَرَابِيهَا وَأَنْهَاطُهَا نَاشِرَةٌ بُرُودَهَا وَرِيَاظُهَا زَاهِيَةٌ
 بَحْمَرَاتُهَا وَصَفَرَاتُهَا تَائِمَةٌ بِعِيدَانِهَا وَغُذْرَانِهَا كَأَنَّهَا
 أَحْفَلَتْ لَوْفِدٍ أَوْ هِيَ مِنْ حَبِيبٍ عَلَى وَعْدٍ * رَوْضَةٌ قَدْ
 تَصَوَّعَتْ بِالْأَرْجِ الطَّيِّبِ أَرْجَاؤُهَا وَتَبَرَّجَتْ فِي ظِلِّ
 الْغَمَامِ صَحْرَاؤُهَا وَتَنَافَحَتْ بِنَوَاحِ الْمِسْكِ أَنْوَارُهَا
 وَتَعَارَضَتْ بِغَرَائِبِ النُّطْقِ أَطْيَارُهَا * بُسْتَانٌ أَنْهَارُهُ
 مُحْفُوفَةٌ بِالْأَزْهَارِ وَأَشْجَارُهُ مُوقِرَةٌ بِالْثَمَارِ * أَشْجَارُهَا كَأَنَّ
 الْحُورَ أَعَارَتْهَا قُدُودَهَا وَكَسَتْهَا بُرُودَهَا وَحَلَّتْهَا عُقُودَهَا *
 شَقَائِقُ كَتِيجَانِ الْعَقِيقِ عَلَى رُؤُوسِ الزُّنُوجِ كَأَنَّهَا أَصْدَاغُ
 الْمِسْكِ عَلَى الْوَجَنَاتِ الْمُرْدَّةِ * كَأَنَّ الشَّقِيقَ جَامٌ مِنْ
 عَقِيقٍ أَحْمَرٍ مُلِئَتْ قَرَارَتُهُ بِمِسْكِ أَذْفَرِ * الْأَرْضُ
 زُمُرْدَةٌ وَالْأَشْجَارُ وَشْيٌ وَالْمَاءُ سَيْفٌ وَالطُّيُورُ قِيَانٌ *
 قَدْ غَرَّدَتْ خُطَبَاءُ الْأَطْيَارِ عَلَى مَنَابِرِ الْأَنْوَارِ وَالْأَزْهَارِ

في وصف طول الليل والسهر وما يعرض فيه من الهموم والفكر
 لَيْلَةٌ قُصَّ جَنَاحُهَا وَضَلَّ صَبَاحُهَا * لَيَالٍ لَيْسَتْ
 لَهَا أَسْحَارٌ وَظُلُمَاتٌ لَا يَخْلُلُهَا أَنْوَارٌ * لَيْلٌ ثَابِتٌ
 الْأَطْنَابِ بَطِيءُ الْغَوَارِبِ طَاحُجُ الْأَمْوَاجِ وَإِنِّي الدَّوَائِبِ *
 بَاتَ بِلَيْلَةٍ سَاوَرَتْهُ فِيهَا الْهُومُ وَسَامَرَتْهُ النُّجُومُ وَانْتَحَلَ
 السَّهَادُ وَافْتَرَشَ الْقَتَادُ * اِكْتَحَلَ بِمَاءِ السَّهْرِ وَتَمَلَّلَ عَلَى
 فِرَاشِ الْفِكْرِ * قَدْ أَقْضَى مَهَادُهُ وَقَلَقَ وَسَلَّادُهُ * هُوْمٌ
 تَفَرَّقَ بَيْنَ الْمُحْجَبِ وَالْمِهَادِ وَتَجَمَّعَ بَيْنَ الْعَيْنِ وَالسَّهَادِ

في وصف انتصاف الليل وتناهيه وانتشار النور وافول النجوم
 قَدْ اِكْتَهَلَ الظَّلَامُ * قَدْ نَصَفْنَا عُمْرَ اللَّيْلِ وَاسْتَغْرَقْنَا
 شَبَابَهُ * قَدْ شَابَ رَأْسُ اللَّيْلِ * كَادَ يَنْبِثُ النَّسِيمُ بِالسَّحْرِ *
 قَدْ اِنْكَشَفَ غَطَاءُ اللَّيْلِ وَسِئْرُ الدُّجَى * هَرَمَ اللَّيْلُ وَشَبِطَتْ
 ذَوَائِبُهُ * قُوِضَتْ خِيَامُ اللَّيْلِ وَخَلَعَ الْأَفُقُ ثَوْبَ الدُّجَى *
 تَبَسَّمَ الْفَجْرُ ضَاحِكًا مِنْ شَرْقِهِ وَنَصَبَ أَعْلَامَهُ عَلَى مَنَازِلِ
 أَفْقِهِ * اِفْتَنَصَ بَازِي الضُّوءِ غُرَابُ الظَّلَامِ وَفَضَّ كَافُورُ
 النُّورِ مِنَ الْغَسَقِ مِسْكَ الْخِتَامِ * طُرِزَ قَبِصُ اللَّيْلِ بِغُرَّةِ
 الصُّبْحِ * بَاحَ الصُّبْحُ بِسِرِّهِ * خَلَعَ اللَّيْلُ ثِيَابَهُ وَحَدَرَ الصُّبْحُ

نِقَابُهُ * بَثَّ الصُّبْحُ طَلَائِعُهُ * تَبَرَّقَعَ اللَّيْلُ بِغُرَّةِ الصُّبْحِ *
 أَطَارَ مُنَادِي الصُّبْحِ غُرَابَ اللَّيْلِ * عَزَلَتْ نَوَاحِجُ اللَّيْلِ
 بِجَمَامَاتِ الْكَافُورِ وَأَنْهَزَمَ جَيْشُ الظَّلَامِ عَنْ عَسْكَرِ النُّورِ *
 مَالَتْ الْجُوزَاءُ لِلْغُرُوبِ وَوَلَّتْ مَوَاكِبُ الْكَوَاكِبِ وَتَنَاقَرَتْ
 عَقُودُ النُّجُومِ * وَهِيَ نِطَاقُ الْجُوزَاءِ وَأَنْطَفَأَ قِنْدِيلُ الثُّرَيَّا

في وصف طلوع الشمس وغروبها ومتنوع النهار وانتصافه
 وابدأته وانتهائه

بَدَأَ حَاجِبُ الشَّمْسِ * أَلْقَتْ الْغَزَالَةُ لُعَابَهَا وَضَرَبَتْ
 الضُّحَى أَطْنَابَهَا * اِنْتَشَرَ جَنَاحُ الضُّوْءِ فِي أَفْقِ النُّجُومِ *
 اِسْتَوَى شَبَابُ النَّهَارِ * عَلَارَوْتُ الضُّحَى * بَلَغَتْ الشَّمْسُ
 كِبَادَ السَّمَاءِ * فَامَ قَائِمُ الْهَاجِرَةِ وَرَمَتْ الشَّمْسُ بِجَهْرَاتِ
 الظُّهْرِ * اِصْفَرَّتْ غِلَالَةُ الشَّمْسِ وَصَارَتْ كَأَنَّهَا الدِّينَارُ
 يَلْمَعُ فِي فَرَارِ الْهَاءِ * نَفَضَتْ تَبْرًا عَلَى الْأَصِيلِ وَشَدَّتْ
 رَحْلَهَا لِلرَّحِيلِ * جَنَحَتِ الشَّمْسُ إِلَى مَغَارِبِهَا * دَلَّكَتْ
 دُلُوحُهَا وَأَغْبَرَتْ لُوحَ اللُّوحِ * تَصَوَّبَتْ الشَّمْسُ لِلْمَغِيبِ *
 تَضَيَّفَتْ لِلْغُرُوبِ فَادَّنَ جَنْبَهَا بِالْوُجُوبِ * شَابَ النَّهَارُ
 وَأَقْبَلَ شَبَابُ اللَّيْلِ * اِسْتَرَّتْ وَجْهَ الشَّمْسِ بِالنِّقَابِ

وَتَوَارَتْ بِأُحْجَابِ * كَانَ هَذَا الْأَمْرُ مِنْ مَطْلَعِ الْفَلَاقِ
إِلَى مُجْمَعِ الْغَسَقِ

في وصف الرعد والبرق

قَامَ خَطِيبُ الرَّعْدِ * نَبَضَ عِرْقُ الْبَرْقِ * سَحَابَةٌ أَرْتَجَزَتْ
رُعُودَهَا وَذُهِبَتْ بِبُرُوقِهَا بُرُودَهَا * نَطَقَ لِسَانُ الرَّعْدِ
وَحَفَقَ قَلْبُ الْبَرْقِ فَالْرَّعْدُ ذُو صَخَبٍ وَالْبَرْقُ ذُو لَهَبٍ *
إِبْتَسَمَ الْبَرْقُ عَزَّ فَمَهَقَهُ الرَّعْدُ * زَارَتْ أَسْوَدُ الرَّعْدِ *
وَلَمَعَتْ سُيُوفُ الْبَرْقِ * رَعَدَتِ الْغَمَامُ وَبَرَقَتْ وَأَنْحَلَتْ
عُرَى السَّمَاءِ فَطَبَّقَتْ * هَدَرَتْ رَوَاعِدُهَا وَقُرِبَتْ أَبَاعِدُهَا
وَصَدَقَتْ مَوَاعِدُهَا

في وصف مقدمات المطر

لَيْسَتْ السَّمَاءُ سِرِّبَالَهَا وَسَحَبَتِ السَّحَابُ أَذْيَالَهَا *
قَدْ أَحْجَيْتِ السَّمَاءَ فِي سُرَادِقِ الْغَيْمِ * لَيْسَ الْجَوُّ مُطْرِفَهُ
الْأَدْكَنَ * بَاحَتِ الرِّيحُ بِأَسْرَارِ النَّدى * ضُرِبَتْ خِيَمَةُ
الْغَمَامِ * إِنْبَلَّ جَنَاحُ الْهَوَاءِ وَأَغْرُورِقَتْ مَقَلَّةُ السَّمَاءِ *
هَبَّتْ شِهَائِلُ الْأَنْجَائِبِ لِتَأْلِيفِ شَهْلِ السَّحَابِ * نَالَتِ
أَشْنَاتُ الْغُيُومِ وَأُسْبِلَتْ السُّنُورُ عَلَى النُّجُومِ

في وصف الثلج والبرد وإهام الشتاء

مَدَّ الشِّتَاءُ رِوَاقَهُ وَالْقَى أَرْوَاقَهُ وَحَلَّ نِطَاقَهُ * أَنَاخَ
بِنَوَازِلِهِ وَأَرْسَى بِكَلَاكِلِهِ وَكَلَّمَ بِوَجْهِهِ وَكَشَرَ عَنْ أَنْيَابِهِ *
قَدْ عَادَتْ أَجْبَالُ شَيْبَا وَلَيْسَتْ مِنَ الثَّلُوجِ مُلَاءَ قَشِيبَا *
شَابَتْ مَفَارِقُ الْبُرُوجِ يَتَرَاكُمُ الثَّلُوجِ * أَلَمَّ الشَّيْبُ بِهَا
وَأَبْيَضَتْ لِمَمَهَا * بَرْدٌ يَقْضِضُ الْأَعْضَاءَ وَيَنْقُضُ الْأَحْشَاءَ *
بَرْدٌ يَجْمِدُ الرِّيقَ فِي الْأَشْدَاقِ وَالْدَّمَعَ فِي الْأَمَاقِ * يَوْمٌ
كَأَنَّ الْأَرْضَ شَابَتْ لِهَوْلِهِ * يَوْمٌ فَضِيَ الْجِلْبَابُ مِسْكِي
النِّقَابِ عُبُوسٌ قَمْطَرِيرٌ كَشَرَ عَنْ نَابِ الزَّمْهَرِيرِ وَفَرَشَ
الْأَرْضَ بِالْقَوَارِيرِ * يَوْمٌ أَرْضُهُ كَالْقَوَارِيرِ اللَّامِعَةِ وَهَوَاؤُهُ
كَالزَّيَابِيرِ اللَّاسِعَةِ

في وصف المطر والماء والسحاب والغدران

مَا إِذَا مَسَّتْهُ أَيْدِي النَّسِيمِ حَكَ سَلَاسِلَ الْفِضَّةِ *
غَدِيرٌ تَرَفَّرَتْ فِيهِ دُمُوعُ السَّحَابِ وَتَوَاتَرَتْ عَلَيْهِ أَنْفَاسُ
الرِّيَّاحِ الْغَرَائِبِ * اِنْخَلَّ عَقْدُ السَّمَاءِ وَأَنْهَلَ دَمْعُ الْأَنْوَاءِ *
اِنْخَلَّ سِلْكُ الْقَطْرِ عَنْ دُرِّ الْبَحْرِ * سَحَابَةٌ تَحْدُو مِنَ الْغُيُومِ
جِبَالًا وَتَهْدُ مِنَ الْأَمْطَارِ حِبَالًا * سَحَابَةٌ تُرْسِلُ الْأَمْطَارَ

أَمْوَاجًا وَالْأَمْوَاجُ أَفْوَاجًا * سَحَابَةٌ تَضْحَكُ مِنْ بَكَائِهَا الرُّوضُ
وَتَخْضَرُ مِنْ سَوَادِهَا الْأَرْضُ * سَحَابَةٌ لَا تَحْفُتُ جُفُونَهَا وَلَا
يَحْفُتُ أُنْيُنُهَا * دِيمَةٌ رَوَتْ أَدِيمَ النَّوَى وَنَبَّهَتْ عَيْنَ النَّوْرِ
مِنَ الْكَرَى * سَحَابَةٌ رَكِبَتْ أَعْنَاقَ الرِّيَّاحِ وَسَحَّتْ كَأَفْوَاهِ
الْجِرَاحِ * مَطَرٌ كَأَفْوَاهِ الْقَرْبِ

في وصف الفيض وشدة الحر

حَرٌّ يُشْبِهُ قَلْبَ الصَّبِّ وَيُذِيبُ دِمَاعَ الصَّبِّ * قَوِي
سُلْطَانُ الْحَرِّ وَبُسْطُ بَسَاطِ الْجَهْرِ * أَوْقَدَتْ الشَّمْسُ
نَارَهَا وَأَذْكَتْ أَوَارَهَا * حَرٌّ يَلْفُحُ حُرَّ الْوَجْهِ * هَاجِرَةٌ
كَأَنَّهَا مِنْ قُلُوبِ الْعُشَّاقِ إِذَا أَشْتَعَلَتْ فِيهَا نَارُ الْفِرَاقِ *
هَاجِرَةٌ تَحْكِي نَارَ النَّجْرِ وَتُذِيبُ قَلْبَ الصَّخْرِ * حَرٌّ يَهْرَبُ
لَهُ النَّجْرُ بَاءً مِنَ الشَّمْسِ * قَدْ صَهَرَتْ الْهَاجِرَةُ الْأَبْدَانُ
وَرَكِبَتْ الْجَنَادِبُ الْعِيدَانَ * حَرٌّ يُنْضِجُ الْجُلُودَ وَيُذِيبُ
الْجُلُودَ * أَيَّامٌ كَأَيَّامِ الْفُرْقَةِ أَمْدَادًا وَحَرٌّ كَحَرِّ الْوَجْدِ
أَشْدَادًا * هَاجِرَةٌ كَالسَّعِيرِ الْهَاجِمِ يَجْرُ أَذْيَالُ السَّمَاعِمِ

في وصف الشيب

ذَوِي غُصْنٍ شَبَابِهِ * بَدَتْ فِي رَأْسِهِ طَلَائِعُ الْمَشِيبِ *

أَقْمَرُ لَيْلٍ شَبَابِهِ * ظَهَرَتْ غُرَّةُ الْقَهْرِ وَأَوْمَضَ الْبَرَقُ فِي
 لَيْلِ الشَّعْرِ * رُمِيَ فَاحِمُ الْفُودِ بِضِدِّهِ وَاشْتَعَلَ الْمُبِیضُ
 فِي مُسَوْدِهِ * لَمَعَ ضَوْؤُهُ فَرَعِهِ وَتَفَرَّقَ شَمْلُ جَمْعِهِ * عَلَاهُ
 غُبَارُ وَقَائِعِ الدَّهْرِ * بَيْنَاهُمَا رَاقِدٌ فِي لَيْلِ الشَّبَابِ أَيْظُهُ
 صَبْحُ الْمَشِيبِ * طَوَى مَرَا حِلَ الشَّبَابِ وَأَنْفَقَ عَهْرَهُ بِغَيْرِ
 حِسَابٍ * جَاوَزَ مِنَ الشَّبَابِ مَرَا حِلَ وَوَرَدَ مِنَ الشَّيْبِ
 مَنَاهِلَ * فَلَّ الدَّهْرُ شَبَابِيهِ وَمَحَا مَحَاسِنَ رُؤَايِهِ * طَارَ
 غُرَابُ شَبَابِهِ * إِنَّتَهَى شَبَابُهُ وَشَابَ أَتْرَابُهُ * اسْتَبَدَلَ
 بِالْأَذْهَمِ الْأَبْلَقَ وَبِالْغُرَابِ الْعَقَقَ * اسْتَعَاذَ مِنَ
 الْغُرَابِ بِقَادِمَةِ النَّسْرِ * أُسْفَرَ صَبْحُ الْمَشِيبِ * عَلَتْهُ أَبْهَةٌ
 الْكِبَرِ * نَفَضَ جَبَّةَ الصَّبِيِّ وَتَوَلَّى دَاعِيَةَ الْحُجِيِّ * الشَّيْبُ
 زُبْدَةٌ مَخْضَتَهَا الْأَيَّامُ وَفِضَةٌ مَحْضَتُهَا التَّجَارِبُ * سَرَى فِي
 طَرِيقِ الرُّشْدِ بِصَبَاحِ الشَّيْبِ * الشَّيْبُ خِطَامُ الْمَنِيَّةِ *
 الشَّيْبُ نَذِيرُ الْآخِرَةِ

في وصف آلات الكتابة

الدَّوَاهُ مِنْ أَنْفَعِ الْأَدَوَاتِ وَهِيَ لِلْكِتَابَةِ عُنَادٌ وَلِلْخَاطِرِ
 زِنَادٌ * غَدِيرٌ لَا يَرُدُّهُ غَيْرُ الْأَفْهَامِ وَلَا يُعْمَقُ بِغَيْرِ أَرْشِيَةِ

أَفْلَامٌ * غَدِيرٌ تَفِيضٌ يَبَيعُ الْحِكْمَةَ مِنْ أَفْطَارِهِ وَتَنْشَأُ
 سَحْبُ الْبَلَاغَةِ مِنْ قَرَارِهِ * مِدَادٌ كَسَوَادِ الْعَيْنِ وَسُوَيْدَاءُ
 الْقَلْبِ وَجَنَاحُ الْغُرَابِ وَلُعَابُ اللَّيْلِ وَالْوَانِ دُهُمُ الْخَيْلِ *
 مِدَادٌ نَاسَبٌ خَافِيَةُ الْغُرَابِ وَأُسْتَعَارٌ لَوْنُهُ مِنْ شَرْخِ
 الشَّابَابِ * أَفْلَامٌ جَمَّةٌ أَلْعَاسِيْنَ بَعِيدَةٌ مِنَ الْمَطَاعِينَ *
 أَنَايِبٌ نَاسَبَتْ رِمَاحَ الْخَطِّ فِي أَجْنَاسِهَا وَشَاكَتِ الذَّهَبَ
 فِي الْوَانِيَا وَضَاهَتْ أَلْحَدِيدَ فِي لَمَعَانِيَا * أَفْلَامٌ كَانَهَا
 الْأَمْيَالُ أَسْنَوَاءُ وَالْأَجَالُ مَضَاءُ بَطِيئَةٌ أَلْحَفَى قُوَّةُ الْقُوَى *
 قَلَمٌ لَا يَنْبُو إِذَا نَبَتِ الصِّفَاحُ وَلَا يُجْجِمُ إِذَا أَجْجَمَتِ
 الرِّمَاحُ * قَلَمٌ يَسْكُتُ وَاقِفًا وَيَنْطِقُ سَاكِتًا

في وصف الخطباء

جَلُّوا بِكَلَامِهِمِ الْأَبْصَارَ الْعَلِيَّةَ وَشَحَذُوا بِهَوَا عَظِيمِ
 الْأَذْهَانَ الْكَلِيلَةَ وَنَبَّهُوا الْقُلُوبَ مِنْ رَقْدَتِهَا وَتَقَلُّوْهَا عَنْ
 سُوءِ عَادَتِهَا فَشَفَوْا مِنْ دَاءِ الْقَسْوَةِ وَغَبَاوَةِ الْغَفْلَةِ وَدَاوُوا
 مِنَ الْعِيِّ الْفَاضِحِ وَنَهَجُوا لَنَا الطَّرِيقَ الْوَاضِحَ * خَطِيبٌ لَا
 تَنَالُهُ حَبْسَةٌ وَلَا تَرْتَمِيهِ لُكْنَةٌ وَلَا تَنْشَى فِي خِطَابِهِ رُتَّةٌ وَلَا
 تَخْفِيفُ بَيَانِهِ عَجْمَةٌ وَلَا تَعْتَرِضُ لِسَانَهُ عُقْدَةٌ * خَطِيبٌ

جَوَاهِرُ نَفْسَانِهِ صِحَاحٌ وَعَرَائِسُ أَفْكَارِهِ صِبَاحٌ * خَطِيبٌ
تَزَيَّنَتْ بِدُرَرِ الْفَاطِمَةِ عَقُودُ الْمَلْحِ * لَا عَيْبَ فِيهِ إِلَّا أَنْ
لَفْظُهُ عَطَلَ الْبَاقُونَ وَالْدَّرُّ * خَطِيبٌ مِصْنَعٌ يَنْثُرُ لِسَانُهُ
الْلُّوْلُوهَ الْمَكْنُونِ * هُوَ الْخَطِيبُ الْمِصْنَعُ الَّذِي أَشْخَصَ
بِآيَاتِ خُطْبِهِ الزَّاجِرَةَ عَيْنَ الْقَوْمِ وَأَبْكَاهَا * هُوَ الْخَطِيبُ
الْمِصْنَعُ الَّذِي تَلَاعَبَ بِالْعُقُولِ مَعَانِيهِ وَيُصَاغُ الدُّرُّ مِنْ
لَفْظٍ فِيهِ * هُوَ الْخَطِيبُ الَّذِي تَهْتَزُّ لَهُ الْمَنَابِرُ وَتَتَقَادُ إِلَيْهِ
كَلِمَاتُ السِّحْرِ مُتَسَابِقَةً آخِذَا بَعْضُهَا بِرِقَابِ بَعْضٍ

في وصف العلماء

بَدُرُ الْعُلُومِ اللَّائِحُ وَقَطْرُهَا الْغَادِي وَالرَّائِحُ وَتَبِيرُهَا
الَّذِي لَا يُزْحَمُ وَمُنِيرُهَا الَّذِي يُنْجِلِي بِهِ لَيْلَهَا الْأَسْحَمُ * أَمَّا
فَنُونَ الْأَدَبِ فَهُوَ ابْنُ بَجْدَتِهَا وَأَخُو جَمَلَتِهَا وَأَبُو عُدْرَتِهَا
وَمَالِكُ أَرْمَتِهَا * تُسْتَخْرِجُ الْجَوَاهِرُ مِنْ بَحْوَرِهِ وَتُحْلِي لَبَاتُ
الطُّرُوسِ بِقَلَائِدِ سَطُورِهِ * تَأْكِيفُهُ غُرَرُ مُنِيرَاتِ أَضَاءَتِ
فِي وَجْهِهِ دَهْمُ الْمُسْكِلَاتِ * عَالِمٌ أَقْلَامُهُ نَفَثَاتُ السِّحْرِ *
تَأْكِيفُهُ عَقَائِلُ أَصْحَ الدَّهْرِ مِنْ خُطَابِيهَا * لَهُ بَدَائِعُ مَائِسَاتِ
الْأَعْطَافِ * بَحْرُ الْبَيَانِ الزَّاخِرُ * شَيْخُ الْمَعَارِفِ وَإِمَامُهَا

وَمَنْ فِي يَدَيْهِ زِمَامُهَا لَدَيْهِ تُشَدُّ ضَوَالُ الْأَعْرَابِ وَتُوجَدُ
 شَوَارِدُ اللَّغَةِ وَالْأَعْرَابِ * مَا لِكَ أَعِنَّةِ الْعُلُومِ وَنَاهِجُ
 طَرِيقِهَا وَالْعَارِفُ بِتَرْصِيعِهَا وَتَنْبِيهِهَا النَّظِيمُ لِعُقُودِهَا
 الْأَرَامِ لِبُرُودِهَا الْحَيِّدُ لِزَهَانِهَا الْعَالِمُ بِجِلَالِهَا وَزِفَافِهَا *
 مَلِكُ رِقِّ الْكِتَابَةِ وَالْإِنْشَاءِ وَتَصَرَّفَ فِي فُنُونِ الْإِبْدَاعِ
 كَيْفَ شَاءَ * عَالِمٌ يَنْفَجِرُ الْعِلْمُ مِنْ جَوَانِبِهِ وَتَنْطِقُ الْحِكْمَةُ
 مِنْ نَوَاحِيهِ * صَاحِبُ الْمُصَنَّفَاتِ الَّتِي دَلَّتْ عَلَى وَفَرَةٍ
 أَطْلَاعِهِ وَغَزَارَةِ مَادَّتِهِ وَحُسْنِ بَيَانِهِ * لَمْ يَتْرِكْ مَعْنًى مُغْلَقًا
 إِلَّا فَتَحَ صِيَاصِيهِ وَلَا مُشْكِلًا إِلَّا أَوْضَحَ مَبَانِيهِ

في وصف البلغاء

فُلَانٌ بِحُوكِ الْكَلَامِ عَلَى حَسَبِ الْأَمَانِي وَبَحْثِ
 الْأَلْفَاظِ عَلَى قُدُودِ الْمَعَانِي * يَجْنِي مِنَ الْأَلْفَاظِ أَنْوَارَهَا
 وَمِنَ الْمَعَانِي نِهَاةَهَا * يَغْبِثُ بِالْكَلَامِ وَيُقُودُهُ بِاللِّينِ
 زِمَامٌ حَتَّى كَانَ الْأَلْفَاظُ تَحْمَسُ فِي التَّسَابُحِ إِلَى خَوَاطِرِهِ
 وَالْمَعَانِي تَغَايِرُ فِي الْأَثْبَالِ عَلَى أَنْامِلِهِ * بَلِيغٌ نَسَقَ مِنْ
 جَوَاهِرِ كَلَامِهِ أَكَالِيلَ دُرٍّ مَا لَمْ يَنْظُومِهَا سِلْكٌ * بَلِيغٌ نَفَكَ
 سِهَامَ أَفْكَارِهِ الزَّرْدَ * نَازِمٌ سِلْكِ الْبَلَاغَةِ وَقَائِدِ زِمَامِ

الْبَرَاةَ * إِذَا أَوْجَزَ أُعْجَزَ وَإِذَا شَاءَ أَطَالَ وَأَطْلَقَ مِنْ
 الْبَلَاغَةِ الْعِقَالَ * إِذَا أَذْكَى سِرَاجَ الْفِكْرِ أَضَاءَ ظِلَامَ
 الْأَمْرِ * يَسْتَنْبِطُ حَقَائِقَ الْقُلُوبِ وَيَسْتَخْرِجُ وَدَائِعَ الْغُيُوبِ
 فِي وَصْفِ الشُّعْرَاءِ وَالْمُنَشِّئِينَ وَمَحَاسِنِ النِّظَمِ وَالنَّثْرِ

مَقْدِفُ حَصَى الْقَرِيضِ وَجَارِهِ وَمَطْلَعُ شُهُوسِهِ وَأَقْبَارِهِ *
 نَثْرُهُ سِحْرُ الْبَيَانِ وَنَظْمُهُ قِطْعُ الْجُبَانِ * طَلَعَتْ شَمْسُ
 الْأَدَبِ مِنْ أَفْقِ أَشْعَارِهِ وَتَفَجَّرَتْ بِنَايِعُهَا مِنْ خِلَالِ
 آثَارِهِ * شَاعِرٌ تَوَقَّدَتْ جَهَنَّمُ أَفْكَارِهِ * شَاعِرٌ عَرَّائِسُ
 أَفْكَارِهِ صِبَاحٌ * إِنْ نَثَرَ فَالْخُومُ فِي أَفْلَاكِهَا أَوْ نَظَّمَ
 فَالْجَوَاهِرُ فِي أَسْلَافِهَا * أَخَذَتْ بِجَمَاعِ الْقُلُوبِ كَلِمَتُهُ *
 إِذَا كَتَبَ انْتَسَبَ إِلَيْهِ السِّحْرُ أَصَحُّ انْتِسَابٍ وَتَسَقَّى الْمُعْجِزَاتُ
 نَسَقَ حِسَابٍ وَأَرَى الْبِدَائِعَ بَيْضَ الْوُجُوهِ كَرِيمَةَ الْأَحْسَابِ *
 إِنْ نَثَرَ رَأَيْتَ بَحْرًا يَزْخَرُ * إِذَا نَظَّمَ أَرَى بَنَظْمَ الْعُقُودِ
 وَأَتَى بِأَحْسَنَ مِنْ رَفَمِ الْبُرُودِ * إِذَا كَتَبَ مَلَأَ الْمَهَارِقَ
 بَيَانًا وَأَرَى السِّحْرَ عِيَانًا * هُوَ الْكَاتِبُ الَّذِي تُحْسَدُ أَرْقَامُ
 الطَّرَازِ سَطُورَ فَلَمِهِ وَيَبُودُ التَّبَرُّ لَوْ كَانَ مِدَادَ كَلِمِهِ * هُوَ
 الْكَاتِبُ الَّذِي تُنْقَادُ إِلَى بَرَاعِهِ دَفَائِقُ الْمَعَانِي صَاغِرَةً

بِزِمَامٍ * نَثَرَ كَثْرَ الْوَرْدِ وَنَظَّمَ كَظْمَ الْعِنْدِ * نَثَرَ كَالسَّحَرِ
 أَوْ أَدَقَّ وَنَظَّمَ كَالْمَاءِ أَوْ أَرَقَّ * نَثَرَ كَمَا تَفْخُ الزَّهْرُ
 وَنَظَّمَ كَمَا تَنْفَسُ السَّحَرُ * رِسَالَةٌ تَضَحُّكُ عَنْ غُرِّ وَزَهْرِ
 وَقَصِيدَةٌ تَنْطَوِي عَلَى حَبَرٍ وَدُرِّ * كَلَامٌ كَمَا هَبَّ نَسِيمُ
 السَّحَرِ عَلَى صَفَحَاتِ الزَّهْرِ * كِتَابٌ مَطْلَعُهُ مَطْلَعُ أَهْلِ
 الْأَعْيَادِ وَمَوْفَعُهُ مَوْفَعُ نَيْلِ الْهَرَادِ * كِتَابٌ حَسْبُهُ بَطِيرُ
 مِنْ يَدَي لِحْفَتِهِ وَيَلُطْفُ عَنْ حِسِّي لِقَلْبِهِ * صَحَائِفُ أَنْطَوَتْ
 الْحَاسِنُ تَحْتَ رَقٍّ مَشُورِهَا وَصَدَحَتْ حَمَائِمُ الْبَلَاغَةِ عَلَى
 أَغْصَانِ سَطُورِهَا * صَحَائِفُ تُتَوَبُّ عَنْ الصَّفَاحِ وَقَرَّاطِيسُ
 تَزُفُ إِلَى الْأَسْمَاعِ عَرَائِسُ الْفَرَاحِ * صَحَائِفُ الْبِسْهَاءِ
 الْحَبِيرُ أَثْوَابًا مِنَ الْحَبَرِ وَدَجَّجَهَا صَوْبُ الْفِكْرِ لَا صَوْبُ الْمَطَرِ

في وصف الامراء والاشراف

فَلَانٌ مِنْ شَرَفِ الْعُنْصُرِ الْكَرِيمِ وَمَعْدِنِ الشَّرَفِ
 الصَّبِيمِ * أَصْلُ رَاسِخٍ وَفَرْعٌ شَاخٍ وَمَجْدٌ بَادِخٌ * قَدْ رَكَّبَ
 اللَّهُ دَوْحَهُ فِي فَرَارَةِ الْعَبْدِ وَغَرَسَ نَبْعَتَهُ فِي مَنبِتِ الْفَضْلِ *
 الْعَمْدُ لِسَانُ أَوْصَافِهِ وَالشَّرَفُ نَسَبُ أَسْلَافِهِ * دَوْحُهُ
 رَسَبَ عِرْفُهَا وَبَسَقَ فَرْعُهَا وَطَابَ عُودُهَا وَأَعْدَلَ

عَمُودَهَا وَفِيَّاتُ ظِلَالُهَا وَتَهْدَلَتْ ثِمَارُهَا وَتَفَرَّعَتْ
 أَغْصَانُهَا وَبَرَدَ مَقِيلُهَا * أَمِيرُ جَيْشِهِ الْهَمَمُ * دَوْحَةُ مُجْدِيهِ
 وَرَيْفَةُ الظِّلِّ وَرَيْقَةُ * أَمِيرُ لَا عَيْبَ فِي نَدَاهُ إِلَّا أَنَّهُ يَسْتَعْبِدُ
 كُلَّ حُرٍّ * هُوَ غُرَّةُ الْجَمَالِ وَصُورَةُ الْكَمَالِ * عَقْدُ الْمَنَاصِبِ
 بِهِ تَصِيدُ * أَمِيرُ عَيْقَتٍ مِنْ شَمَائِلِهِ نَسَمَاتُ النَّدَى وَقَطَرَتْ
 مِنْ سُلْسِيلِ أَوْصَافِهِ مِيَاهُ الْعَبْدِ * جَامِعُ مَا تَفَرَّقَ مِنْ شَهْلِ
 الْفَضَائِلِ * نَازِحُ مَا أَثَرَتْ مِنْ عَقْدِ الْمَآثِرِ * أَنَارَتْ بِهِ نُجُومُ
 الْمَعَالِي وَشَمُوسُهَا * لَهُ شَرَفٌ بَادِحٌ تُعْقَدُ بِالْجُودِ ذَوَائِبُهُ *
 أَلْقَتْ إِلَيْهِ الرِّئَاسَةَ مَقَالِيدَهَا وَمَلَكْنَهُ طَرِيفَهَا وَتَلِيدَهَا *
 أَمِيرُ تَفَرَّعَ مِنْ دَوْحَةِ سَنَاءٍ وَتَحَدَّرَ مِنْ سَلَالَةِ أَكَابِرِ وَرُقَاةِ
 أَسْرَةٍ وَمَنَابِرِ * مُرْتَضِعُ نَدْيِ الْعَبْدِ وَمُقْتَرِشُ حَجَرِ الْفَضْلِ *
 لَهُ صَدْرٌ تَضِيقُ بِهِ الدَّهْنَاءُ وَتَفَرَّغُ إِلَيْهِ الدَّهْمَاءُ * لَهُ فِي
 كُلِّ مَكْرَمَةٍ غُرَّةُ الْإِصْبَاحِ وَفِي كُلِّ فَضِيلَةٍ قَادِمَةُ الْجَنَاحِ *
 لَهُ صُورَةٌ تَسْنُطِقُ الْأَفْوَاهَ بِالتَّسْنِيعِ وَيَتَفَرَّقُ فِيهَا مَاءُ
 الْكَرَمِ وَتُقْرَأُ فِيهَا صَحِيفَةُ الْبَشَرِ * يَنَابِيعُ الْجُودِ تُنْفَجِّرُ مِنْ
 أَنْمَالِهِ وَرَبِيعُ السَّمَاءِ يَضْحَكُ مِنْ فَوَاضِلِهِ * لَهُ أَخْلَاقُ
 خُلُقٍ مِنَ الْفَضْلِ وَشَيْمٌ تُشَامُ مِنْهَا بَوَارِقُ الْعَبْدِ * أَرْجُ

الزَّمانُ بِفَضْلِهِ وَعَقِمَ النِّساءُ عَنِ الْإِنِّيانِ بِمِثْلِهِ * مَالُهُ
لِلْعَفافِ مُباحٌ وَفَعَالُهُ فِي ظِلْمَةِ الدَّهْرِ مُصباحٌ * مَنافِبُ
تَسْدُخُ فِي جَبِينِهَا غُرَّةُ الصَّباحِ وَتَهْدِي أَنْبَاءَهَا وَفُودُ
الرِّياحِ * سَأَلْتُ عَنْ أَخْبَارِهِ فَكَأَنِّي حَرَّكَتُ الْهَيْسَكَ فَتَيْقَا
أَوْصَبَّتُ الرُّوضَ أَنْيقًا * هُوَ رَأِيشُ نَبْلِهِمْ وَنَبْعَةُ فَضْلِهِمْ
وَوَاسِطَةُ عَقْدِهِمْ * لَهُ هِمَّةٌ عَلَا جَنَاحُهَا إِلَى عَنانِ النِّجْمِ
وَأَمَدُ صَبَاحُهَا مِنْ شَرْقٍ إِلَى غَرْبٍ * هِمَّتُهُ أَبْعَدُ مِنْ مَنَاطِ
الْفَرَقْدِ وَأَعْلَى مِنْ مَنَكِبِ الْجُوزَاءِ * مَوْضِعُهُ مِنْ أَهْلِ الْفَضْلِ
مَوْضِعُ الْوَاسِطَةِ مِنَ الْعَقْدِ وَلَيْلَةُ التِّمِّ مِنَ الشَّهْرِ بَلْ لَيْلَةُ
الْقَدْرِ إِلَى مَطْلَعِ الْفَجْرِ * هَطَلَتْ عَلَى سَحَابِ عَيْنَيْهِ وَرَفَرَفَتْ
حَوْلَيْ أَجْنَحَةِ رِعَايَتِهِ * قَدْ اسْتَظْهَرْتُ عَلَى جَوْزِ الْأَيَّامِ
بِعَدْلِهِ وَاسْتَنْزْتُ مِنْ دَهْرِي بِظِلِّهِ * قَدْ غَرَفْتَنِي نِعْمُهُ حَتَّى
اسْتَنْفَدْتُ شُكْرَ إِسَانِي وَبَيْدِي * تَابَعْتُ نِعْمُهُ تَابِعَ الْقَطْرِ
عَلَى الْقَفْرِ وَتَرَادَفَتْ مِنْهُ تَرَادَفَ الْيُسْرِ إِلَى ذِي الْقَفْرِ *
لَهُ أَيْادٍ قَدْ عَمَّتِ الْأَفَاقَ وَطَوَّقَتْ الْأَعْنَاقَ * أَيْادٍ قَدْ
حَبَسَتْ عَلَيْهِ الشُّكْرَ وَاسْتَعْبَدَتْ لَهُ الْحُرَّ * مِنْ تَوَالَتْ تَوَالِي
الْقَطْرِ وَاتَّسَعَتْ سَعَةُ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَأَثَلَتْ كَاهِلَ الْحُرِّ *

عِنْدِي فَلَا دَةَ مُنْتَظِمَةً مِنْ مَنِّهِ قَدْ جَعَلَتْهَا وَقْفًا عَلَى نُحُورِ
 الْأَيَّامِ وَجَلَوْنَهَا عَلَى أَبْصَارِ الْأَنَامِ * أَيَادِيهِ أَطَوَّقُ
 فِي أَجْيَادِ الْأَحْرَارِ * أَيَادِي يَفْرُضُ لَهَا الشُّكْرَ وَيَجْتُمُّ وَمِنْ
 يَدَيْهَا الذِّكْرُ وَيَجْتُمُّ * أَيَادِي تُثْقِلُ الْكَاهِلَ وَمِنْ تَسْعِبُ
 الْأَنَامِلَ * مِنْ هِيَ أَحْسَنُ أَثَرًا مِنْ الْغَيْثِ فِي أَزَاهِيرِ
 الرَّبِيعِ وَأَحْلَى مَوْقِعًا مِنَ الْأَمْنِ عِنْدَ الْخَائِفِ الْمَرْوِعِ *
 أَيَادِي لَا تُحْصَى أَوْ تُحْصَى مُحَاسِنُ الْجُودِ وَمِنْ لَا تُحْصَرُ أَوْ
 تُحْصَرُ أَفْطَارُ الْغُيُومِ * زَادَتْ أَيَادِيهِ حَتَّى كَادَتْ تَجْهَدُ
 الْأَعْدَادَ وَتَسْبِقُ الْأَعْدَادَ

في وصف البكاء والجزع وعظم المصائب والتعازي وما يتعلق بها
 خَبَرَ عَزَّ عَلَى النَّفُوسِ مَسْمَعُهُ وَأَثَرَ فِي الْقُلُوبِ مَوْقِعُهُ *
 خَبَرَ تَسْنُكُ لَهُ الْمَسَامِعُ وَتَرْتَجُّ بِهِ الْأَضَالِجُ * مُصَابُ
 فَضِّ عُقُودِ الدَّمُوعِ وَشَبَّ النَّارِ بَيْنَ الضُّلُوعِ * مُصَابُ
 أَذَابِ دُمُوعِ الْأَحْرَارِ فَتَحَلَّتْ سَحَابُ الدَّمُوعِ الْغِزَارِ
 وَاسْتَدَّتْ مَسَالِكُ السُّكُونِ وَالْإِسْتِقْرَارِ * رُزْمًا نَكَا الْقُلُوبَ
 وَجَرَحَهَا وَأَحْرَّ الْأَكْبَادَ وَقَرَحَهَا فَالِدُمُوعُ وَكَفَّةُ
 وَالْقُلُوبُ وَاجِفَةٌ وَالْهَمُّ وَارِدٌ وَالْأَنْسُ شَارِدٌ وَالنَّاسُ

مَا تَهُمُّ عَلَيْهِ وَاحِدٌ * غَرَبَ لِمَوْتِهِ نَجْمُ الْفَضْلِ وَكَسَدَتْ
 سُوقُ الْأَدَبِ وَقَامَتْ نَوَادِبُ السَّامَةِ * لَطَمَتْ عَلَيْهِ
 الْحَاسِنُ خُدُودَهَا وَشَقَّتْ لَهُ الْمَنَافِبُ جُيُوبَهَا وَبُرُودَهَا *
 رَزَقَتْهُ الْأَحْسَاءُ مُحَرِّقَةً وَالْأَجْفَانُ بِمَائِهَا غَرِيقَةً وَالْدَّمْعُ
 وَكَفَتْ وَالْحُزْنُ عَاصِفٌ * مَا أَعْظَمَهُ مَقْشُورًا وَمَا أَكْرَمَهُ
 مَوْجُودًا * إِنِّي لَأَنُوحُ عَلَيْهِ نَوْحَ الْمَنَافِبِ وَأَرْثِيهِ مَعَ النُّجُومِ
 الثَّوَابِفِ وَأَبْكِيهِ مَعَ الْمَعَالِي وَالْحَاسِنِ وَأُثْنِي عَلَيْهِ بِشَاءِ
 الْمَسَاعِي وَالْمَنَائِرِ * مَضَى وَالْحَاسِنُ تَبْكِيهِ وَالْمَنَافِبُ
 تُعْزِي الْعُيُونَ فِيهِ * كَانَ مَنْزِلُهُ مَأْلَفَ الْأَضْيَافِ وَمَأْنَسَ
 الْأَشْرَافِ وَمَنْجَعِ الرُّكْبِ وَمَقْصِدِ الْوَفْدِ * إِعْنَاضَ مِنْ
 تَزَاحُمِ الْمَوَاقِبِ تَحَاشُدِ الْمَنَاسِمِ وَمِنْ ضَجِجِ الْبُكَاءِ وَالصَّهِيلِ
 عَجِجِ الْبُكَاءِ وَالْعَوِيلِ * هَذِهِ الْمَكَارِمُ تَبْكِي شَجْوَهَا لِفَقْدِهِ
 وَتَلْبَسُ حِدَادَهَا مِنْ بَعْدِهِ * هَذِهِ الْحَاسِنُ قَدْ قَامَتْ
 نَوَادِبُهَا مَعَ نَوَادِبِهِ وَأَقْرَنْتْ مَصَائِبَهَا بِمَصَائِبِهِ

ذيل

في الادعية في خواص الكتب

أَطَالَ اللَّهُ لِسِيدي الْبَقَاءَ كَطُولِ يَدِهِ بِالْعَطَاءِ وَمَدَّ
لَهُ فِي الْعُمُرِ كَأَمْتِدَادِ ظِلِّهِ عَلَى الْأَحَرِّ وَأَدَامَ لَهُ الْمَوَاهِبَ
كَمَا أَفَاضَ بِهِ الرِّغَائِبَ وَحَرَسَ لَدَيْهِ الْفَضَائِلَ كَمَا عَوَّذَ
بِهِ السَّمَائِلَ * لَزَالَتْ أَلْسُنُ عَلَيْهِ بِالنَّائِئِ نَاطِقَةً وَالْقُلُوبُ
عَلَى مَوَدَّتِهِ مُطَابِقَةً وَالشَّهَادَاتُ لَهُ بِالْفَضْلِ مُتَنَاسِقَةً *
أَبْقَاهُ اللَّهُ لِلْجَبِيلِ بَعْلًا مُعَالِمَةً وَبِحُجِيِّ مَكَارِمِهِ وَيَعْمُرُ
مَدَارِجَهُ وَيُشِيرُ نَتَائِجَهُ * أَدَامَ اللَّهُ لَهُ الْمَوَاهِبَ سَامِيَةً
الذَّوَائِبِ مُوفِيَةً عَلَى أُمْنِيَةِ الرَّاجِي وَبُغْيَةِ الطَّالِبِ *
وَاللَّهُ يُتَابِعُ لَهُ أَيَّامَ الْعَلَاءِ وَالْغِبَةِ وَالنَّمَاءِ وَالْبَسْطَةِ
لِتَرْتَعَ أَنْوَاعُ الْمُخْدَمِ فِي رِيَاضِ فَوَاضِلِهِ وَتَتَكَرَّعَ أَصْنَافُ
الْحَشَمِ مِنْ حِيَاضِ مَوَاهِبِهِ * وَاللَّهُ تَعَالَى يَقْبِ الرُّئُوسَ
الْمَصَائِبَ وَيُعِيدُهُ مِنَ النُّوَائِبِ وَيَرْعَاهُ بِعَيْنِهِ الَّتِي لَا تَنَامُ
وَيَجْعَلُهُ فِي حِمَاهُ الَّذِي لَا يُرَامُ * لَزَالَتْ الْأَيَّامُ وَاللَّيَالِي

مَطَايَاهُ فِي أَمَانِيهِ وَأَمَالِهِ وَصَرَفَ اللَّهُ صُرُوفَ الْغَيْرِ عَنْ
إِصَابَةِ إِقْبَالِهِ وَكَمَالِهِ * أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَ الْأَمِيرِ وَأَدَامَ
عِزَّهُ وَتَأْيِيدَهُ وَعُلُوَّهُ وَتَهْنِئَتَهُ وَبَسْطَنَهُ وَتَوْطِيدَهُ وَظَاهَرَ
لَهُ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ مَزِيدَهُ * أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَ سَيِّدِي مُحَمَّدٍ وَمَا
بِأَيْدِي الْأَقْدَارِ مَعْصُومًا مِنْ عَوَادِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مُكْتَنَفًا
مِنْ لَطَائِفِ اللَّهِ الْخَفِيَّةِ وَعَوَارِفِ صَنَائِعِهِ الْخَفِيَّةِ بِمَا
يُدْفَعُ عَنْ حُوزَتِهِ نَوَائِبُ الْخُطُوبِ وَيَصْنَعُ لَهُ فِي طَبِ
الْمَكْرُوهِ نِهَايَةَ الْمُحِبُّوبِ